مطبوعات المجمع العلمي العراقي

الشورى العسكرية النبوية

اللواء الركن محمود شيت خطاب



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م


م. سرمد حاتم شكر

هدية إلى الأخ العزيز علي عزيز مع خالص تقديري واحترامي

المؤلف

٢٩ / جمادي الأولى / ١٤١١ هـ

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

الشورى العسكرية النبوية

اللواء الركن محمود شيت خطاب



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٤١١ هـ — ١٩٩٠ م

الشورى العسكرية في الاسلام

الشورى لغة واصطلاحا

١ ـ الشورى في اللغة :

شارَ العسلَ شَوراً ، وشِيارةً ، ومَشاراً ، ومَشارَةً : استخرجه من الوَقْبة ، كأشارَهُ ، واستشارَه واشتارَه

والمَشارُ : الخليّة . والشَّوْرُ : العسلُ المَشُور . والمِشْوار : ما شارَهُ به ، والمَخْبَر ، والمَنْظَر كالشُّوْرة بالضم ، والمكان يُعْرَض فيه الدّواب ، ومنه إيّاك والخُطَب ، فإنّها مِشْوارٌ كثيرُ العِثار .

والشَّوْرَة ، والشّارَةُ ، والشَّوْرُ ، والشِّيارُ ، والشّوارُ : الحُسْنُ والجَمال ، والهيئة ، واللّباس ، والسِّمَنُ ، والزّيْنة .

واستشارت الإبل ، وأخذتْ مِشْوارَها ، ومَشارَتَها : سَمِنَتْ ، وحَسُنَت . والخيلُ شِيار : سِمانٌ حِسان . وشارَها شَوْراً ، وشِواراً ، وشَوَّرَها : راضَها، أو رَكِبَها عند العَرْض على مُشْتَريها أو بَلاها يَنظر ما عندها ، أو قلّبها ، وكذا الأَمَةُ .

واستشارَ فلانٌ : لَبِس لِباساً حَسَناً . واستشارَ أَمْرُهُ : تَبَيَّنَ . وشَوَّر إليه : أَوْمَأَ ، كأشارَ ، ويكون بالكَفّ والعَيْن والحاجِب.

وأشارَ عليه بكذا : أَمَرَهُ ، وهي الشُّوْرى ، والمَشْوَرَة . واستشاره طَلَبَ منه المَشُوْرَة . ويقال : فلانٌ جيِّد المَشُوْرَة والمَشْوَرة لغتان ، قال الفرّاء : المَشُوْرَة أصلها مَشْوَرَة ، ثمّ نُقِلَت إلى مَشُوْرة لخفّتها .وتقول : شاورته في الأمر ، واستشرته بمعنى. وفلانٌ خَيِّر شَيِّرٌ : أي يصلح المشاورة . وشاوره مُشاورة وشوارا : طلب منه المَشُوْرة(١) .

---

١) القاموس المحيط (٢/٦٥) وترتيب القاموس المحيط (٢/٧١٠) ولسان العرب (٦/١٠٣ ـ ١٠٦) ومتن اللغة (٣/٣٩٣ ـ ٣٩٥) .

وفي المصطلحات القانونية المحدثة ، اعتمدت كلمة : المستشار : العليم الذي يؤخذ رأيه في أمر هام علمي أو فني أو سياسي أو فضائي أو نحوه[٢] .

وفي المصطلحات العسكرية المعتمدة كلمة : المشير . وهي أعلى رتبة عسكرية للضباط في الجيوش العربية [٣] .

ومادة (شارَ) ومشتقاتها كثيرة في المعجمات اللغوية ، اخترنا منها ما يتصل بمادة الشورى من قريب أو بعيد ، وتركنا ما بقي منها للذين تهمهم تلك التفاصيل . والملاحظ أن معاني هذه المادة اللغوية ، تدور كلها تقريبا حول الاستخراج والاظهار [٤] والاستصفاء ماديا ومعنويا بما فيها التفكير الصائب والرأي السديد .

٢ ـ الشورى في الاصطلاح :

الشورى ، هي استخراج الرأي بمراجعة البعض الى البعض[٥] . والشورى ، هي الاجتماع على الأمر ، ليستشير كل واحد منهم صاحبه ، ويستخرج ماعنده [٦] . ويرد على هذا التعريف ، أنه لايستقيم في علم المنطق، لأن كلمة (ليستشير) واردة في تعريف (الشورى) ، مع أن المقصود من التعريف تفهيم المعرَّف بالمعرِّف ، فاذا كان كل منهما يتوقف فهمه على الآخر، فهذا يعني توقف الشيء على نفسه ، وهو الدور الباطل[٧] .

---

(٢) المعجم الوسيط (٤٩٩/١) .
(٣) المعجم العسكري الموحد (انكليزي ـ عربي) ص (٥١٢) والمعجم العسكري الموحد (عربي ـ انكليزي) ص (٧١٧) . والمشير = Field Marshal
(٤) الشورى بين النظرية والتطبيق (١٣) .
(٥) روح المعاني (٤٢/٢٥) .
(٦) احكام القرآن لابن العربي (٢٩٧/١) .
(٧) الشورى بين النظرية والتطبيق (١٤) .

وفي تعريف ثالث ، أن الشورى ، هي المفاوضة في الكلام ، ليظهر الحق[٨] .

وهذه التعاريف الثلاثة ، تبرز معنى واحدا ، هو استخراج الصواب ، بعد التعرف على آراء الآخرين وامعان الفكر فيها .

ومعنى ذلك ، أن الشورى ، هي عرض المعضلة أو المعضلات في أمور الدنيا والدين ، على الذين عرفوا بالتجربة العملية والرأي السديد ، وسماع الآراء المختلفة ، واستخلاص الحل المناسب لتلك المعضلة أو المعضلات من تلك الآراء المعروضة ، والقرار على تنفيذ الحل المناسب .

من هنا كان رأي قسم من المفسرين ، أن الشورى مأخوذة من قول العرب :

أ) . شُرْتُ الدابة : اذا امتحنتها فعرفت هيئتها في سيرها [٩] ، وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه : «أنه ركب فرساً يشوره»[١٠] ، ويقال للمكان الذي تعرض فيه الدّواب : مِشوار [١١] ، كأنه بالعرض يعرف خيره من شره ، وكذلك بالمشاورة يُعلم خير الأمور وشرها[١٢] .

ب) . أو قولهم : شُرتُ العسل ، اذا أخذته من موضعه [١٣] .

---

(٨) تفسير الطبرسى (٣٣/٩) .

(٩) تفسير القرطبي (٢٤٩/٤) وتفسير الرازي (٦٥/٩) واحكام القرآن لابن العربي (٢٩٧/١) و (١٦٥٦/٤) .

(١٠) احكام القرآن لابن العربي (١٦٥٦/٤) .

(١١) تفسير الرازى (٦٥/٩) واحكام القرآن للقرطبي (٢٤٩/٤) وانظر معجم متن اللغة (٣٩٤/٣) .

(١٢) تفسير الرازى (٦٥/٩) وانظر معجم متن اللغة (٣٩٣/٣) .

(١٣) احكام القرآن للقرطبي (٢٤٩/٤) وتفسير الرازى (٦٥/٩) وانظر لسان العرب (١٠٣/٦) .

وما دمنا بصدد الشورى العسكرية بخاصة ، فلابد من تعريفها ، بأنها عرض المعضلة العسكرية ، ان وجدت ـ قبل نشوب القتال ، وبعد تشوبه ، وبعد توقف القتال بصورة وقتية أو بشكل دائم ، على المعروفين بتجربتهم وعلمهم ورجاحة عقولهم ونضجهم ، وسماع آراء هؤلاء ، واستخلاص الحل المناسب لتاك المعضلة من تلك الآراء المعروضة ، والقرار على وضع الحل المناسب في حيز التنفيذ .

* * *

مشروعية الشورى واهميتها

١ - مشروعية الشورى :

(أ) - القرآن الكريم :

أمر الله سبحانه وتعالى بالشورى في كثير من آيات الذكر الحكيم ، فقال سبحانه وتعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ في الأَمْرِ ، فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ) .

وقال سبحانه وتعالى : (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . والَّذين يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ وإذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ . والَّذِينَ اسْتَجَابوا لِرَبِّهِمْ وأقاموا الصَّلاةَ وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (٢) .

---

(١) الآية الكريمة في سورة آل عمران (٣ : ١٥٩) ، وانظر تفسير هذه الآية في : تفسير ابن كثير (٢/٢٧٥ - ٢٧٧) وتفسير البغوى (٢/٢٧٥ - ٢٧٧) وتفسير الكشاف للزمخشرى (١/٣٣٢) وتفسير القرطبي (٤/٢٤٨ - ٢٥٣) وتفسير البيضاوى (٢/٥٠) وفي ظلال القرآن (٤/١١٦ - ١٢٠) .

(٢) الآية الكريمة في سورة الشورى (٤٢ : ٣٦ - ٣٨) ، وانظر تفسير هذه الآية في : تفسير ابن كثير (٧/٣٧٦ - ٣٧٧) وتفسير البغوى (٧/٣٧٦ - ٣٧٧) وتفسير الكشاف للزمخشري (٣/٧٠ - ٧١) وتفسير القرطبي (١٦ : ٣٤ - ٣٨) وتفسير البيضاوى (٥/٥٥) وفي ظلال القرآن (٢٥/٣٩ - ٤٨) .

وقد رُوى عن الحسن البصري رضي الله عنه في تفسير الآية الأولى أنه قال : « قد علم الله أنه مابه (يعني الرسول صلى الله عليه وسلم) اليهم من حاجة ، ولكن أراد أن يستن به من بعده »[٣] .

وقال البيضاوي رحمه الله في تفسير هذه الآية : «عاملهم معاملة العفو والصفح فيما يختص بك ، واطلب المغفرة لهم ، واستظهر برأيهم ، وشاورهم في أمر الحرب وفي كل ماتصح به المشاورة ، لتطيب نفوسهم ، ولتمهيد سنة المشاورة لأمتك » [٤] .

وقيل في تفسير هذه الآية أيضاً : ان الله أمر بها نبيه ، ليتألف قلوب أصحابه ، وليقتدى به من بعده ، وليستخرج منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي من أمر الحروب والأمور الجزئية وغير ذلك [٥] .

والناظر في سبب نزول هذه الآية الكريمة ، يتبين بوضوح مدى حرص الشارع سبحانه وتعالى على تقرير مبدأ الشورى ، والحرص على الاستمرار في تطبيقه والعمل به [٦] .

وقد أثنى سبحانه وتعالى في الآيات التي وردت في سورة الشورى على المؤمنين ، فامتدحهم بأن أمرهم شورى بينهم ، وقرنه بأصل الايمان وهو الاستجابة الى الله ، وبأقوى أركانه وهو الصلاة ، وفي هذا تنويه بشأنها وإعلاء أمرها ، وينبه على أنها أصل من أصول الاسلام ودعامة من دعائمه[٧].

ووجود سورة في كتاب الله هي سورة : (الشورى) تسمى باسم هذا

---

(٣) تفسير القرطبي (٢٤٩/٤) والسنن الكبرى لبيهقي (٤٦/٧) و (١٠٩/١٠).

(٤) تفسير البيضاوى (٥٠/٢) ، وحاشية الشهاب (٧٦/٣) وحاشية زاده (٦٨٢/١) .

(٥) تفسير ابن كثير (٢٧٥/٢ – ٢٧٧) وتفسير الكشاف للزمخشرى (٣٣٢/١) وتفسير القرطبي (٢٤٨/٤ – ٢٥٣) وتفسير الرازي (٨٢/٣ – ٨٣) والسياسة الشرعية لابن تيمية (١٦١) .

(٦) انظر التفاصيل في تفسير الرازي (٨٢/٣) .

(٧) رسالة في الخلافة الاسلامية (٦٨ – ٦٩) .

المبدأ ، وجعل الشورى صفة من أوصاف المسلمين ، والأمر بها في سورة أخرى ، إنما هو دليل على اهتمام الشارع سبحانه وتعالى بأمر الشورى ، وجعلها دعامة من الدعائم التي يقوم عليها نظام الحكم في الاسلام وما يتعلق بتدبير شئون الأمة الاسلامية [٨] .

وقال تعالى : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ، يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) (٩) .

وجاء في تفسير المنار : « والمعروف أنْ الحكومة الإسلامية مبنيّةعلى أصل الشّورى ، وهذا صحيح ، والآية أدلّ دليل عليه ، ودلالتها أقوى من قوله تعالى : (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (١٠) ، لأنّ هذا وصف خبريّ لحال طائفة مخصوصة ، أكثر ما يدلّ عليه أنّ هذا الشيء ممدوح في نفسه ومحمود عند الله تعالى . وأقوى من دلالة : (وشاورهم في الأمْرِ) (١١) ، فانّ أمر الرئيس بالمشاورة يقتضي وجوبه عليه ، ولكن إذا لم يكن هناك ضامن يضمن امتثاله الأمر ، فماذا يكون إذا هو تركه ؟

« وأما هذه الآية ، فانها تفرض أن يكون في الناس جماعة متحدون أقوياء ، يتولون الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو عام في الحكام والمحكومين ، ولا معروف أعرف من العدل ولا منكر أنكر من الظلم »[١٣] .

---

(٨) نظام الحكم في الاسلام _ محمد يوسف موسي _ (١١٥) .
(٩) الآية الكريمة في سورة آل عمران (٣ : ١٠٤) .
(١٠) الآية الكريمة في سورة الشورى (٤٣ : ٣٨) .
(١١) الآية الكريمة من سورة (٢ : ١٥٩) .
(١٢) تفسير المنار _ (٤/٤٤) ، ويقول الدكتور محمد يوسف موسي في كتابه : نظام الحكم في الاسلام (١١٦) تعليقاً على راى الامام محمد عبده في تفسير المنار ، بعد أن اورده في كتابه : « وفي راينا ان آية وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على طائفة منا ، أولى ان تلفتنا الى اداة فعالة لحراسة المجتمع من البغي والظلم والعدوان واقرار العدل فيه من ان تكون دليلا على وجوب مبدأ الشورى .

المبدأ ، وجعل الشورى صفة من أوصاف المسلمين ، والأمر بها في سورة أخرى ، إنما هو دليل على اهتمام الشارع سبحانه وتعالى بأمر الشورى ، وجعلها دعامة من الدعائم التي يقوم عليها نظام الحكم في الاسلام وما يتعلق بتدبير شئون الأمة الاسلامية [٨] .

وقال تعالى : (ولْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ، يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ ، ويأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ، وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) (٩) .

وجاء في تفسير المنار : « والمعروف أنْ الحكومة الإسلامية مبنيّةعلى أصل الشّورى ، وهذا صحيح ، والآية أدلّ دليل عليه ، ودلالتها أقوى من قوله تعالى : (وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (١٠) ، لأنّ هذا وصف خبريّ لحال طائفة مخصوصة ، أكثر ما يدلّ عليه أنّ هذا الشيء ممدوح في نفسه ومحمود عند الله تعالى . وأقوى من دلالة : (وشاوِرهم في الأمْرِ) (١١) ، فانّ أمر الرئيس بالمشاورة يقتضي وجوبه عليه ، ولكن إذا لم يكن هناك ضامن يضمن امتثاله الأمر ، فماذا يكون إذا هو تركه ؟

« وأما هذه الآية ، فانها تفرض أن يكون في الناس جماعة متحدون أقوياء ، يتولون الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو عام في الحكام والمحكومين ، ولا معروف أعرف من العدل ولا منكر أنكر من الظلم »[١٢] .

---

(٨) نظام الحكم في الاسلام – محمد يوسف موسي – (١١٥) .
(٩) الآية الكريمة في سورة آل عمران (٣ : ١٠٤) .
(١٠) الآية الكريمة في سورة الشورى (٤٣ : ٣٨) .
(١١) الآية الكريمة من سورة (٢ : ١٥٩) .
(١٢) تفسير المنار – (٤/٤٤) ، ويقول الدكتور محمد يوسف موسي في كتابه : نظام الحكم في الاسلام (١١٦) تعليقاً على راى الامام محمد عبده في تفسير المنار ، بعد ان اورده في كتابه : « وفي راينا ان آية وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على طائفة منا ، اولى ان تلفتنا الى اداة فعالة لحراسة المجتمع من البغي والظلم والعدوان واقرار العدل فيه من ان تكون دليلا على وجوب مبدأ الشورى .

ولكن دلالة هذه الآية ليست كما أرى أقوى من دلالة : (وأمرهم شورى بينهم)، لان هذه الآية ـ آية الشورى ـ وإن كانت جملة خبرية ـ كما ذكر ـ الا أنها جملة خبرية باللفظ إنشائية بالمعنى ، ويعضد هذا التفسير قوله تعالى بالأمر الصريح : (وشاورهم في الأمر) .

ثم ان آية : (وشاورهم) و (أمرهم شورى بينهم) هي خاصة ، وآية : (ولتكن منكم أمة) عامة تشمل الشورى وغيرها ، ودلالة الخاص أقوى من دلالة العام ، كما هو معروف في علم الأصول في الفقه الاسلامي .

لذلك ، فان من الممكن أن نعتبر هذه الآية دليلا آخر على الشورى ، ينضم الى الدليلين الأولين [١٣] .

ان اعطاء المشورة الصادقة الأمينة ، جزء لايتجزأ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدون أدنى شك .

ب ـ في السنة النبوية :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المستشار مؤتمن»[١٤] . وقال عليه الصلاة والسلام : «المستشار مؤتمن ، فاذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه »[١٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : «اذا كان أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤكم سمحاءكم ،وأموركم شورى بينكم ، فظهر الأرض خير لكم من بطنها . واذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأموركم الى نسائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها »[١٦] .

---

(١٣) الشورى بين النظرية والتطبيق (٢٦ ـ ٢٧) .
(١٤) رواه ابو داود (٦٢٦/٢) وابن ماجة (١٢٣٣/٢) وسنن البيقي (١١٢/١٠) وسنن الدارمي (٢١٩/٢) .
(١٥) مجمع الزوائد (٩٦/٨) ، وفيه : رواه الطبراني في الاوسط .
(١٦) سنن الترمذي (٥٢٩/٤) ، قال : هو حديث غريب ـ رواه عن ابي هريرة رضي الله عنه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا استشار أحدكم أخاه ، فليشر عليه »[17] .

وقال عليه الصلاة والسلام : «ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد »[18] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما يستغنى رجل عن مشورة »[19] .

وقال عليه الصلاة والسلام « من أراد أمراً فشاور فيه وقضى هدى لأرشد الأمور »[20] .

ولما نزلت : (وشاورهم في الأمر) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ان الله ورسوله لغنيان عنها ، ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتي ، فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ، ومن تركها لم يعدم غيا »[21] .

وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال : « لم يكن أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم »[22] ، وقال « ما رأيت أحداً اكثر مشورة لأصحابه من رسول الله »[23] « حتى أنه كان يستشيرهم في

---

(17) ابن ماجة (١٢٣٣/٢) ، وانظره في تفسير ابن كثير (٤٢٠/١) .
(18) رواه الطبراني في الاوسط والصغير ، عن أنس ، من طريق عبد السلام ابن عبد القدوس ، وكلاهما ضعيف جدا ، انظر مجمع الزوائد (٩٦/٨) .
(19) السنن للبيهقي (١٠٩/١٠) .
(20) اخرجه البيهقي في شعب الايمان ، انظر تفسير روح المعاني (٤٢/٢٥) ، وانظره بألفاظ مختلفة في تفسير الكشاف للزمخشري (٤٣٢/١) وتفسير الطبرسي (٣٣/٩) وتفسير الرازى (٦٦/٩) واخرجه الطبراني في الاوسط ، انظر مجمع الزوائد (٩٦/٨) .
(21) اخرجه ابن عدى والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن ابن عباس ، انظر تفسير روح المعاني (٩٤/٤) والبجيرمي على الخطيب (٣٢٧/٤) .
(22) السياسة الشرعية لابن تيمية (١٦١) والبيهقي ـ السنن الكبرى (٤٥/٧ ـ ٤٦) و (١٠٩/١٠) و الترمذى (٣٢٠/١) .
(23) الترمذي (٢١٤/٤) وسنن البيهقي (١٠٩/١٠) ونيل الاوطار (٢٣٨/٧) وفيه : رواه احمد والشافعي . وانظره بألفاظ مختلفة في : الام (٨٦/٧) والبجيرمي على الخطيب (١٢/٧) وتفسير الكشاف (٣٣٢/١) .

قوت أهله وأدامهم» (٢٤) .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : «قلت يارسول الله ان عرض لي أمر لم ينزل قضاء في أمره ولا سنة ، كيف تأمرني ؟ قال تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ، ولا تقض فيه برأيك خاصة» (٢٥) .

وقد ترجم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأقوال الى أفعال ، فكان عمله صلى الله عليه وسلم على التشاور وعدم الا ستقلال في الرأي ، وسنذكر أمثلة من تشاوره في القضايا العسكرية بخاصة .

وهناك أحاديث كثيرة فيها مقال ، ولكنها تقوى بانضمامها الى ماذكرناه من أحاديث أخرى (٢٦) .

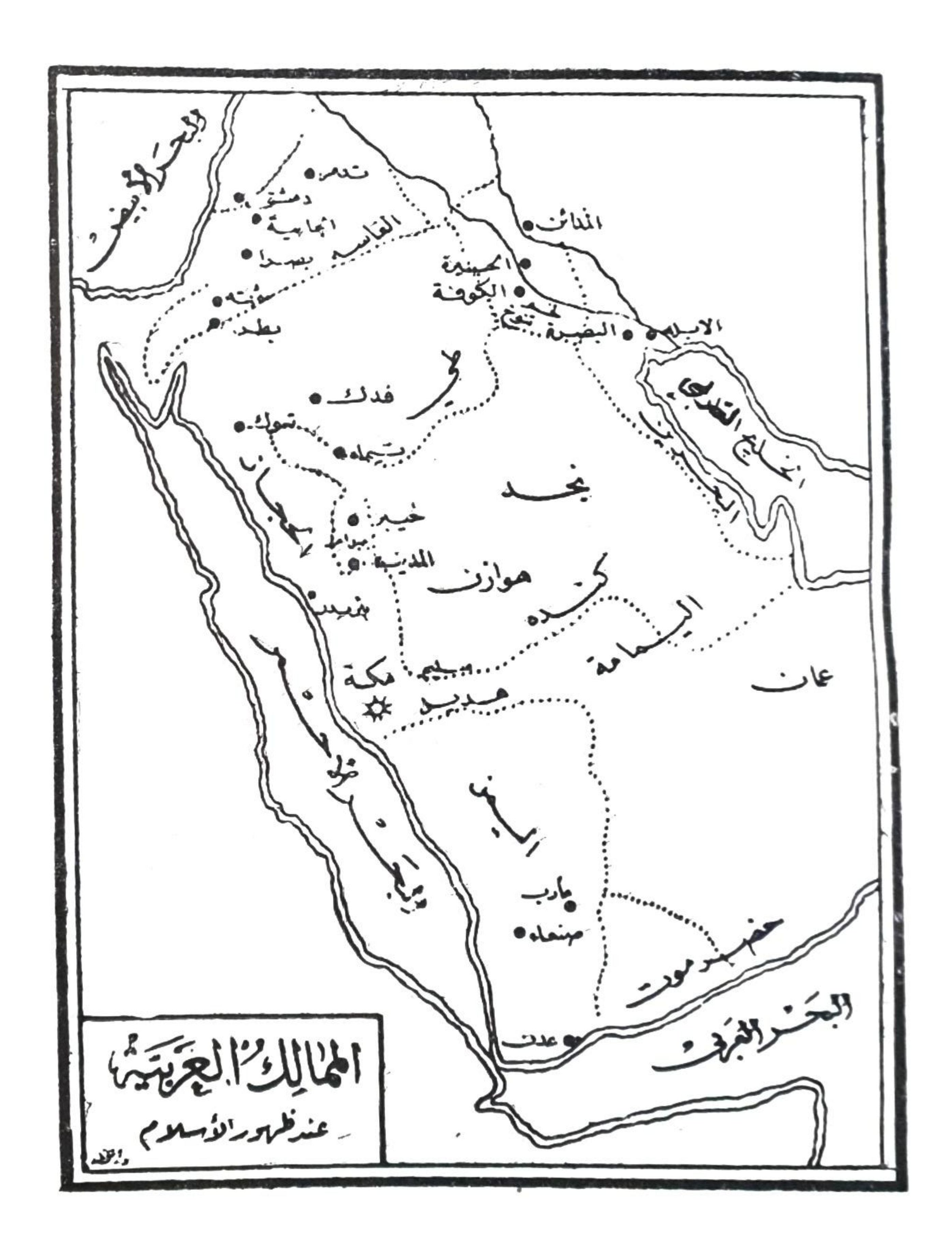
واتخذها الصحابة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، كما اتخذها الخلفاء الراشدون ومن بعدهم سبيلا في معالجة أمورهم ، ولم ينكر أحد من الصحابة اتخاذ الشورى سبيلا لهم ، فكان ذلك اجماعا .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «لاخير في أمر أبرم من غير شورى» (٢٧) ، وقال : «الرأي الفرد كالخيط السحيل (٢٨) ، والرأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مرار (٢٩) لايكاد ينتقض »(٣٠) .

وقال الامام علي بن أبي طالب رضى الله عنه : «لاصواب مع ترك

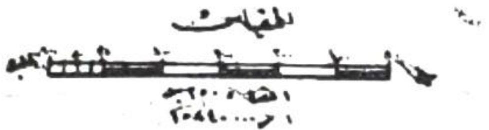
---

(٢٤) المبسوط السرخسي (٧١/١٦) .
(٢٥) اعلام الموقعين لابن القيم (٧٤/١) .
(٢٦) الشورى بين النظرية والتطبيق (٣٠) وانظر تفاصيل الاحاديث في : المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى (٢٠٩/٣ — ٢١٢) .
(٢٧) تاريخ الامم الاسلامية — محمد الخضرى — (١٧/٢) .
(٢٨) السحيل : الثوب لايبرم غزله ، انظر المعجم الوسيط (٤٢٠/١) .
(٢٩) مرار : الحبل ، انظر المعجم الوسيط (٨٦٢/٢) .
(٣٠) عبقرية عمر للعقاد (٣٠٤) .



الممالك العربية
عند ظهور الإسلام
البحر الأبيض
تدمر
دمشق
الجابية
الغساسنة
بصرى
مؤتة
المدائن
الحيرة
الكوفة
البصرة
فدك
طي
تبوك
تيماء
نجد
خيبر
المدينة
هوازن
كندة
اليمامة
عمان
مكة
هذيل
مأرب
صنعاء
حضرموت
عدن
البحر العربي

انتشار الإسلام في عهد النبي ص



المشورة »[٣١] . وقال : «في المشورة سبع خصال حميدة : استنباط الصواب، واكتساب الرأي ، والتحصن من الخطأ ، والتحرز من الملامة ، والنجاة من الندامة ، وألفة القلوب ، واتباع الأثر»[٣٢] .

وأقوال الصحابة في الشورى كثيرة ، وأعمالهم في الشورى لاتحصى ، وهي من أهم اسباب نجاحهم في السلام ، وانتصارهم في الحرب .

٢ — اهمية الشورى :

الشورى دعامة من دعامات الحكومة الاسلامية ، وعليها مدار انتظامها وحسن سلوكها وسعادتها ، فأعدل الحكومات هي الحكومة الشورية[٣٣]. فالمشاورة واجبة لكونها ضرورةمن ضرورات الحياة الاجتماعية، لاتستغنى عنها أمة من الأمم ولاجماعة من الجماعات ، فهي سبيل معرفة الرأي الصواب ، لأن كل مستشار يظهر رأيه ووجهة هذا الرأي ومدى فائدته ، وبعرض هذه الآراء ومقارنتها ومناقشتها يظهر الصواب غالباً[٣٤] . وبهذا تستقيم الأمور وتتحقق مصالح الأمة ، فاختلاف الآراء وتدافعها ، يؤدي الى نفع الأمة ودرء المفاسد عنها ، فالآراء الصائبة تتولد غالباً نتيجة احتكاك الآراء المختلفة مع بعضها ، وقد بين الله سبحانه وتعالى أثر اختلاف الآراء في قوله : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)[٣٥] .

والشورى باعتبارها دعامة من دعائم الحكم الاسلامي ، تعطى الحق

---

(٣١) الصواعق المحرقة (١٢٧) .
(٣٢) رسالة في الخلافة ـ الشيخ عبد الفتاح عبد الرحمن الجوهري (٧٠) .
(٣٣) تفسير القرطبي (٢٤٩/٤) ، والبحر المحيط لابي حيان (٩٩/٣) وتفسير الرازي (٨١/٣ ـ ٨٣) وانظر كتاب : الفكر الاسلامي والتطور لفتحي عثمان (١٨) وما بعدها .
(٣٤) تفسير القرطبي (٣٧/١٦) وتفسير الرازي (٢٨٠/٧) .
(٣٥) الآية الكريمة في سورة البقرة (٢ : ٢٥١) .

للأمة في ادارة شئونها والاشراف عليها ، وتمثل ضمانة أساسية دون مخالفة الحكومة للأحكام أو الانحراف في استعمال السلطة ، لأن القرار الذي ستقوم عليه الأدارة ، لن يخرج الى حيز التنفيـذ الا بعد بحث واستقصاء وتحري المصلحة العامة ، ومشاورة المختصين في هذا الأمر [٣٦] .

وفي تفسير الرازي ، بين الفائدة من أمر الله سبحانة وتعالى رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام بالشورى ، ومن تلك الفوائد ماروواه عن الحسن البصري وسفيان بن عيينة انهما قالا : «انما أمر (اي الرسول صلى الله عليه وسلم) بذلك ليقتدى به غيره في المشاورة » . ثم أشـار الى معنـى دقيـق ، هو أن هذه الآية الكريمة : (وشاورهم في الأمر) نزلت عقب ما ابتلى بـه المسلمون يوم أحد ، ومع أن ماوقع في ذلك اليوم قد أبان أن رأي من أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج لم يكن صواباً ، فان الله سبحانه وتعالى قد أنزل الأمر بالعفو عنهم ومشاورتهم أيضـا ، أي أن الأمر هو أمر بالاستمرار في مشاورتهم ، بالرغم مما ظهر من خطأ رأيهم ، وهذا يؤكد أهمية الشورى ، ويبين مقدار عناية الدين بها . ومن الوجوه التي ذكرها الرازي في تفسيره ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالشورى ، لا لانه محتـاج الى آراء من يستشيرهم ، ولكن لأجل أنه اذا شاورهم في الأمر ، اجتهـد كل واحد منهم في استخراج الوجه الأصلح ، فتصير الأرواح متطابقة متوافقـة على تحصيل أصلح الوجوه فيها . ثم قال : «وتطابق الأرواح الطاهرة على الشيء الواحد ، مما يعين على حصوله . وهذا هو السر عند الاجتماع في الصلوات ، وهو السر في أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة المنفرد » [٣٧] .

---

(٣٦) مبدا المشروعيـة وضوابـط خضوع الدولة في الفقه الاسلامي (١١٦) ونظرية المساواة في الشريعـة الاسلامية (٣٤٦) والرقابة عـلى اعمـال الادارة في الشريعة الاسلامية والنظم المعاصرة (٢٠١ – ٢٠٢) .

(٣٧) تفسير الـرازى (٨٢/٣) ، وانظر النظريات السياسية الاسلاميـة (٢٢٥) .

وقد قرر الاسلام مبدأ الشورى ولكنه لم يحدد شكلا معيناً للشورى ، لأن أنظمة الشريعة الاسلامية تتصف بالمرونة والدوام ، لتكون صالحة لكل زمان ومكان. والنصوص المتقدمة لم تجعل الشورى بقالب معين محدد ، بل أوكلت أمر تحديدها الى الامة على ما يوافق ظروفها ، لأن أمر الشورى مختلف باختلاف أحوال الأمة الاجتماعية وسعة بلادها وعدد سكانها... الخ في كل زمان ومكان، وعلى هذا لا يمكن أن تكون كيفية الشورى في أيام الرسالة الموافقة لفطرة العرب وطبيعتهم في حينه موافقة لحال غيرهم في كل حين ، لأن صلاحية النظم نسبية ، فما يصلح لقوم قد لا يصلح لغيرهم . ثم إن المقصود الأصلي هو تحقيق الشورى لا الالتزام بشكل معين من أشكالها ، لأنه قد لا يحقق المقصود منها . ولو وضع الرسول عليه الصلاة والسلام قواعد مؤقتة للشورى ، لاتخذها المسلمون ديناً واعتقدوا بأنها ملزمة لا يجوز الخروج عليها ، وحاولوا العمل بها في كل وقت ، مع أنها ليست من الدين بدليل أن الصحابة قالوا في اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه : « رضيه رسول الله لديننا ، أفلا نرضاه لدنيانا »[٣٨] .

والامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، قدم العمل بالحديث الضعيف والمرسل على القياس ، وما ذلك الا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل فعل ، باعتبار أن رأيه هو الأعلى في كل حال ، مع أنه يقول : «أنتم أعلم بأمر دنياكم» رواه مسلم ، ويقول : «ماكان من أمر دينكم فإليّ ، وما كان من أمر دنياكم ، فأنتم أعلم به » ، رواه أحمد . واذا تأمل المنصف المسألة حق التأمل ، وكان ممن يعرف حقيقة شعور طبقات المؤمنين من العامة والخاصة في مثل ذلك ، يتجلى له أنه يصعب على أكثر الناس أن يرضوا

---

(٣٨) مستدرك الحاكم (٦٧/٣) ، وقال الذهبي : صحيح ، انظر هامش المستدرك ، واخرجه النسائي وابو يعلى كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي (٤٦) والصواعق المحرقة (٩) ، وفي : مجمع الزوائد (١٨٣/٥) : رواه احمد وابو يعلي ، وفيه عاصم بن ابي النجود وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وانظر الشورى بين النظرية والتطبيق (٦٥).

بتغيير شيء وضعه النبي صلى الله عليه وسلم للأمة وان أجاز لها تغييره ، بل يقولون : إنه أجاز ذلك تواضعاً منه وتهذيباً لنا ، حتى لا يصعب علينا الرجوع عن آرائنا ، ورأيه هو الرأي الأعلى في كل حال . ولو أن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع قواعد للشورى من عند نفسه ، لكان غير عامل بالشورى ، وذلك محال في حقه لأنه معصوم من مخالفة أمر الله ، ولو وضعها بمشاورة من معه من المسلمين ، لقرر فيها رأي الأكثرين منهم ، كما فعل في الخروج الى (أحد) ، وكان ذلك الرأي خطأ ومخالفاً لرأيه صلى الله عليه وسلم . فهل يرضى عليه الصلاة والسلام أن يحكم أمثال هؤلاء القوم ومن دونهم كأكثر من دخل في الاسلام بعد الفتح في أصول الحكومة الاسلامية وقواعدها ؟ أليس تركها للأمة تقرر في كل زمان ما يؤهله لها استعدادها هو الأحكم ؟ (٣٩)

لذلك قرر الاسلام مبدأ الشورى ، وترك للأمة تقرير الأسلوب الأمثل لتطبيقها .»

وقد اختلف الفقهاء على ما اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحتم عليه أن يعمل بالشورى أم لا ، بالرغم من اتفاقهم على أهمية الشورى للمسلمين ، فذهب رأي الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يتحتم عليه الأخذ بالشورى ، والأمر الوارد في الآية الكريمة : (وشاورهم في الامر) من قبيل الاستحباب لتطييب نفوس المسلمين وتأليف قلوبهم ، ولتمهيد سُنة المشاورة وليقتدى من بعده ، فقد علم الله أنه (الرسول) ما به اليهم (المسلمين) من حاجة ، فهو مستغن عنهم بالوحي ، ولكن أراد أن يستن به من بعده .

وقد ذهب أصحاب هذا الرأي ، الى أن الشورى وان كانت غير واجبة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهي واجبة ومحتمة على غيره من المسلمين،

---

(٣٩) انظر التفاصيل في تفسير المنار (٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٣) .

وجب العمل بها دائما .[٤٠]

وذهب رأي آخر ، الى أن الأمر الوارد في الآية الكريمة : (وشاورهم في الأمر) إنما ورد على سبيل الوجوب والالزام فيما لم يرد فيه وحي ، فقد يكون لدى المسلمين ما ينتفع به ، ومن ثم كان على النبي صلى الله عليه وسلم العمل بالشورى [٤١] .

وبمقتضى هذا الرأي ، أنه اذا كان يتحتم على النبي صلى الله عليه وسلم العمل بالشورى ، فان العمل بالشورى يقع من باب أولى كواجب حتمي على المسلمين .

والذي يستشف من هذين الرأيين ، أنه وإن كانا قد اختلفا على مدى التزام النبي صلى الله عليه وسلم بقاعدة الشورى ، فان الاتفاق قد وقع بينهما على أن الشورى واجبة على غيره من المسلمين ويتحتم عليهم العمل بها .

ويذهب بعض الفقهاء الى أن عدم التزام الحكام بالعمل بالشورى موجب للعزل [٤٢] .

وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، تثبت بأنه كان يطبق مبدأ الشورى تطبيقاً يتسم بالحرص الشديد ، ويبدو أن الذين تبنوا رأي : بأن النبي صلى

---

(٤٠) تفسير القرطبي (٢٥٠/٤) وتفسير الكشاف للزمخشري (٣٣١/١) وتفسير ابن كثير (٢٧٥/٢ ـ ٢٧٧) وتفسير الرازي (٨٢/٣ ـ ٨٣) .

(٤١) تفسير الكشاف للزمخشري (٣٣١/١) وتفسير ابن كثير (٢٧٥ ـ ٢٧٧) وتفسير الرازي (٨٣/٣) والفتوحات الالهية للعجيلي (٣٢٣/١) وتفسير القرطبي (٢٥٠/٤) .

(٤٢) جاء في تفسير القرطبي (٢٤٩/٤) : قال ابن عطية : « والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الاحكام ، من لايستشير أهل العلم والدين عزله واجب » ، وانظر البحر المحيط لابي حيان (٩٩/٣) ، ونظام الحكم والادارة للمستشار علي علي منصور (٢٦٩) والاسلام نظام انساني (٦٠) . وراجع منح الجليل لابي عبدالله محمد احمد عليش ـ القاهرة ـ ١٢٩٤ هـ ـ (١٦٠/٤) : «من لم يستشر اهل العلم والدين ، فعزله واجب، وهذا مما لا خلاف فيه » .

الله عليه وسلم لم يكن يتحتم عليه الأخذ بالشورى ، أرادوا الثناء المستطاب عليه بأسلوبهم الخاص ، ولهم على نيتهم الحسنة الأجر ، وأرى أن الثناء الحق على النبي صلى الله عليه وسلم يكون بالأخذ بالرأي الذي يثبت التزامه بالشورى على سبيل الوجوب ، فهو القدوة الصالحة والأسوة الحسنة ، وحياته العملية المباركة في الأخذ بمبدأ الشورى خير دليل .

أما الأمور التي يجب أن تجري فيها الشورى ، فهي الأمور الدنيوية والدينية التي ليس مدارها على الوحي والتي لم يرد فيها نص من كتاب أو سنة أو اجماع [٤٣] . وذلك مثل أمور السياسة والحرب المبنية على المصلحة العامة مثل : تحصين الثغور ، وتسيير الجيوش ، واعلان الحرب ، وعقد المعاهدات ، وتولية المناصب المهمة في الدولة ، واعطاء العطايا لمستحقيها ، وفرض الضرائب والاعفاء منها ، وتقسيم الغنائم والفيء ، ومسائل المواريث، وغيرها من الأمور التي تجوز أن تكون محلا للاجتهاد ، وكذلك طرق تنفيذ النصوص في بعض الأمور ، لأنها قد تختلف باختلاف الزمان والمكان [٤٤].

أما شئون الدين المحضة التي مدارها على الوحي ، كالعقائد والحلال والحرام ، والتي أصبحت معلومة من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج وتحريم الزنا والسرقة والقتل وشرب الخمر وكل ماغلب عليه معنى التعبد ، فليس لأفراد الأمة رأي ولا مشورة ، اذا أنه لامجال للاجتهاد

---

(٤٣) يلاحظ انه اذا كان سند الاجماع هو المصلحة ، فانه يجوز ان تكون المسألة التي تم عليها الاجماع محلا للشورى ، كما يلاحظ ان الشورى تجرى في الامور الدينية والدنيوية بعد عصر النبوة ، اما في عصر النبوة فانها تقتصر على الامور الدنيوية دون غيرها .

(٤٤) مثل موضوع : المؤلفة قلوبهم ، وموضوع تقسيم ارض السواد في العراق على المقاتلين ، وقد ذكر الجصاص في تفسيره : أحكام القرآن (٣٤/٢ ـ ٣٥) : « الاستشارة تكون في أمور الدنيا وفي أمور الدين التي لا وحي فيها ...... » ، وانظر رسالة في الخلافة الاسلامية للجوهري (٧١) ، ونظام الحكم والادارة (٢٦٩ ـ ٢٧٠) .

فيما ، وما الرسول صلى عليه وسلم لهذه الأمور الا مبلغاً ونذيراً ، وما أفراد الأمة الا مطيعين ومنفذين [٤٥] .

ويمكن اجمال القول ، بأن الشورى يجب أن تجري في كل الأمور التي فيها الاجتهاد ، وتنحصر عن الأمور التي لايجوز فيها الاجتهاد [٤٦] .

تلك هي لمحات في اهمية الشورى التي جعلتها مبدأ من أهم مبادىء الحكم في الاسلام تقود العاملين بها نصاً وروحاً الى الخير في أيام السلام والى النصر في أيام الحرب ، والى سعادة الأمة افرادا وجماعات وحكاماً ومحكومين .

---

(٤٥) تفسير القرطبي (٢٥٠/٤) والبحر المحيط لابي حيان (٩٨/٣ ـ ٩٩) وتفسير المنار (٢٠٠/٤) ورسالة في الخلافة الاسلامية للجوهرى (٧١) ونظام الحكم الاسلامي ـ الدكتور محمود حلمى ـ ط١ ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ ـ (١٥٣ ـ ١٥٤) .

(٤٦) تفسير الرازي (٨٢/٣ ـ ٨٣) .

تطبيقات الشورى العسكرية في عهد الرسالة

١ ـ في غزوة بدر الكبرى(١) :

أ ـ في مسير الاقتراب(٢) :

خرج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من المدينة المنورة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية الهجرية(٣) على رأس أصحابه قاصداً موقع (بَدْر) ، حتى إذا كان دون بدر ، أتاه الخبر بمسير قريش ، ليمنعوا قافلتهم التجارية القادمة من الشام إلى مكّة ، فاستشار الناس ، وأخبرهم عن قريش . وقام أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ، فقال وأحسن ، ثمّ قام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فقال وأحسن . ثم قام المِقْداد بن عمرو (٤) ، فقال : « يا رسول الله ! امْضِ لِمَا أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (فاذْهَبْ أنْتَ وَرَبُّكَ فقاتلاَ إنّا هَهُنَا قَاعِدُونَ)(٥) ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سِرْتَ بنا إلى (بَرْكِ الغِمَاد) (٦) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » ، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيراً ، ودعا له .

---

(١) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينة ، وبين بدر والمدينة سبعة برد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٨٨ ـ ٨٩) وجرى في موقع بدر غزوة حاسمة بين المسلمين من جهة ومشركي قريش من جهة ثانية ، انتصر المسلمون فيها على المشركين انتصاراً حاسما ، وكانت الغزوة يوم الجمعة في اليوم السابع عشر من رمضان من السنة الثانية الهجرية ، انظر جوامع السيرة لابن حزم (١١٣) والدرر لابن عبد البر (١١٤) .

(٢) مسير الاقتراب : مسير القوات المقاتلة من قاعدتها الى موقع القتال ؛ وكان مسير الاقتراب من المدينة المنورة الى بدر .

(٣) الدرر (١١٠) وجوامع السيرة (١٠٧) .

(٤) المقداد بن عمرو : المعروف بالمقداد بن الاسود ، وهذا الاسود الذى ينسب اليه هو : الاسود بن عبد يغوث الزهرى القرشى ، وانما نسب اليه لان المقداد حالفه فتبناه الاسود فنسب اليه . ويقال أيضاً : المقداد =

ثم قال الله صلى الله عليه وسلم : «أشيروا عَلَيَّ أيها الناس» ، وانما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عـدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة[٧] قـالوا : « يارسول الله ! انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا ، فاذا وصلت الينـا

=

الكندى . وانما قيل له ذلك لانه اصاب دماً في بهراء فهرب منها الى كندة فحالفهم ، ثـم اصاب فيهـم دماً فهـرب الى مكـة ، فحالف الاسود بن عبد يغوث . وقيـل : هو حضرمى ، وحالف أبوه كندة فنسب اليها ، وحالف هو الاسود بـن عبد يغوث فنسب اليه والصحيح انـه بهراوى ، وكنيته : ابو معبد ، وهو قديم الاسلام من السابقين ، وكان من اول من اظهر الاسلام بمكة . هاجر الى أرض الحبشة ، ثم عاد الى مكة ، فلم يقدر على الهجرة الى المدينة لما هاجر اليها النبي صلى اللـه عليه وسلم ، فبقي الى أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبيدة بـن الحارث في سرية ، فلقوا جمعا من المشركين ، وكان المقداد وعتبة بـن غزوان قد خرجا مع المشركين ليتوصلا الى المسلمين ، فتواقفت الطائفتان ولم يكن قتال ، فانحاز المقداد وعتبة الى المسلمين ، شهد بدراً وله فيها مقام مشهود في الشورى والقتال ، وشهد المقداد غزوة بدر الكبرى فارساً . وشهد أحداً ايضاً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومناقبه كثيرة . وشهد فتح مصر على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وروى عـن النبي صلى الله عليه وسلـم اثنين واربعين حديثاً وروى عنه من الصحابة علي بن أبي طالب وابن عباس رضى اللـه عنهما ، توفي بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ومات بأرض له بالجرف في ضواحي المدينة وحمل الى المدينة ، واوصى الى الزبير بن العوام رضى الله عنه ، وكان عمره سبعين سنة ، وكان رجلا ضخماً ، انظر التفاصيل في : طبقات ابن سعد (١٦١/٣ ـ ١٦٣) واسد الغابة (٤٠٩/٤ ـ ٤١١) و الاستيعاب (١٤٨٠/٤ ـ ١٤٨٢) والاصابة (١٣٣/٦ ـ ١٣٤) واسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة (٢٨٠) .

(٥) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٢٤) .

(٦) برك الغماد : موضع على ثمان ليال من مكة الى اليمن ، انظر مغازى الواقدى (٤٨/١) ، وهو موضع في اليمن ، ويقال : هو أقصى حجر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٤٩/٢) .

(٧) العقبة : جبل بين منى ومكة ، وبين العقبة ومكة نحو ميلين ، ومنها ترمى جمرة العقبة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩١/٧) .

فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا » ، فكان رسول الله صلى عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه [٨] بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو في بلادهم . فلما قال ذلك رسول صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ[٩] : « والله لكأنك تريدنا يارسول الله ! » ، قال : « أجل » ، قال : «فقد آمنا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك

---

(٨) دهمه : اى فجاه ، يقال : دهمتهم الخيل ، اذا فاجأتهم على غير استعداد .

(٩) سعد بن معاذ الانصارى الاوسي : من بنى عبد الاشهل ، سيد الاوس ، كنيته ابو عمرو ، اسلم بين العقبة الاولى والثانية بالمدينة على يدى مصعب بن عمير . ولما اسلم خرج حتى اتى دار بنى عبد الاشهل فقال لهم : « ان كلام رجالكم ونسائكم على حرام ، حتى تؤمنوا بالله وحده ، وتشهدوا الا اله الا الله ، وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله» ، فما امسى من ذلك اليوم في دار بنى الاشهل رجل ولا امراة الا مسلما ، فكان من اعظم الناس بركة في الاسلام . ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة كان سعد بن معاذ من اكثر الانصار عوناً للمسلمين ومعاونة لهم . شهد بدراً واحداً والخندق ، وكان له موقف مشهور في بدر في المشورة وفي القتال ، كما ابلى بلاء حسناً في الفزوات الاخرى . وفي غزوة الخندق رمى فقطع اكحله بسهم من سهام المشركين ، فأخلاه النبي صلى الله عليه وسلم الى خيمة التمريض في المسجد ، وكان عليه الصلاة والسلام يعوده . وفي غزوة بنى قريظة نزلت يهود على حكمه ، وكانوا قد خانوا الله ورسوله واتفقوا مع الاحزاب على المسلمين ، فكان حكم سعد في حلفائه بنى قريظة ، أن تقتل رجالهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم ، ثم نزف جرحه فمات سنة خمس الهجرية ، فشيع الى مثواه الاخير تشييعاً حافلا شارك فيه النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر والمهاجرون والانصار ، وحزن المسلمون عليه حزناً عظيماً ، انظر التفاصيل في : طبقات ابن سعد (٤٢٠/٣ ــ ٤٣٦) واسد الفابة (٢٩٦/٢ ــ ٢٩٩) والاستيعاب (٦٠٢/٢ ــ ٦٠٥) والاصابة (٨٧/٣ ــ ٨٨) وتهذيب الاسماء واللفات (٢١٤/١ ــ ٢١٥) والاستبصار في نسب الصحابة من الانصار (٢٠٥ ــ ٢١١) والبداية والنهاية (١٢٦/٤ ــ ١٣٠) .

على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى بنا عدونا غداً ، انا لصبر في الحرب صدق [10] في اللقاء ، لعل الله يريك ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : « سيروا على بركة الله وأبشروا ، فان الله قد وعدني احدى الطائفتين[11] ، والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم » [12] .

وكان لهذه الشورى العسكرية أثرها العظيم في ابراز ارادة القتال في المسلمين ، واستعدادهم للجهاد بقيادة واحدة لتحقيق هدف واحد ، كما رفعت معنويات المسلمين بعد انكشاف نياتهم ، ولم يبق لدى المهاجرين شك في نيات الأنصار ، فازداد التلاحم بين المهاجرين والأنصار ارتباطاً ورسوخاً في الحرب ، كما كان قد ازداد بعد الهجرة ارتباطاً ورسوخاً في السلام .

ب . قبيل نشوب القتال :

أولا : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً الى ماء بدر ، فنزل عليه السلام على أدنى ماء من مياه بدر الى المدينة ، ثم قال لأصحابه : «أشيروا علي في المنزل »[13] ، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح [14] : « يا رسول

---

(١٠) صبر : جمع صبور . وصدق : جمع صدق ، وهو الثابت عند اللقاء .

(١١) احدى الطائفتين : يريد العير اي قافلة قريش التجارية ، او النفير اي قوة قريش التي خرجت لقتال المسلمين .

(١٢) سيرة ابي هشام (٢/٢٥٣ - ٢٥٤) وطبقات ابي سعد (٢/١٤) ومغازي الواقدي (١/٤٨ - ٤٩) والاستبصار (٢٠٨ - ٢٠٩) والطبري (٢/٤٣٤ - ٤٣٥) وابن الاثير (٢/١٢٠) وانظر جوامع السيرة (١٠٩) والدرر (١١١) .

(١٣) مغازي الواقدي (١/٥٣) ، وقد انفرد الواقدي بأن النبي صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه بالمنزل ، اما سائر المصادر ، فتذكر ان الحباب هو الذي بادر باسداء المشورة .

(١٤) الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري الخزرجي السلمي : كنيته ابو =

الله ! أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ » ، قال : «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». قال : «يا رسول الله ! فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نعور [15] ما وراءه من القلب [16] ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد أشرت بالرأي» ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فعورت ، وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية [17] .

وسواء استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بصلاحية المنزل الذي استقر فيه المسلمون في بدر ، فأبدى الحباب رأيه في ضرورة تبديل المنزل الى منزل مناسب آخر ، أم أن الحباب بادر بابداء المشورة للنبي صلى

=

عمرو . شهد بدرا وهو ابن ثلاث وثلاثين . وكان صاحب المشورة التي ذكرناها . وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقال له : ذو الراي ، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، انظر سيرته المفصلة في : طبقات ابن سعد (٥٦٥/٣ – ٥٦٨) واسد الغابة (٣٦٤/١ – ٣٦٥) والاستيعاب (٣١٦/١) والاصابة (٣١٦/١ – ٣١٧) والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (١٥٧ – ١٥٨).

(١٥) نعور : تروي هذه الكلمة بالعين المهملة ، ومعناها على ذلك : نفسد ، وذلك بأن يقذفوا بالقلب احجاراً اوتراباً فيفسدوها على اعدائهم . وتروى بالغين المعجمة ، ومعناها حينئذ : نجعلها تغور في الأرض ، وهو قريب من سابقه .

(١٦) القلب : جمع قلب ، وهو البئر ، والبئر يذكر ويؤنث . وسميت قليباً : لأن ترابها قلبت ، انظر لسان العرب (١٨٢/٢ – ١٨٣) .

(١٧) سيرة ابن هشام (٢٥٩/٢ – ٢٦٠) وطبقات ابن سعد (١٥/٢) ومغازى الواقدي (٥٣/١ – ٥٤) وتفسير ابن كثير (٤٣٠/١) وتفسير المنار (٢٠٠/٤) وابن الأثير (١٢٢/٢) وجوامع السيرة (١١٢) والدرر (١١٢) .

الله عليه وسلم من تلقاء نفسه واقترح تبديل المنزل المناسب بالمنزل غير المناسب ، فان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بتلك المشورة ، ونفذ مضمونها وأثنى على صاحبها . وما حل نصف الليل حتى تحول المسلمون الى معسكرهم الجديد ، وامتلكوا مواقع الماء ، وأعلن الرسول القائد عليه الصلاة والسلام لأصحابه : « أنه بشر مثلهم ، وأن الأمر شورى بينهم ، وأنه لايقطع برأي دونهم ، وأنه بحاجة الى حسن مشورة صاحب المشورة منهم » (١٨) ، وكان لنقص الماء عند المشركين يوم القتال أثر كبير في اندحارهم(١٩) .

ثانياً : ثم ان سعد بن معاذ رضي الله عنه ، قال : «يانبي الله ! ألا نبني لك عريشاً (٢٠) تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبيّ ما نحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم : يناصحونك ، ويجاهدون معك » ، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير ، ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه (٢٨) . وقد بنى العريش من جريد ، فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشحاً السيف ، ودخله النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق (٢٢) . وهكذا أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام برأي سعد بن معاذ في بناء العريش ، وهو مقر قيادة المعركة ، وكان للمقر حراسة ، مما سهل

---

(١٨) الرسول القائد ــ ط ٥ (١٠٧) .

(١٩) الرسول القائد (١٢٤) .

(٢٠) العريش : ما يستظل به ، وهو خيمة من خشب وثمام ، وهو المراد هنا ، انظر ترتيب القاموس المحيط (١٦٦/٣) .

(٢١) سيرة ابن هشام (٢٦٠/٢) والطبري (٤٤٠/٢ ــ ٤٤١) وابن الأثير (١٢٢/٢) .

(٢٢) طبقات ابن سعد (١٥/٢) ومغازي الواقدي (٥٥/١) .

السيطرة على سير القتال [٢٣] .

ومن المعلوم ، أن اختيار المقر التبعوي الأمين المشرف على ساحة المعركة، يؤدي الى السيطرة على سير القتال بيسر وكفاية ، وهو عامل من عوامل احراز النصر .

ج ـ بعد المعركة :

استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما في أسرى بدر ، فاختلف رأيهما ، فقال لهما : «لو اجتمعتما ما عصيتكما» ، وكان رأيه موافقاً لرأي أبي بكر ، فأنفذه [٢٤] .

وكان أبو بكر يلين النبي صلى عليه وسلم ويفثؤه [٢٥] ويقول : «يارسول الله ! بأبي أنت وأمي ! قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والاخوان وبنو العم ، وأبعدهم منك قريب ، فامنن عليهم منّ الله عليك ، أوفادهم يستنقذهم الله بك من النار ، فتأخذ منهم ما أخذت قوة للمسلمين ، فلعل الله يقبل بقلوبهم اليك !» . ثم قام أبو بكر فتنحى ناحية ، وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه . ثم جاء عمر بن الخطاب فجلس مجلس أبي بكر ، فقال : «يارسول الله ! هم أعداء الله ، كذبوك وقاتلوك وأخرجوك ! اضرب رقابهم ، هم رءوس الكفر وأئمة الضلالة ، يوطىء الله عز وجل بهم الاسلام ، ويذل بهم أهل الشرك» ، فسكت رسول الله صلى الله وسلم فلم يجبه . وعاد أبو بكر الى مقعده الأول فقال : «يارسول الله ! بأبي أنت وأمي!قومك فيهم الآباء والابناء والعمومة والاخوان وبنو العم وابعدهم منك

---

(٢٣) الرسول القائد (١١٥) ، وجاء في (١٢٢) : كما طبق الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام لأول مرة شروط انتخاب المقر الملائم وامن حراسته وانظر ماجاء في الرسول القائد (١١٥) عن الشورى العسكرية .

(٢٤) تفسير ابن كثير (٤٢٠/١) وسنن البيهقي (١٠٩/١٠) والمستدرك للحاكم النيسابوري (٢١/٣ ـ ٢٢) وتخليص المستدرك للذهبي (٢١/٣ ـ ٢٢) والمسند للامام احمد بن حنبل (٢٦٣٢/٥ ـ ٢٦٣٣) والترمذي (٣٢٠/١).

(٢٥) فثأت الرجل : اذا سكنت غضبه ، انظر الصحاح (٦٢) .

قريب،فامنن عليهم أوفادهم،هم عترتك[٢٦]وقومك،لاتكن أول من يستأصلهم يهديهم الله خير من أن تهلكهم» ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يرد عليه شيئاً ، فتنحى أبو بكر ناحية . وقام عمر بن الخطاب فجلس مجلسه وقال : «يارسول الله ! ماتنظر بهم ؟ اضرب أعناقهم يوطىء الله الله بهم الأسلام ويذل أهل الشرك ، هم أعداء الله ، كذبوك وقاتلوك وأخرجوك ! يارسول الله ! اشف صدور المؤمنين ، لو قدروا على مثل هذا منا ما أقالونا أبدا !» ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه. وأعاد أبو بكر محاولته لانقاذ حياة الأسرى ، كما أعاد عمر محاولته لقتل الأسرى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل قبته فمكث فيها ساعة ، ثم خرج والناس يخوضون في شأنهم ، وقبل رسول الله منهم الفداء [٢٧] . وقال يومئذ لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب : «لو اجتمعتما ما عصيتكما » ، وكان رأيه موافقاً لرأي أبي بكر ، فأنفذه .

د. ما ليس في المصادر :

ذكرنا ما ورد في المصادر المعتمدة عن التطبيق العملي للشورى العسكرية في غزوة بدر الكبرى ، ولم يرد شيء في تلك المصادر عن التطبيق العملي للشورى العسكرية في صفحة نشوب القتال ، وهي من أهم صفحات القتال ان لم تكن أهمها على الاطلاق .

---

(٢٦) عترة الرجل : أخص أقاربه ، انظر النهاية (٣/٦٥) .

(٢٧) انظر التفاصيل في : مغازي الواقدي (١/١٠٧ ـ ١١٠) ، وفيه : وكان سعد بن معاذ يقول « اقتل ولا تأخذ الفداء» ، انظر (١/١١٠) ، وكان الأسرى قد وزعهم الرسول صلى الله عليه وسلم على صحابته قائلا : «استوصوا بالأسارى خيراً» ، ثم فادى اغنياء الأسرى بالمال،فكان الواحد منهم يدفع مابين الألف درهم الى أربعة الاف درهم .
أما فقراء الأسرى ، فأطلق سراح قسم منهم دون مقابل ، كما كان فداء المتعلمين من الأسرى تعليم اطفال المسلمين القراءة والكتابة ، انظر : الرسول القائد (١٢٥ ـ ١٢٦) .

ولكن ورد في بعض المصادر ، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه . كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في العريش ، وهو المقر التعبوي لمعركة بدر الحاسمة ، قبل نشوب القتال وبعد نشوب القتال ، حتى انتهت تلك المعركة بانتصار المسلمين الحاسم على المشركين • ومن المعلوم أن أبا بكر كان صاحب رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره ومستشاره وساعده الأيمن ، وهو من هو ذكاء وعقلا وأمانة وإخلاصاً ورأياً سديدا •

كما كان سعد بن معاذ الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من هو عقلا وأمانة واخلاصاً ورأياً سديداً ، وقد كان موضع استشارة النبي صلى الله عليه وسلم •

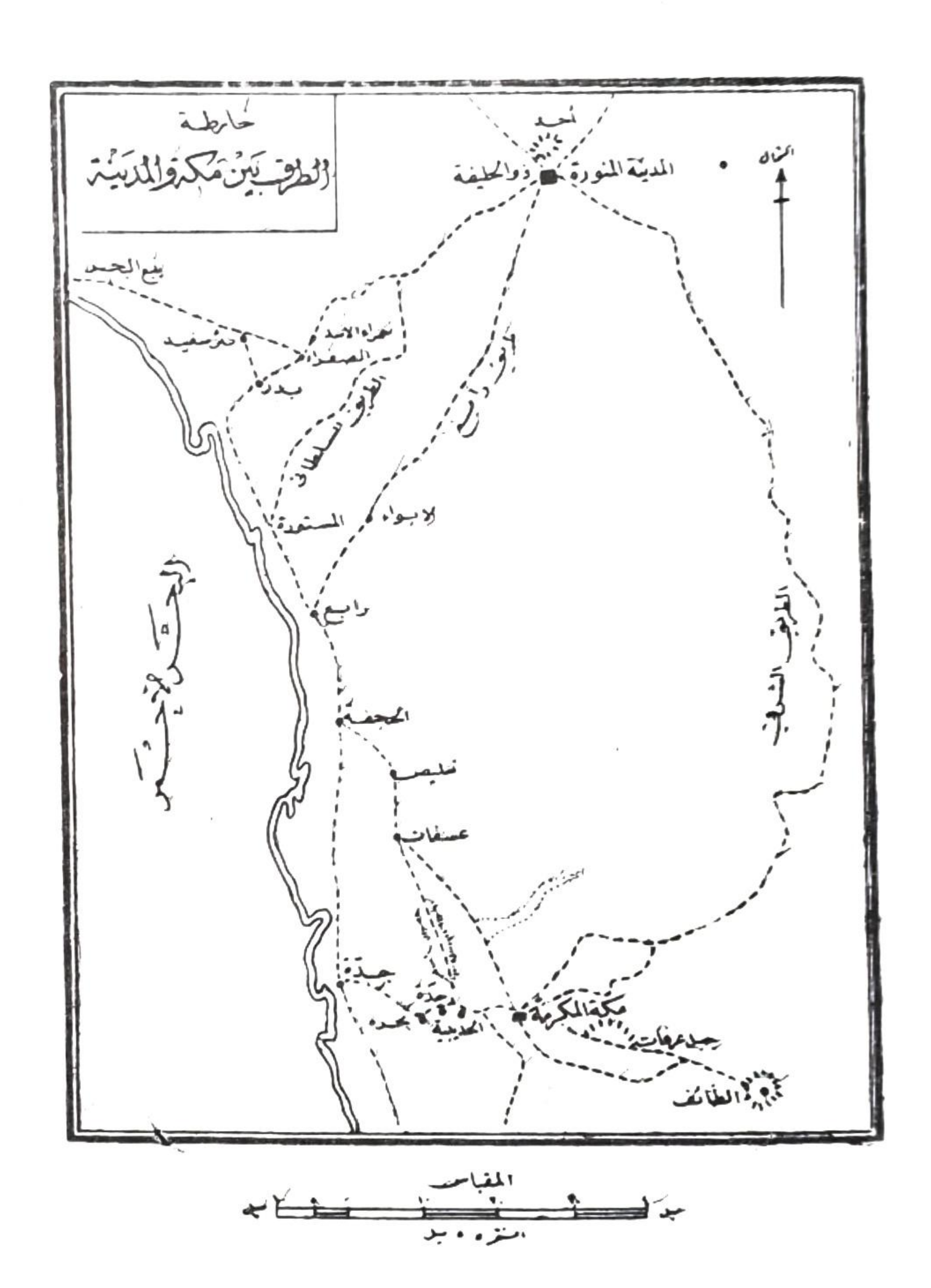
إن وجود أبى بكر الصديق وسعد بن معاذ الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم في العريش في صفحة نشوب القتال يوم بدر ، وحرص النبي صلى الله عليه وسلم على الاستشارة في كل أموره ومنها العسكرية ، يؤشر بوضوح أن صفحة نشوب القتال في بدر ، كانت هي الأخرى حافلة بالاستشارات العسكرية ، على الرغم من سكوت المصادر المعتمدة عن بحث نوعية تلك الاستشارة والآراء التي عرضت في تلك الساعات الحاسمة من تاريخ الاسلام والمسلمين •

٢ • في غزوة احد (٢٨) :

كانت غزوة أحد يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال من السنة

---

(٢٨) احد : جبل شمالي المدينة المنورة ، بينه وبينها قرابة ميل واحد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/١٣٣) ، وانظر ماجاء عن هذه الغزوة في : مغازى الواقدي (١/١٩٩) وسيرة ابن هشام (٣/٣) وطبقات ابن سعد (٢/١٥٦) والطبري (٢/٤٩٩) وابن الأثير (٢/١٤٨) والبداية والنهاية (٤/٩) وانساب الأشراف (١/١٤٨) وابن سيد الناس (٢/٢) وزاد المعاد (٢/٢٣١) والامتاع (١١٤) والمواهب (١/١١٩) وتاريخ الخميس (١/٤١٩) وصحيح البخاري (٥/٩٣) وجوامع السيرة (١٥٦) والدرر (١٥٣) .


خارطة
الطرق بين مكة والمدينة
أحد
المدينة المنورة
ذو الحليفة
الشمال
ينبع البحر
حمراء الاسد
الصفراء
بدر
الطريق السلطاني
الابواء
المستورة
رابغ
البحر الأحمر
الجحفة
خليص
عسفان
الطريق الشرقي
جدة
الحديبية
مكة المكرمة
جبل عرفات
الطائف
المقياس

الثالثة الهجرية [29] .

ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بخروج قريش لحرب المسلمين ووصولهم الى مشارف المدينة المنورة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة السادس من شوال سنة ثلاث الهجرية قبل صلاة الجمعة : « أشيروا علي » .

وقام عبدالله بن أبي بن سلول [30] فقال : «يارسول الله ! كنا نقاتل في الجاهلية فيها (يريد المدينة) ونجعل الذراري والنساء في هذه الصياصي[31] ، ونجعل معهم الحجارة . والله ، لربما مكث الولدان شهراً ينقلون الحجارة إعداداً لعدونا ، ونشبك المدينة بالبنيان . فتكون كالحصن من كل ناحية ، وترمي المرأة والصبي من فوق الصياصي والآطام [32] ، ونقاتل بأسيافنا في في السكك . يا رسول الله ! إن مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط ، وما خرجنا الى عدو قط الا أصاب منا ، وما دخل علينا قط الا أصبناه ، فدعهم يارسول الله ، فانهم ان أقاموا أقاموا بشر محبس ، وان رجعوا رجعوا خائبين مغلوبين ، لم ينالوا خيرا . يا رسول الله ! أطعني في هذا الأمر ، واعلم أني ورثت هذا الرأي من أكابر قومي وأهل الرأي منهم ، فهم كانوا أهل الحرب والتجربة ». وكان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رأي ابن أبي ، وكان ذلك رأي الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين

---

(29) طبقات ابن سعد (2/156) .

(30) عبدالله بن ابي بن سلول الخزرجي : كنيته : ابو عبدالله ، من بني الحبلي الخزرج ، رئيس المنافقين ، وهو الذي قال : «لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» ، قال ابنه عبدالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «هو والله الذليل وانت العزيز» ، واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ليقتل اباه ، فأمره ان يبر اباه ويحسن صحبته، توفى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . انظر الاستبصار (184 — 185) وجمهرة انساب العرب (354 — 355) .

(31) الصياصي : جمع الصيصة ، وهي الحصن .

(32) الآطام : جمع الأطم : الحصن ، والبيت المرتفع .

والأنصار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امكثوا في المدينة ، واجعلوا النساء والذراري في الآطام ، فان دخلوا علينا قاتلناهم في الأزقة ، فنحن أعلم بها منهم ، وارموا من فوق الصياصي والآطام » .

وقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً ، وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج الى عدوهم ، ورغبوا في الشهادة ، وأحبوا لقاء العدو : « اخرج بنا الى عدونا » .

وقال رجال من أهل السن وأهل النية [٣٣] ، من المهاجرين والأنصار : « إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج اليهم جبناً عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل ، فظفرك الله عليهم ، ونحن اليوم بشر كثير . قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به ، فقد ساقه الله الينا في ساحتنا » ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرى من إلحاحهم كاره ، وقد لبسوا السلاح يخطرون بسيوفهم يتسامون [٣٤] كأنهم الفحول .

وقال مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري[٣٥] : « يارسول الله ! نحن والله بين احدى الحسنيين ، إما يظفرنا الله بهم ، فهذا الذي نريد ، فيذلهم الله لنا ، فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر ، فلا يبقى منهم الا الشريد . والأخرى يارسول الله ، يرزقنا الله الشهادة . والله

---

(٣٣) في مغازي الواقدي (٢١٠/١) : منهم حمزة بن عبدالمطلب ، وسعد بن عبادة ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة ، في غيرهم من الأوس والخزرج .

(٣٤) يتسامون : يتبارون ، انظر القاموس المحيط (٣٤٤/٤) .

(٣٥) مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي : من بني خدرة بن عوف بن الحارث ابن الخزرج ، وهو أبو أبي سعيد الخدري ، استشهد يوم احد ، قتله عراب بن سفيان الكناني ، انظر التفاصيل في : أسد الغابة (٢٨١/٤) والاصابة (٢٥/٦) والاستيعاب (١٣٥٢/٤) والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (١٢٨) ، وانظر أنساب الأشراف (٣٢١/١ و ٣٣٠) وسيرة ابن هشام (٧٩/٣) .

يارسول الله ، ما أبالي أيهما كان ، ان كلا لفيه الخير » ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال حمزة بن عبدالمطاب[٣٦] رضي الله عنه: «والذي أنزل عليك الكتاب،

---

(٣٦) حمزة بن عبدالمطاب : امه هالة بنت وهيب بن عبدمناف بن زهرة وهي ابنة عم آمنة بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو شقيق صفية بنت عبد المطلب ام الزبير بن العوام ، وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوه من الرضاعة ، وكان حمزة اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ، وهو سيد الشهداء . وكان سبب اسلام حمزة ، ان ابا جهل اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم فآذاه وشتمه ونال منه مايكره من العيب لدينه والتضعيف له ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما علم بما حدث غضب حمزة وقصد ابا جهل وضربه ضربة شج بها راسه ، ثم اعلن لقريش اسلامه ، فعز الاسلام باسلامه . هاجر الى المدينة وشهد بدرا وابلى فيها بلاء عظيما ، وقتل شيبة بن ربيعة احد زعماء قريش البارزين وشارك في قتل عتبة بن ربيعة . وكان من قادة النبي صلى الله عليه وسلم . شهد غزوة احد ، وقتل بها يوم السبت السابع من شوال سنة ثلاث الهجرية ، وكان قتل من المشركين قبل ان يقتل احدا وثلاثين رجلا ، وكان يقاتل يومئذ بسيفين . وبينما كان يقاتل يوم احد ، عثر عثرة وقع منها على ظهره ، فانكشف الدرع عن بطنه ، فزرقه وحشى الحبشي مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله . ومثل به المشركون وبجميع قتلى احد ، وجعل نساء المشركين : هند بنت عتبة وصواحبها يجدعن انوف المسلمين وآذانهم ويبقرون بطونهم ، وبقرت هند بطن حمزة فأخرجت كبده ، فجعلت تلوكها فلم تسغها ، فلفظتها . ولما شهده النبي صلى الله عليه وسلم اشتد وجده عليه ، ووقف النبي صلى الله عليه وسلم على حمزة ، وقد مثل به ، فلم ير منظرا كان اوجع لقلبه منه ، فقال : « رحمك الله اي عم ، فلقد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات » . وروى جابر بن عبدالله قال : « لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا ، بكى . فلما راى ما مثل به شهق وقال : لولا ان تجد صفية لتركته حتى يحشر في بطون الطير والسباع ، وكان عمر حمزة يوم قتل سبعا وخمسين سنة . وصلى النبي صلى الله عليه وسلم على حمزة ، فكبر سبع تكبيرات ، ثم لم يؤت بقتيل الا صلى عليه معه ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ، وكان حمزة اول شهيد صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفن حمزة مع ابن اخته عبدالله بن
=

لا أطعم اليوم حتى أجالدهم بسيفي خارجا من المدينة »[٣٦] .

وقال النعمان بن مالك بن ثعلبة أخو بني سالم [٣٧] : « .... انه سيكون قتلى من أصحابك ، وأنا منهم ، فلم تحرمنا الجنة ؟ فوالذي لا اله الا هو لأدخلنها » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بم ؟ » ، قال : إني أحب الله ورسوله ، ولا أفر يوم الزحف » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدقت » ، فاستشهد يومئذ .

وقال إياس بن أوس بن عتيك [٣٨] : « ... نرجو يارسول الله أن نذبح في القوم ويذبح فينا ، فنصير الى الجنة ويصيرون الى النار ، مع أني يارسول الله لا أحب أن ترجع قريش الى قومها فيقولون : حصرنا محمدا في صياصي يثرب وآطامها ! فيكون هذا جرأة لقريش ، وقد وطئوا سعفنا ، فاذا لم نذب

=

جحش في قبر واحد ، وقد رثاه كثير من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر التفاصيل في : طبقات ابن سعد (٣/٨ ـ ١٩) واسد الغابة (٤٦/٢ ـ ٥٠) والاصابة (٣٧/٢ ـ ٣٨) والاستيعاب (٣٦٩/١ ـ ٣٧٥) وتهذيب الأسماء واللغات (١٦٨/١ ـ ١٦٩) وسيرة ابن هشام (٤١/٣ ـ ٥٠) والبداية والنهاية (١٧/٤ ـ ٢٢) وانساب الأشراف (٣٢٢/١) وجمهرة انساب العرب (١٧) ومغازي الواقدي (٣٠٩/١ ـ ٣١١) ، وانظر تفاصيل سيرته في كتابنا : قادة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣٧) النعمان بن مالك بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي : وثعلبة بن دعد هو الذي يسمى : قوقل ، وكان قوقل له عز ، وكان يقول للخائف اذا جاءه : « قوقل حيث شئت فانك امن » ، فسمى بنوغنم وبنو سالم كلهم قواقلة ، وكذلك هم في الديوان يدعون بني قوقل . شهد النعمان بدرا واحدا وقتل يومئذ شهيدا ، قتله صفوان بن امية ، انظر : طبقات ابن سعد (٥٤٨/٣) واسد الغابة (٣٨/٥ ـ ٣٩) والاصابة (٢٤٥/٦) والاستيعاب (١٥٠٤/٤ ـ ١٥٠٥) .

(٣٨) اياس بن اوس بن عتيك الأنصاري الاوسي الاشهلي : استشهد يوم احد ، والمعلومات المتيسرة عن سيرته قليلة جدا ، انظر : اسد الغابة (١٥٢/١) والاصابة (٩٠/١) والاستيعاب (١٢٧/١) .

عن عرضنا لم نزرع . وقد كنا يارسول الله في جاهليتنا والعرب يأتوننا ، ولا يطمعون بهذا منا ، حتى نخرج اليهم بأسيافنا نذبهم عنا ، فنحن اليوم أحق إذ أيدنا الله بك ، وعرفنا مصيرنا ، لا نحصر أنفسنا في بيوتنا » .

وقام خيثمة أبو سعد بن خيثمة [٣٩] فقال : « يارسول الله ! إن قريشاً مكثت حولا تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ، ومن تبعها من أحابيشها ، ثم جاءونا قد قادوا الخيل وامتطوا الابل ، حتى نزلوا بساحتنا فيحصروننا في بيوتنا وصياصينا ، ثم يرجعون وافرين لم يكلموا ، فيجرئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا ، ويصيبوا أطرافنا ويضعوا العيون والأرصاد علينا ، مع ما قد صنعوا بحروثنا ، ويجترىء علينا العرب حولنا ، حتى يطمعوا فينا اذا رأونا لم نخرج اليهم ، فنذبهم عن جوارنا ، وعسى الله أن يظفرنا بهم ، فتلك عادة الله عندنا ، أو تكون الاخرى فهي الشهادة . لقد أخطأتني وقعة بدر وقد كنت عليها حريصا ، لقد بلغ من حرصي أن ساهمت ابني في الخروج ، فخرج سهمه ، فرزق الشهادة ، وقد كنت حريصا على الشهادة . وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة ، يسرح في ثمار الجنة وأنهارها وهو يقول : الحق بنا ترفقنا في الجنة ، فقد وجدت

---

(٣٩) خيثمة أبو سعد بن الحارث بن مالك الانصاري الأوسي : والدسعد بن خيثمة ، وقتل يوم احد شهيدا ، قتله هبيرة بن ابي وهب المخزومي، وهذا هو نسبه الصحيح وليس خيثمة بن خيثمة كما جاء في مغازي الواقدي (١/٢١٢) . ولما اراد ابنه سعد الخروج الى بدر ، قال له ابوه : «لابد لاحدنا أن يقيم ، فآثرني بالخروج ، واقم انت مع نسائنا» ، فأبى سعد وقال : «لو كان غير الجنة لاثرتك به ، اني ارجو الشهادة في وجهي هذا» ، فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر ، فقتل شهيدا،انظر:اسد الغابة (٢/١٢٩) و(٢/٢٧٥ ـ ٢٧٦) والأصابة (٢/١٤٥) و (٣/٧٥ ـ ٧٦) والاستيعاب (٢/٤٥٨) و (٢/٥٨٨ ـ ٥٨٩) ، وانظر ايضا طبقات ابن سعد (٣/٦٠٧) في سيرة ابنه الشهيد سعد بن خيثمة الأنصاري الأوسي ، والاستبصار في نسب الصحابة من الانصار (٢٦٥) في سيرة ابنه سعد بن خيثمة ، وانظر سيرته في الاستبصار (٢٦٤ ـ ٢٦٥) .

ما وعدني ربي حقا ! وقد والله أصبحت مشتاقا الى مرافقته في الجنة ، وقد كبرت سني ، ورق عظمي ، وأحببت لقاء ربي ، فادع الله يارسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة » ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقتل بأحد شهيدا .

وقال أنيس بن قتادة [٤٠] : «يارسول الله ! هي احدى الحسنيين ، إما الشهادة ، وإما الغنيمة والظفر في قتلهم » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني أخاف عليكم الهزيمة» .

فلما أبوا إلا الخروج ، صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة بالناس ، ثم وعظ الناس وأمرهم بالجد والجهاد ، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا ، ففرح الناس بذلك ، حيث أعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص الى عدوهم . وكره ذلك المخرج بشر كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم . ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بالناس ، وقد حشد الناس وحضر أهل العوالي[٤١] ، ورفعوا النساء في الاطام . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ، ودخل معه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فعمماه ولبساه ، وصف له الناس ما بين حجرته الى منبره ينتظرون خروجه .

---

(٤٠) انيس بن قتادة : ورد في مغازي الواقدي (٢١٣/١) : انس بن قتادة ، والصواب ما ذكرناه . وهو انيس بن قتادة بن ربيعة بن مطرف بن خالد الأنصاري الأوسي ، شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل يوم أحد شهيدا ، قتله الأخنس بن شريق ، وهو زوج خنساء بنت خذام الأسدية ، وليس لأنيس عقب . انظر سيرته المفصلة في : طبقات ابن سعد (٤٦٤/٣) وأسد الغابة (١٢٦/١) و (١٣٥/١) والاصابة (٧١/١) و (٧٧/١) والاستيعاب (١٠٨/١) و (١١٣/١) والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (٢٩٤) وانظر انساب الأشراف (٣٣٠/١) .

(٤١) العوالي : وهو جمع العالي ضد السافل ، وهو ضيعة بينها وبين المدينة المنورة أربعة أميال ، وقيل ثلاثة وذلك ادناها وابعدها ثمانية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٣٨/٦) .

وجاءهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير[٤٢] فقالا : « قلتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماقلتم ، واستكرهتموه على الخروج ، والأمر ينزل عليه من السماء فردوا اليه ، فما أمركم فافعلوه ، وما رأيتم فيه هوى أو رأى فأطيعوه » . وبينما القوم على ذلك من الأمر ، وبعض القوم يقول : القول ماقال سعد ! وبعضهم محبذ للخروج ، وبعضهم كاره ، اذ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد لبس لأمته [٤٣] ، وقد لبس الدرع فأظهرها، وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من أدم ، واعتم ، وتقلد السيف . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ندموا جميعا على ماصنعوا وقال الذين يلحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ماكان علينا أن نلح على رسول الله في أمر يهوى خلافه» ، وندمهم أهل الرأي الذين كانوا يشيرون بالمقام،

---

(٤٢) اسيد بن حضير : الأنصاري الاوسي الأشهلي ، يكنى ابا يحيى بابنه يحيى، وقيل ابا عيسى كناه بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل كنيته ابو عتيك ، وقيل ابو حضير ، وقيل ابو عمرو . كان ابوه حضير فارس الأوس في حروبهم مع الخزرج ، وكان له حصن واقم ، وكان رئيس الأوس يوم بعاث . اسلم اسيد قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة ، وكان اسلامه بعد العقبة الاولى ، وقيل الثانية ، وكان ابو بكر الصديق رضى الله عنه يكرمه ولا يقدم عليه احدا ، ويقول : «انه لا خلاف عنده » . امه أم اسيد بنت السكن ، وشهد العقبة الثانية وكان نقيباً لبني عبد الأشهل . وقد اختلف في شهوده بدراً ، وشهد احدا وما بعدها من المشاهد ، وشهد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح البيت المقدس . روى عنه ابو سعيد الخدري وانس بن مالك وعائشة رضي الله عنها ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة ، وكان من احسن الناس صوتا بالقرآن الكريم ، وكان أحد العقلاء الكملة اهل الراي ، وله في بيعة أبي بكر أثر عظيم . توفى في شعبان سنة عشرين الهجرية ، وحمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه السرير حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه ، واوصى الى عمر ، فنظر عمر في وصيته فوجد عليه اربعة آلاف دينار ، فباع ثمر نخله اربع سنين بأربعة آلاف وقضى دينه ، انظر : اسد الغابة (١/٩٢ ـ ٩٣) والاصابة (١/٤٨) والاستيعاب (١/٩٢ ـ ٩٤) وانظر المحبر (٧١) والاستبصار (٢١٣ ـ ٢١٦).

(٤٣) اللأمة : الدرع ، وقد يسمى السلاح كله لأمة .

فقالوا : يارسول الله ! ماكان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك ، وما كان لنا أن نستكرهك والأمر الى الله ثم اليك ! فقال : « قد دعوتكم الى هذا الحديث فأبيتم ، ولا ينبغي لنبي اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه» ، ثم قال :«انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم »[٤٤] .

ونزلت في يوم أحد من القرآن الكريم ستون آية من سورة آل عمران[٤٥]،كان من ضمنها مانزل في وصف هذه الشورى وموقف النبي صلى الله عليه وسلم من الذين أشاروا عليه بخلاف رأيه في وقت ابداء آرائهم ، وموقفه بعد أن تكشفت الأمور في القتال وظهر خطل تلك الآراء : (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، إنّ الله يحب المتوكلين) [٤٦] ، وجاء في تفسيرها : كان من أصحابك يامحمد ما كان ، وهو مما يؤاخذون عليه، فلنت لهم وعاملتهم بالحسنى ، لأنك لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، لأن الفضاضة وهي الشراسة والخشونة في المعاملة والمعاشرة ، وهي القسوة المنفرة للناس الذين لايصبرون على معاشرة صاحبها وان كثرت فضائله ورجيت فواضله ، بل يتفرقون ويذهبون من حوله . (فاعف عنهم واستغفر لهم) ، أي لاتؤاخذهم على ما فرطوا ، واسأل الله تعالى أن يغفر لهم ولايؤاخذهم أيضا . (وشاورهم في الأمر)

---

(٤٤) مغازى الواقدي (٢٠٩/١ ـ ٢١٤) ، وانظر سيرة ابن هشام (٧/٣ ـ ٨) وطبقات ابن سعد (٣٨/٢) وجوامع السيرة (١٥٦ ـ ١٥٧) والدرر (١٥٤) والطبري (٥٠٢/٢ ـ ٥٠٣) وابن الأثير (١٥٠/٢) وتفسير المنار (٢٠٦/٤) وتفسير الرازي (٣٣٢/١) و (٨٩/٣) وصحيح البخاري (٩١/٩) وسنن البيهقي (٤٠/٧ ـ ٤١) .

(٤٥) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٥٨/٣ ـ ٧٥) وانظر مغازى الواقدي (٣١٩/١ ـ ٣٣٤) .

(٤٦) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٥٩) ، وانظر تفسير المنار (١٩٨/٤) .

فالشورى هي سياسة الأمة في السلم والحرب ، والخوف والأمن ، وغير ذلك من مصالحهم الدنيوية ، أي دم على المشاورة وواظب عليها وان أخطأوا الرأي فيها ، فان الخير كل الخير في تربيتهم على المشاورة بالعمل ، دون الاقتصار على العمل برأي الرئيس ، وان كان صوابا ، لما في ذلك من النفع لهم في مستقبل حكومتهم ان أقاموا هذا الركن العظيم وهو الشورى ، فان الجمهور أبعد عن الخطأ من الفرد في الأكثر ، والخطر على الأمة في تفويض أمرها الى الرجل الواحد أشد وأكبر . (فاذا عزمت فتوكل على الله) ، أي اذا عزمت بعد المشاورة في الأمر على إمضاء ما ترجحه الشورى ، وأعددت له عدته ؛ فتوكل على الله في إمضائه . (ان الله يحب المتوكلين) ، على حول الله وقوته ، مع العمل في الاسباب بسنته [٤٧] .

وقال البيضاوي في تفسير هذه الآية : عاملهم معاملة العفو والصفح فيما يختص بك ، واطلب المغفرة لهم ، واستظهر برأيهم ، وشاورهم بأمر الحرب وفي كل ما تصح فيه المشاورة [٤٨] .

لقد كان رأي النبي صلى الله عليه وسلم ، أن يبقى في المدينة ، ويدافع عنها ، ويحصنها ويستفيد من تحصيناتها المتيسرة من حصون وأبنية وموانع طبيعية واصطناعية ، وأن يتقبل في المدينة مايسمى : قتال المدن والشوارع ، مما يفيد المدافع ويضرّ المهاجم . ولكنه عليه الصلاة والسلام ، لم يستبد برأيه على الرغم من صوابه ، بل عرض الأمر كله على أصحابه ، واستشارهم ، وكانوا على علم مسبق بتفوق عدوهم العَددي والعُددي عليهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد الدفاع في المدينة ليقلل من خطر تفوق العدو على

---

(٤٧) انظر التفاصيل في تفسير المنار (١٩٨/٤ ـ ٢٠٥) .
(٤٨) تفسير البيضاوي (٩٤) ـ المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥هـ ، وحاشية الشهاب المسماة : عناية القاضي وكفاية الراضي في تفسير البيضاوي (٧٦/٣) ، وحاشية زادة على تفسير البيضاوي (٦٨٢/١) ـ مطبعة بولاق سنة ١٢٦٣هـ .

المسلمين ، فأبدى كل صحابي اراد ابداء رأيه ما أراد على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنصت الى آرائهم المتعاقبة دون كلل ولا ملل ولا مقاطعة ، ودعا لمن سأله الدعاء ، وشجع أصحابه على إبداء الرأي حتى ولو كان مخالفا لرأيه الصريح ، وهذا دليل ما بعده دليل على حرية إبداء الرأي بكل مظاهرها وصورها وأشكالها وروحها . ولما وجد أن آراء الغالبية مع الخروج ، أخذ بهذا الرأي المخالف لرأيه ، والتزم بتطبيقه وتنفيذه حتى بعد أن تنازل أصحاب ذلك الرأي المخالف عن رأيهم ، لأنه قرر أن يأخذ برأيهم وعزم على الالتزام به ، فما ينبغي أن يبدل قراره بعد أن عزم على تنفيذه ، وكل هذه الصورة الحية هو تطبيق عملي رائع لمبدأ الشورى ، ودليل على اهتمام الشارع سبحانه وتعالى بأمر الشورى ، وجعلها دعامة من الدعائم التي يقوم عليها نظام الحكم في الاسلام .

وقد تطورت الشورى واتخذت لها أسماء كثيرة وصورا متعددة وتطبيقات شتى ، ولا أعرف أسلوبا قديما للشورى أو حديثا ، له ما لأسلوب الشورى الاسلامية من قدسية العمل به في مختلف الظروف والأحوال حتى مع من كانت آراؤهم غير صائبة ، فأمثال هؤلاء حتى في العصر الحديث بعد خمسة عشر قرنا من الهجرة ، في الدول التي تتمشدق بالحرية والمساواة والشورى ، يختفي المستشارون المخطئون عن الأنظار ويحاسبون حسابا عسيرا ، أما في الاسلام فيعاملون باللين والحسنى ، والصفح والعفو ، ويستغفر لهم ويشاورون في الأمر ، كما كان عليه أمرهم قبل أن يخطئوا ، دون أن يغير خطؤهم الذي وقعوا فيه من أمرهم شيئا !!

لقد كانت الشورى أساس النظام الاسلامي الذي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يحيد عنه [٤٩] ، ليعلم أصحابه والمسلمين في كل زمان ومكان أهمية تطبيقه لحاضر الاسلام والمسلمين ولمستقبلهم . ولم تكن الشورى

---

(٤٩) الرسول القائد (١٧٥) .

في أمر الحرب وحده [٥٠] ، بل في أمر الحرب وغير الحرب ، مما لم يرد فيه نص صريح في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة •

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد أن اتخذ قراره بالخروج الى أحد خلافا لرأيه ، وعودة الذين أرادوا الخروج عن رأيهم وتحبيذهم عدم الخروج ، أراد أن يعلم أصحابه والأجيال المسلمة القادمة في المستقبل ، أن القائد اذا اتخذ قراره ، وعزم على تطبيقه ، فلابد له من أن يمضي قدما في التطبيق ، والا يفسح المجال لتبديل قراراته ، لأن ذلك يجعل رجاله يسمونه بالتردد وعدم الثبات على القرار ، وفي ذلك مافيه من محاذير كثيرة ، فلابد من أن يكون القائد ثابت القرار ، لامجال للتردد في قراراته • (فاذا عزمت فتوكل على الله) ، وأهمها في الأمور العامة : حربية كانت أو سياسية أو إدارية المشاورة ، وذلك أن نقض العزيمة ضعف في النفس وزلزال في الأخلاق ، لا يوثق فيمن اعتاده في قول ولا عمل • فاذا كان ناقض العزيمة رئيس حكومة أو قائد جيش ، كان نقض العزيمة منه ناقضا للثقة بحكومته وجيشه ، ولاسيما اذا كان بعد الشروع في العمل ، لذلك لم يصغ النبي صلى الله عليه وسلم الى قول الذين أشاروا عليه بالخروج الى أحد حين أرادوا الرجوع عن رأيهم ، خشية أن يكونوا قد استكرهوه على الخروج ، وكان قد لبس لأمته وخرج ، وذلك شروع في العمل بعد أن أخذت الشورى حقها ، فعلمهم بذلك أن لكل عمل وقتا ، وأن وقت المشاورة متى انتهى جاء دور العمل ، وأن الرئيس اذا شرع بالعمل تنفيذا للشورى لايجوز له أن ينقض عزيمته ويبطل عمله ، وان كان يرى أن أهل الشورى اخطأوا الرأي ، كما كان يرى عليه الصلاة والسلام في مسألة الخروج الى أحد ، ويمكن إرجاع ذلك الى قاعدة ارتكاب أخف الضررين ، وأي ضرر أشد من فسخ

---

(٥٠) جاء في مغازي الواقدي (١/٣٢٤) : «أمره ان يشاورهم في الحرب وحده ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم لايشاور احدا الا في الحرب» .

العزيمة وما فيه من الضعف والفشل وإبطال الثقة » [٥١] .

وهذا مايتفق مع أحدث التعاليم العسكرية المعتمدة : الثبات على القرار ، وتنفيذه بعزم وإصرار .

٢ ـ في غزوة حمراء الأسد :

كانت يوم الأحد لثمان خلون من شوال من السنة الثالثة الهجرية[٥٢]، إذ عاد الى المدينة يوم السبت لسبع خلون من شوال من أحد بعد أن فرغ من دفن أصحابه في ساحة المعركة ، فدعا بفرسه فركبه ، وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى ، ولا مثل لبني سلمة وبني عبدالاشهل من الأنصار ، ومعه اربع عشرة امرأة . وصلى رسول الله صلى عليه وسلم المغرب بالمدينة [٥٣] .

وفي فجر يوم الأحد ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة ،فاذا بعبد الله بن عمرو بن عوف المزني [٥٤] على بابه ، فقال : «يارسول الله!أقبلت من أهلي،حتى اذاكنت بـ (ملل)[٥٥]فاذا قريش قد نزلوا ، فقلت : لأدخلن فيهم

---

(٥١) تفسير المنار (٢٠٦/٤) .

(٥٢) مغازى الواقدي (٣٣٤/١) ، وحمراء الأسد : على ثمانية اميال ، وقيل عشرة ، من المدينة ، عن يسار الطريق اذا اردت ذا الحليفة على طريق المدينة ـ مكة ، انظر شرح المواهب اللدنية (٧٠/٢) ، وانظر طبقات ابن سعد (٤٨/٢) .

(٥٣) انظر التفاصيل في مغازى الواقدي (٣١٤/١ ـ ٣١٩) .

(٥٤) عبدالله بن عمرو بن عوف المزني : لم أجد شيئا عن سيرته في أسد الغابة والاصابة ولا في الاستيعاب ، ويبدو انه من الأعراب الذين لم يسلموا ، والا لكان له شأن في المصادر التي تحدثت عن سير الصحابة الكرام .

(٥٥) ملل : اسم موضع بين مكة والمدينة ، وينبغي أن يكون قريبا من المدينة ، وليس ملل الذي بينه وبين المدينة (٢٨) ميلا ، انظر معجم البلدان (١٥٣/٨) ، لأن قريشا لاتصل هذه المرحلة الطويلة في ليلة واحدة ، ومن المحتمل ان يكون : ملل هو الوادي المنحدر من ورقان جبل مزينة حتى =

ولأسمعن من أخبارهم . فجلست معهم ، فسمعت أبا سفيان [٥٦] وأصحابه يقولون : ماصنعنا شيئا ، أصبتم شوكة القوم وحدتهم ، فارجعوا نستأصل من بقى ! وصفوان [٥٧] يأبى ذلك عليهم » [٥٨] .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ،

=

يصب في الفرش فرش سويقة ، ثم ينحدر من الفرش حتى يصب في اضم ـ واد يسيل حتى يفرغ في البحر ، فأعلى اضم القناة التي تمر دوين المدينة . وهذا الموضع قريب من المدينة وعلى مرحلة قريبة منها ، ويحتمل أن تكون قريش في هذا الموضع القريب .

(٥٦) ابو سفيان بن حرب : صخر بن حرب بن امية بن عبدشمس القرشي الأموي ، وهو والد يزيد ومعاوية وغيرهما ، ولد قبل عام الفيل بعشر سنين ، وكان من أشراف قريش ، تاجرا يجهز التجار بماله وأموال قريش الى الشام وغيرها ، وكانت اليه راية الرؤساء التي تسمى : العقاب ، وهو الذي قاد قريش في احد . أسلم ليلة فتح مكة ، وشهد غزوة حنين واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائمها مائة بعير ، وشهد غزوة الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففقئت عينه يومئذ وفقئت عينه الأخرى في اليرموك ، وشهد اليرموك تحت راية ابنه يزيد يقاتل ويقول : يا نصر الله اقترب ، وكان يقف على الكراديس يقص ويقول : « الله الله ! انكم دارة العرب وأنصار الاسلام ، وانهم دارة الروم وانصار المشركين ، اللهم هذا يوم من أيامك ، اللهم انزل نصرك على عبادك » ، وقد حسن اسلامه ، وتوفى في خلافة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) سنة اثنتين وثلاثين وقيل سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل احدى وثلاثين ، وقيل اربع وثلاثين ، وصلى عليه عثمان ، وقيل : صلى عليه ابنه معاوية ، وكان عمره ثمانيا وثمانين سنة ، وقيل ثلاث وتسعون سنة ، وقيل غير ذلك ، انظر التفاصيل في أسد الغابة (٢١٦/٥) والاصابة (٢٣٧/٣ ـ ٢٣٨) والاستيعاب (١٦٧٧/٤ ـ ١٦٨٠) .

(٥٧) صفوان بن امية بن خلف القرشي الجمحي : قتل ابوه يوم بدر كافرا ، اسلم صفوان بعد فتح مكة بعد أن امنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعطاه من غنائم يوم حنين ، وكان احد اشراف قريش في الجاهلية ، ومات بمكة سنة اثنتين واربعين الهجرية اول خلافة معاوية ، انظر اسد الغابة (٢٢/٣) والاصابة (٢٤٦/٣) .

(٥٨) مغازى الواقدي (٣٢٦/١) .

فذكر لهما ماأخبره المزني ، فقالا : اطلب العدو ، ولا يقحمون على الذرية » ، فلما سلم من صلاة الفجر ، أمر بأن يطلب الناس عدوهم ، فخرج المسلمون وبهم الجراحات ، [٥٩] وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ألا يخرج مع المسلمين الا من شهد القتال يوم أحد أمس •

وخرج سعد بن معاذ راجعا الى داره يأمر قومه بالمسير ، والجراح في الناس فاشية ، عامة بني عبد الأشهل جريح ، بل كلها ، فجاء سعد بن معاذ فقال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تطلبوا عدوكم » ؛ فقال أسيد بن حضير ، وبه سبع جراحات وهو يريد أن يداويها :«سمعا وطاعة لله ولرسوله»، فأخذ سلاحه ، ولم يعرج على دواء جراحه •

وفعل رؤساء الأوس والخزرج من الأنصار مافعل سعد بن معاذ ،فخف الأنصار الى النبي صلى الله عليه وسلم وخف المهاجرون • وخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو مجروح في وجهه ومشجوج في جبهته ، ورباعيته قد شظيت ، وشفته السفلى قد كلمت في باطنها ، وهو متوهن منكبه الأيمن من ضربة أحد المشركين[٦٠] ، وركبتاه مجحوشتان[٦١] •. وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه ، وخرج الناس معه ، فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار قريش ، فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد ، وللقوم زجل[٦٢].وهم يأتمرون بالرجوع ، وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك•ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ، حتى عسكروا بحمراء الأسد ، وكان المسلمون يوقدون في تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه •

وانصرف مشركو قريش سراعا خائفين من الطلب لهم ، ومر بأبي سفيان

---

(٥٩) مغازي الواقدي (١/٣٢٦ — ٣٢٧) .

(٦٠) هو ابن قميئـة .

(٦١) جحش الجلد : خدشه ، وفي الحديث انه «صلى الله عليه وسلم سقط من فرس ، فجحش شقه » .

(٦٢) سحاب ذو زجل : ذو رعد ، كأنهم من فرحهم يرعدون .

نفر من عبد القيس يريدون المدينة ، فقال :«هل أنتم مبلغو محمدا وأصحابه ما أرسلكم به ، على أن أوقر لكم أباعركم زبيبا غدا بعكاظ[٦٣] ان أنتم جئتموني؟» قالوا : نعم • قال : «حيثما لقيتم محمدا وأصحابه ، فاخبروهم أنا قد أجمعنا الرجعة اليهم ، وأنا آثاركم» ، وهكذا انصرف المشركون خائفين وجلين من المسلمين ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، فدخلها يوم الجمعة ، وقد غاب خمس ليال [٦٤] •

وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من أصحابه ،مرهبا للعدو ، وليظنوا أن بالمسلمين قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم[٦٥] ، وأن يحول دون عودة المشركين الى المدينة ، ليلحقوا بالمسلمين وبنسائهم وشيوخهم خسائر فادحة بالأرواح والممتلكات لامسوغ لها •

فكان خروج المسلمين الى حمراء الأسد بالغ الأثر في معنويات المشركين، حيث تخلوا عن الرجوع من جديد الى المدينة ، واكتفوا بالتراجع الى مكة ، وكان للشورى النبوية في هذه الغزوة أثرها الكبير في احراز هذه النتيجة المشرفة ، التي حمت المسلمين من خطر المشركين ، ورفعت معنويات المسلمين، وأدت الى انهيار معنويات المشركين •

٤ ـ في غزوة الخندق :

أ ـ غزوة الخندق ، وهي غزوة الأحزاب ، وقد عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذي القعدة سنة خمس الهجرية ، وانصرف يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة خمس

---

(٦٣) عكاظ : اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، بينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبينه وبين الطائف ليلة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٣/٦) .

(٦٤) مغازي الواقدي (٣٣٤/١ ـ ٣٤٠) وطبقات ابن سعد (٤٨/٢ ـ ٤٩) وسيرة ابن هشام (٥٢/٣ ـ ٥٦) وعيون الأثر (٣٧/٢ ـ ٣٨) والدرر (١٦٧) وجوامع السيرة (١٧٥) .

(٦٥) سيرة ابن هشام (٥٢/٣) والدرر (١٦٧) .

الهجرية ، وحاصره الأحزاب خمس عشرة ليلة [٦٦] .

وكان القوم جميعا الذين وافوا الخندق من قريش ، وسليم ، وغطفان ، وأسد ، عشرة آلاف ، بقيادة أبي سفيان بن حرب .

ولما فصلت قريش من مكة الى المدينة ، خرج ركب من خزاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاخبروه بحركة قريش الى المدينة .

وندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم ، وأمرهم بالجد والجهاد ، ووعدهم النصر إن هم صبروا واتقوا ، وأمرهم بطاعة الله ورسوله .

وشاورهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يكثر مشاورتهم في الحرب ، فقال : «أنبرز لهم من المدينة ، أم نكون فيها ونخندقها علينا ، أم نكون قريبا ونجعل ظهورنا الى الجبل ؟ » ، فاختلفوا ، فقالت طائفة : نكون مما يلي بعاث[٦٧] الى ثنية الوداع[٦٨] الى الجرف[٦٩] ، فقال سلمان[٧٠] :

---

(٦٦) مغازي الواقدي (٢/٤٤٠) وانظر طبقات ابن سعد (٢/٦٥) .

(٦٧) بعاث : موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية ، انظر معجم البلدان (٢/٢٢٣) .

(٦٨) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدنية يطؤها من يريد مكة ، انظر معجم البلدان (٣/٢٥) .

(٦٩) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، انظر معجم البلدان (٣/٨٧) .

(٧٠) سلمان الفارسي : أبو عبدالله ، ويعرف بسلمان الخير ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . سئل عن نسبه فقال :«أنا سلمان بن الاسلام» ، أصله من فارس من رام هرمز وقيل من اصفهان ، كان مجوسيا فتنصر ورحل الى الشام ثم الى الموصل ثم الى عمورية ثم رافق قسما من الاعراب فباعوه ليهود بالقرب من المدينة ، ثم اتى المدينة ، حتى سمع بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها ، فأسلم ، ومنعه عن غزوة بدر واحد انه كان عبدا لسيده . اول مشاهده مع رسول الله صلى الله علايه وسلم الخندق ، ولم يتخلف عن مشهد بعد الخندق ، وكان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم وذوى القرب من رسول الله =

«يا رسول الله ! إنا اذ كنا بأرض فارس ، وتخوفنا الخيل ، خندقنا علينا ، فهل لك يا رسول الله أن نخندق ؟ » ، فأعجب رأي سلمان المسلمين ، وذكروا حين دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد أن يقيموا بالمدينة ولا يخرجوا ، فكره المسلمون الخروج ، وأحبوا الثبات في المدينة .

واختار المسلمون موضع الخندق ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفره ، وعمل فيه بيده كأي فرد من أصحابه ، فتم حفر الخندق قبل وصول الأحزاب الى المدينة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف من المسلمين ، حتى جعلوا ظهورهم الى سلع[71] فنزلوا هناك والخندق بينهم ، وأمر بالنساء

= صلى عليه وسلم ، واشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق لما جاء الأحزاب ، وسكن العراق بعد فتحه واصبح والي المدائن لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان عطاؤه خمسة آلاف درهم ، فاذا خرج عطاؤه فرقه وأكل من كسب يده ، وكان يسف الخوص . واحتج المهاجرون والأنصار في سلمان ، وكان رجلا قويا ، فقال المهاجرون: سلمان منا ، وقال الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «سلمان منا اهل البيت» .روى عنه ابن عباس وانس وعقبة بن عامر وابو سعيد الخدري وأبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهم . توفى سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان ، وقيل اول سنة ست وثلاثين ، وقيل توفى في خلافة عمر بن الخطاب ، والاول اكثر ، وكان سلمان من المعمرين ، انظر التفاصيل في : اسد الغابة (٢/٣٢٨ ــ ٣٣٢) والاصابة (٣/١١٣ ــ ١١٤) والاستيعاب (٢/٦٣٤ ــ ٦٦٨) وطبقات ابن سعد (٤/٧٥ ــ ٩٣) ، وفيه : توفى بالمدائن . وتهذيب ابن عساكر (٦/١٩٠ ــ ٢١١) وحلية الأولياء (١/١٨٥ ــ ٢٠٨) وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٤/١٣٧ ــ ١٣٩) وصفة الصفوة (١/٢١٠ ــ ٢٢٥) .

وقبره في المدائن في مسجده الكبير ، وقد اصبحت المدائن تسمى باسمه ايضاً : سلمان باك ، اي الطاهر سلمان ، فقد كان سلمان اميرا على المدائن .

(71) سلع : جبل بالمدينة معروف ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٠٧ ــ ١٠٨) .

والذراري ، فجعلوا في الآطام •

وكان كعب بن أسد رئيس بني قريظة من يهود المدينة موادعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه حيي بن أخطب ، فلم يزل به ، وكعب يأبى عليه ، حتى أثر فيه ، ونقض كعب عهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومال مع حيي الذي جاء مع الأحـزاب ، فعظم الأمر وأحيط المسلمون من كل جهـة •

ب ـ وبقي المشركون محاصرين المسلمين ، وبنو قريظة يهددون مواضع المسلمين من داخل المدينة ، فأرسل رسول الله صلى الله عليـه وسـلم الى عيينة بن حصن بن حذيفة [٧٢] ، والحـارث بن عوف بن أبى حـارثة[٧٣] ، رئيسى غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة ، وجرت المساومة في ذلك ، ولم يتم الأمر ، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد

---

(٧٢) عيينة بن حصن : اسلم بعد الفتح ، وقيل اسلم قبل الفتح وشهد الفتح مسلما وهو الصواب ، وشهد حنيناً والطائف ايضا ، وكان من المؤلفـة قلوبهم ، ومن الأعراب الجفاة . وكان ممن ارتد وتبع طليحة الأسـدي وقاتل معه ، فأخذ اسيرا ، وحمل الى ابى بكر الصديق رضي الله عنه ، فاسلم ، فأطلقه ابو بكر . وكان عيينة في الجاهلية من الجرارين يقود عشرة آلاف ، وتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه ابنته ، وقال يومـاً لعبدالله بن مسعود : « انا ابن الأشياخ الشم » ، فقال ابن مسعود : « ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام » ، انظـر التفاصيل في : أسد الغابة (١٦٦/٤ ـ ١٦٧) والاصابة (٥٥/٥ ـ ٥٦) والاستيعاب (١٢٤٩/٣ ـ ١٢٥١) وسيرته المفصلة في كتابنا : قـادة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٧٣) الحارث بن عوف بن ابى حارثة الغطفاني : قدم على رسول الله صـلى الله عليه وسلم فأسلم ، وبعث معه رجلا من الأنصار الى قومه ليسلموا ، فقتلوا الأنصاري ، ولم يستطع الحارث أن يمنع عنه ، وفيه يقـول حسان بن ثابت :

ياحـار مـن يغـدر بذمـة جـاره
منـكم فـان محمـداً لا يغـدر

=

ابن عبادة (٧٤) ، فقالا : «يارسول الله ! أشيء أمرك الله به ، فلابد لنا منه ؟ أم شيء تحبه فنصنعه ؟ أم شيء تصنعه لنا ؟ » ، قال : «بل شيء أصنعه لكم ،

=

وأمـانة المـريء مـا اسـتودعته
مثل الزجـاجة صدعهـا لا يجبـر

فجعل الحارث يعتذر ويقول : « انا بالله وبك يارسول الله من شر ابـن الفريعة ، فوالله لو مزج البحر بشره لمزجه » ، فقال النبي صلى اللـه عليه وسلم : « دعه يا حسان » ، قال : «قد تركته» . وهو صـاحب الحمالة في حرب داحس والغبراء ، وأحد رءوس الأحزاب يوم الخندق. ولما قتل الأنصاري الذي أجاره ، بعث بديته سبعين بعيراً ، فأعطاهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثته ، واستعمله النبي صلى اللـه عليه وسلم على بني مرة ، وله عقب ، انظر : اسد الغابـة (٣٤٢/١ – ٣٤٣) والاصابة (٢٩٩/١ – ٣٠٠) والاستيعاب (٢٩٦/١ – ٢٩٧) .

(٧٤) سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي : يكنى أبا ثابت ، وقيل أبا قيس . شهد العقبة وكان نقيبا ، ثم شهد بدرا وسائر مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهوسيد الخزرج كلها غير مدافع ، وكان جوادا مطعاما، يقال : انه لم يكن في الأنصار كلها مطعمون يتوالون في بيت واحـد الا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم ، ولم يكن ذلك في سائر العرب الا ما ذكر عن صفوان بن أمية القرشي الجمحي في بابه . ومر عبدالله بـن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما على أطم سعد ، فقال لنافع مولى ابن عمر : «هذه أطم جده ، لقد كان مناديه ينادي يوما في كل حول : مـن اراد اللحم والشحم فليأت دار دليم ، فمات دليم فنادى عبادة بمثل ذلك، ثم مات عبادة فنادى سعد بمثل ذلك ، ثم قد رايت قيس بن سعد يفعل ذلك» . وروى انه كان لسعد جفنة تدور مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث دار من بيوت نسائـه . وكان مـع المسلمين يـوم بـدر سبعون بعيرا ، لسـعد منها عشرون ، وقـد ذكرنـا موقعـه من الصلح مـع عيينة بـن حصين والحـارث بـن عـوف الحاسـم في اعلاه . وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سعد يوم فتح مكة ، فسمعه ابو سفيان وهو يقول : « اليوم يوم الملحمة ، اليـوم تستحل الحرمة ، اليوم اذل الله قريشاً » ، فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل رسول الله صلى الله عليـه وسلم الى سعد بن عبادة ، فنزع اللواء من يده ، وجعله بيد قيس ابنه . وسعد بن

=

والله ما أصنع ذلك الا أني رأيت العرب قد رمتــكم عن قوس واحدة » ، فقال سعد بن معاذ : «يارسول الله ! قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، وهم لايطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعا ، فحين أكرمنا الله بالاسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ؟ ! والله لانعطيهم الا السيف » ، فصوب رسول‌الله صلى الله عليه وسـلم رأيه وأخذ به .

وأخيرا ، انتهت غزوة الخندق ، برحيل الأحزاب عن المدينة خائبــين ، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقــد انســحب الأحزاب الى مواطنهم ، رجع عن الخندق الى المدينة ، ووضــع المسلمون سلاحهم[٧٥] ، وكان أثر الشورى في نصر المسلمين واضحا .

=

عبادة هو الذي أرادت الأنصار بيعته يوم السقيفة ، حين قالوا : منــا أمير ، ومنكم أمير . فلما اجمعوا على بيعة ابى بكر رضي الله عنــه ، لــم يبايع سعد أبا بكر ، وسار الى الشام ، فأقام بحوران الى ان مات ســنة خمس عشرة ، وقيل سنة اربع عشرة ، وقيل سنة احدى عشرة ، وقيل: ان قبره بالمنيحة قرية من غوطة دمشق وهو مشهور يزار الى اليوم ، روى عنه ابن عباس وغيره ، انظر التفاصيل في : طبقــات ابن ســعد (٦١٣/٣ ــ ٦١٧) وأسد الغابة (٢٨٣/٢ ــ ٢٨٥) والاصابة (٨٠/٣ ــ ٨١) والاستيعــاب (٥٩٤/٢ ــ ٥٩٩) وتهذيــب ابن عســاكر (٨٦/٦ ــ ٩٣) والاستبصار (٩٣ ــ ٩٧) .

(٧٥) انظر التفاصيل في : مغازي الواقدي (٤٤٠/٢ ــ ٤٩٦) وســيرة ابــن هشام (٢٢٩/٣ ــ ٢٥٢) وطبقات ابن ســعد (٦٥/٢ ــ ٧٤) وجوامــع السيرة (١٨٥ ــ ١٩١) والدرر (١٧٩ ــ ١٨٨) وعيون الأثر (٥٥/٢ ــ ٦٨) والطبري (٥٦٤/٢ ــ ٥٨١) وابن الأثير (١٧٨/٢ ــ ١٨٤) وزاد المعــاد (٢٨٨/٢) والامتاع (٢١٥) والمواهب (١٤٢/١) وتاريخ الخميس (٤٧٩/١) والبداية والنهاية (٩٢/٤ ــ ١١٦) وانساب الأشراف (٣٤٣/١ ــ ٣٤٧) والبخــاري (١٠٧/٥) وصحيــح مســلم شرح النــووى (١٤٥/١٢) و (١٧١/١٢) والنويري (١٦٦/١٧) والسيرة الحلبية (٤٠١/٢) .

٥ ـ في غزوة الحديبيـة : (٧٦)

أ ـ جرت هذه الغزوة في شهر ذي القعـدة من السـنة السادسـة الهجرية [٧٧] ، فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا بمن معه مـن المهاجرين والأنصار ومن اتبعه من العرب ، وساق الهدى ، وأحرم بالعمرة من (ذي الحليفة)[٧٨] ليعلم النـاس أنه لم يخرج لحـرب ، وخرج في ألـف وستمائة ، ويقال ألف وأربعمـائة ، ويقال ألـف وخمسمـائة وخمسـة وعشرون[٧٩] ، وقدم عباد بن بشر[٨٠] أمامه طليعة في عشرين فارسا مـن

---

(٧٦) الحديبية : قرية ليست بكبيرة ، بينها وبين مكة مرحلة واحدة ، وهي على تسعة اميال من مكة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، وسميت باسم بئر هناك عند مسجد الشجرة ، وقيل شجرة هناك حدباء سميت بها على التصغير ، انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنيـة (٢/٢١٦) ومعجم البلدان (٣/٢٣٣ ـ ٢٣٤) .

(٧٧) طبقات ابن سعد (٢/٩٥) وجوامع السيرة (٢٠٧) والدرر (٢٠٤) ، وفي مغازي الواقدي (٢/٥٧٢) ، انها كانت في شهر شـوال سـنة سـت الهجرية ، والأول اصح لأجماع اكثر المصادر المعتمدة عليه .

(٧٨) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة اميال او سبعة اميال ، وهي ميقات اهل المدينة الذي يحرمون عنده للحج ، وهي على طريق المدينة ـ مكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٢٩) .

(٧٩) طبقات ابن سعد (٢/٩٥) ومغازي الواقدي (٢/٥٧٤) .

(٨٠) عباد بن بشر الأنصاري الأوسي الأشهلي : يكنى ابا بشر وقيل ابو الربيع ، اسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير قبل اسلام سعد بن معاذ واسيد بن حضير . وشهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ممن قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، وقال عباد في ذلك شعرا ، وكان من فضلاء الصحابة . وقالت عائشة ام المؤمنين : «ثلاثة من بني عبدالأشهل لم يكن احد يعتد عليهم فضلا : سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر » ، وقالت : « تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمع صوت عباد بن بشر ، فقال : اللهم ارحم عبادا ». وقتل عباد يوم اليمامة شهيدا وهو ابن خمس واربعين سنة ، وكان يومئذ له غناء (اي كفاية) وبلاء لم يرو لأحد مثله ، ويقال : انه قتل يومئذ اكثر من عشرين نفسا ، وانه كان يضرب بسيفه حتى يصير مثل المنجل ، فيقومه على ركبته ،

=

خيل المسلمين [٨١] .

وبلغ المشركين خروجه ، فأجمع رأيهم على صده عن المسجد الحرام ، وعسكروا ببلدح[٨٢] وقدموا مائتي فارس الى كراع الغميم[٨٣] وعليهم خالد بن الوليد ، ووضعوا العيون على الجبال ووضعوا الارصاد .

ب ـ وورد الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعسفان [٨٤] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هذا خالد بن الوليد على خيل المشركين بالغميم» . ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : «أما بعد ! فكيف ترون يا معشر المسلمين في هؤلاء الذين استنفروا الى من أطاعهم ليصدونا عن المسجد الحرام ؟ أترون أن نمضي لوجهنا الى البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه ، أم ترون أن نخلف هؤلاء الذين استنفروا لنا الى أهليهم فنصيبهم ؟ فان اتبعونا اتبعنا منهم عنق يقطعها الله ، وان قعدوا قعدوا محزونين موتورين ! » ، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال : «الله ورسوله أعلم ! نرى يارسول الله أن نمضي

=

ثم يضرب به . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « يامعشر الأنصار ! انتم الشعار والناس الدثار ، فلا أوتين من قبلكم » ، ولا عقب له ، انظر التفاصيل في : طبقات ابن سعد (٣/٤٤٠ ـ ٤٤١) واسد الغابة(٣/١٠٠ ـ ١٠١) والاصابة (٤/٢٢) والاستيعاب (٢/٨٠١ ـ ٨٠٣) والبداية والنهاية (٦/٣٣٧ ـ ٣٣٨) والاستبصار في نسب الصحابة من الانصار (٢٢٠ ـ ٢٢٢) ، وانظر انساب الأشراف (١/٢٧١) والمحبر (٧٢ ، ٢٨٢) .

(٨١) طبقات ابن سعد (٢/٩٥) ومغازي الواقدي (٢/٥٧٤) .

(٨٢) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٦٤ ـ ٢٦٥) ، وانظر ايضا : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ (٢١٧) ـ القاهرة ـ ١٣٧٣هـ .

(٨٣) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز ، بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عسفان بثمانية اميال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٢٦) .

(٨٤) عسفان : قرية على طريق المدينة ـ مكة ، بين الجحفة ومكة ، وهي من مكة على مرحلتين ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/١٧٣ ـ ١٧٤) .

لوجهنا ، فمن صدنا عن البيت قاتلناه » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فان خيل قريش فيها خالد بن الوليد بالغميم » ، وكان أبو هريرة[٨٥] يقول : «فلم أر أحدا كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط » .

وقام المقداد بن عمرو ، فقال مقالته التي قالها قبيل غزوة بدر الكبرى ، فكرر تلك المقالة في هذا الموقف ، وكان فحوى رأيه ، أن يمضي النبي صلى الله عليه وسلم قدما لقتال المشركين ، ولن يتخلى المسلمون عنه ولا يتركونه وحده في الميدان [٨٦] .

وتكلم أسيد بن حضير فقال : «يارسول الله ! نرى أن نصمد لما خرجنا له ، فمن صدنا قاتلناه » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا لم

---

(٨٥) ابو هريرة الدوسي : صاحب رسول الله عليه وسلم واكثرهم حديثاعنه، وهو دوسي من الأزد ، مشهور بكنيته ، اسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عبدالله بن عمر بن الخطاب لأبي هريرة : «انت كنت الزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحفظنا لحديثه»،وقال الامام البخاري:«روى عن ابي هريرة اكثر من ثمانمائة رجل من صاحب وتابع ، فمن الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر وانس» ، واستعمله عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله ،ثم اراده على العمل ، فامتنع عن العمل وسكن المدينة وبها كانت وفاته ،وقد توفي سنة سبع وخمسين الهجرية ، وقيل سنة ثمان وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، قيل مات بالعقيق وحمل الى المدينة ، انظر : اسد الغابة (٥/٣١٥ ـ ٣١٧) والأصابة (٧/١٩٩ ـ ٢٠٧) والاستيعاب (١٧٦٨/٤ ـ ١٧٧٢) وتهذيب التهذيب (٢٦٢/٢ ـ ٢٦٧) والبداية والنهاية (١٠٣/٨ ـ ١١٥) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٧٠/١) .

(٨٦) مغازي الواقدي (٥٨٠/٢ ـ ٥٨١) ، وقوله هنا نص قوله قبيل غزوة بدر الكبرى ، وارجح انه قال هذا القول قبيل غزوة بدر الكبرى ، لأجماع المصادر على ذلك ، وانفرد الواقدي في انه قال هذا القول قبيل غزوة بدر الكبرى وفي غزوة الحديبية ايضا .

نخرج لقتال أحد ، إنما خرجنا عمارا ! » . ولقيه بديل بن ورقاء[٨٧] في نفر من أصحابه ، فقال : «يامحمد ! لقد اغتررت بقتال قومك جلابيب[٨٨] العرب، والله ما أرى معك أحدا له وجه ، مع أني أراكم قوما لاسلاح معكم ! » ، فرد عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ردا قاسيا ، فقال بديل : « أما والله لولا يد لك عندي لأجبتك ، فوالله ما أتهم أنا ولا قومي ألا أكون أحب أن يظهر محمد ! إني رأيت قريشاً مقاتلتك عن ذراريها وأموالها ، قد خرجوا الى بلدح فضربوا الأبنية ، معهم العوذ المطافيل [٨٩] ، ورادفوا[٩٠] على الطعام ، يطعمون من جاءهم ، يتقوون بهم على حربكم ، فر رأيك » .

وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقا يخرج منه في ظهورهم، فخرج الى الحديبية من أسفل مكة ، وكان دليله فيه رجلا من أسلم ، فلما بلغ ذلك خيل قريش التي مع خالد بن الوليد ، جرت الى قريش تعلمهم بذلك .

ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية ، بركت ناقته صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس : خلأت [٩١] خلأت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما خلأت وما هو لها بخاق ، ولكن حبسها حابس

---

(٨٧) بديل بن ورقاء الخزاعي : اسلم يوم فتح مكة بمر الظهران ، ولجأت قريش الى داره يوم فتح مكة . شهد حنينا والطائف وتبوك ، وكان من كبار مسلمة الفتح ، وتوفي بديل قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر التفاصيل في : أسد الغابة (١/ ١٧٠) والأصابة (١/ ١٤٦) والاستيعاب (١/ ١٥٠) وطبقات ابن سعد (٤/ ٢٩٤) .

(٨٨) جلابيب : جمع جلباب ، وهو الأزار والرداء ، انظر النهاية (١/ ١٧٠) ، والجلابيب : لقب كان المشركون بمكة يلقبون به اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر شرح ابي ذر (٣٣٣) .

(٨٩) العوذ من الابل: جمع عائذ ، وهي التي ولدت. والمطافيل جمع مطفل،وهي التي لها طفل ، فاستعاره ههنا للنساء والصبيان ، انظر شرح ابي ذر (٣٢٩) .

(٩٠) رادفوا :اي يتبع بعضهم بعضا ، انظر القاموس المحيط (٣/ ١٤٤) .

(٩١) خلات : اي حرنت ، ولايقال ذلك الا للناقة . وبركت ، والخلأ في الابل بمنزلة الحران في الدواب ، انظر شرح ابي ذر (٣٤٠) .

الفيل[٩٢] عن مكة ! لاتدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم إياها»[٩٣]، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالحديبية يتحارسون الليل ، وكان الرجل من أصحابه يبيت على الحرس حتى يصبح يطيف بالعسكر. وكان عثمان بن عفان بمكة بعد ، وكانت قريش بعثت ليلا خمسين رجلا ، وأمروهم أن يطيفوا بالنبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يصيبوا منهم رجلا أو يصيبوا منهم غرة ، فأخذهم المسلمون وجاءوا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان عثمان قد أقام بمكة ثلاثا يدعو قريشا ، وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكة بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهليهم، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان وأصحابه قد قتلوا ، فدعاالى البيعة ، فأقبل المسلمون يبايعون على ألا يفرّوا وقال قائل : بايعهم على الموت .

ثم ان قريشا بعثوا سهيل بن عمرو [٩٤] ، فسأل النبي صلى الله عليه

---

(٩٢) يشير الى قصة ابرهة وفيله الذي حبس عن مكة عام الفيل ، ووردت قصته في سورة الفيل من القرآن الكريم ، كما وردت في المصادر التاريخية المعتمدة وبعض كتب السيرة النبوية .

(٩٣) سيرة ابن هشام (٣/٣٥٨) .

(٩٤) سهيل بن عمرو القرشي العامري : يكنى ابا يزيد ، احد اشراف قريش وعقلائهم وخطبائهم وساداتهم ، اسر يوم بدر كافرا ، وكان اعلم الشفة ، فقال عمر بن الخطاب : « يارسول الله ! انزع ثنيته ، فلا يقوم عليك خطيبا ابدا » ، فقال : «دعه ياعمر ، فعسى ان يقوم مقاما تحمده عليه » ، فكان ذلك المقام ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي ارتجت مكة لما رات قريش من ارتداد العرب ، واختفى عتاب بن اسيد الاموي امير مكة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقام سهيل بن عمرو خطيبا فقال : « يامعشر قريش ! لاتكونوا آخر من اسلم واول من ارتد ، والله ان هذا الدين ليمتدن امتداد الشمس والقمر من طلوعهما الى غروبهما » ، في كلام طويل ، واحضر عتاب بن اسيد ، وثبتت قريش على الاسلام . اسلم سهيل يوم الفتح . وحضر الناس باب عمر بن =

وسلم أن يطلق سراح من أسرهم المسلمون في الحديبية من المشركين ، فقال عليه الصلاة والسلام : «اني غير مرسلهم حتى ترسل أصحابي» ، فبعثوا اليه بمن كان عندهم ، وكانوا أحد عشر رجلا ، وأرسل رسول الله صلى عليه وسلم أصحابهم الذين أسروا .

وبدت المفاوضات بين النبي صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من ذوي الرأي من الصحابة عن المسلمين ، وبين سهيل بن عمرو ومعه رجلان من مشركي قريش عن قريش ،فأطال سهيل الكلام وتراجع ، وترافعت الأصوات وانخفضت ، ثم تم الاتفاق على صيغة المعاهدة :

=

الخطاب رضي الله عنه وفيهم سهيل بن عمرو وابو سفيان بن حرب والحارث بن هشام واولئك الشيوخ من مسلمة الفتح ، فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر كصهيب وبلال وعمار واهل بدر ، وكان يحبهم ، فقال ابو سفيان : «ما رايت كاليوم قط ! انه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لايلتفت الينا !! » ، فقال سهيل بن عمرو : «ايها القوم ! اني والله قد ارى مافي وجوهكم ، فان كنتم غضابا فاغضبوا على انفسكم : دعى القوم ودعيتم ، فأسرعوا وابطأتم ! أما والله ، لما سبقوكم من الفضل اشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسون عليه » ، ثم قال : « ايها الناس ! ان هؤلاء سبقوكم بما ترون ، فلا سبيل والله الى ما سبقوكم اليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه ، عسى الله أن يرزقكم الشهادة » ثم نفض ثوبه فقام فلحق بالشام ، وخرج بأهل بيته الا ابنته هنداً مجاهدا ، فماتوا هناك . ولم يكن أحد من كبراء قريش الذين تأخر اسلامهم فأسلموا يوم الفتح ، اكثر صدقة وصلاة وصوما ولا اقبل على ما يعنيه من امر الآخرة من سهيل بن عمرو ، حتى انه كان قد شحب وتغير لونه ، وكان كثير البكاء رقيقا عند قراءة القرآن ، وقد رؤى يختلف الى معاذ بن جبل يقرئه القرآن وهو يبكي حتى خرج معاذ من مكة ، قيل استشهد يوم اليرموك وهو على كردوس ، وقيل استشهد يوم الصفر ، وقيل مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو الأشهر، انظر سيرته المفصلة في : اسد الغابة (٢/٣٧١ ـ ٣٧٣) والاصابة (٣/١٤٦ ـ ١٤٧) والاستيعاب (٢/٦٦٩ ـ ٦٧٢) .

باسمك اللهم

هذا مااصطلح عليه محمد بن عبدالله وسهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه لا إسلال ولا إغلال (٩٥) ، وأن بيننا عيبة مكفوفة (٩٦) ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد قريش وعقدها فعل ، وأنه من أتى محمدا منهم بغير اذن وليه رده اليه ، وأنه من أتى قريشا من أصحاب محمد لم ترده ، وأن محمدا يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ، ويدخل علينا قابل في أصحابه فيقيم ثلاثا ، لايدخل علينا بسلاح الا سلاح المسافر : السيوف في القرب » ، وشهد على نص الاتفاق سبعة من كبار المسلمين ، واثنان من مشركي قريش ، وكتب المعاهدة على بن أبي طالب رضى الله عنه ، فأخذ نسخة منها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذ النسخة الثانية سهيل بن عمرو .

ووثبت من هناك خزاعة ، فقالوا : نحن ندخل في عهد محمد وعقده، ونحن على من وراءنا من قومنا ، فما فتح في الأسلام فتح قبله كان كفتح صلح الحديبية ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، ولم يكلم أحد في الاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل ماكان في الاسلام قبل ذلك وأكثر ، فقد خرج النبي صلىالله عليه وسلم في ألف وستمائة أو أقل الى الحديبية ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فقط في عشرة آلاف .

لقد كانت نتائج غزوة الحديبية فتحا مبينا : (انا فتحنا لك فتحا

---

(٩٥) الاسلال : السرقة الخفية . والاغلال : الخيانة، انظر شرح ابى ذر (٣٤١).

(٩٦) عيبة مكفوفة : هي استعارة ، وانما يريد تكف عنا ونكف عنك ، انظر شرح ابي ذر (٣٤١) .

مبينا) [٩٧] ، وفتحا قريبا : (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) [٩٨] ، والفتح القريب صلح الحديبية ، كما ذكر المفسرون ، فما كان فتح في الاسلام أعظم من فتح الحديبية [٩٩] .

جـ ـ لقد كان هدف النبي صلى الله عليه وسلم هو اظهار قوة المسلمين لمشركي قريش والقبائل المجتمعة للحج وشدة ضبطهم وطاعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وتعلقهم بالدعوة الاسلامية وحرصهم على الدفاع عنها وحماية حرية نشرها ، لتكون كلمة الله هي العليا .

وكان هدفه اظهار تعظيم المسلمين للبيت الحرام بصورة عملية ، حتى تتأكد العرب من ذلك عن يقين لايتطرق اليه الشك .

وكانت خطته عليه الصلاة والسلام في تحقيق هذا الهدف الحيوي ، هو اتخاذ السلام وسيلة ما استطاع الى ذلك سبيلا ، الا اذا اضطر على اتخاذ خطة الدفاع المشروع دفاعا عن المسلمين في حالة تعرضهم للاعتداء عليهم بالقوة الضاربة للمشركين .

وكانت لهذه الغزوة ثلاث مراحل للشورى .

المرحلة الاولى ، هي قبل الانطلاق من المدينة الى مكة ، فقد أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة أن يتسلح المسلمون تسليحا كاملا ، بحجة احتمال حدوث قتال متوقع بين المسلمين والمشركين ، ولم يكن أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ممن أشاروا عليه بهذا الرأي ، ولا كان غيرهما من كبار الصحابة ممن أشار بهذا الرأي .

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد قرر منذ مغادرته المدينة ألا يحارب قريشا ، بل يبذل كل جهده للتفاهم معهم ، الا اذا اضطر الى القتال اضطرارا ، فخرج من المدينة محرما ، واستصحب المسلمون أسلحة

---

(٩٧) الآية الكريمة في سورة الفتح (٤٨ : ١) .
(٩٨) الآية الكريمة في سورة الفتح (٤٨ : ١٨) .
(٩٩) سيرة ابن هشام (٣/٣٧٢) ومغازي الواقدي (٢/٦٢٣ ـ ٦٢٤) .

الراكب ، وهي السيوف في القرب ، وساق معه الهدى ، ليأمن النــاس مــن حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا للبيت الحرام ومعظما له •

لقد كان أكثرية المسلمين ومنهم كبار الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، لذلك لم يستجب للذين أشاروا عليه بالتســلح الكامــل ، فحمــل المسلمون الذين معه أسلحة الراكب حسب •

أما المرحلة الثانية من الشورى ، فهي بعد وصول المسلمين الى عسفان بعد أن عرف النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشا قدمت خالد بن الوليــد على رأس الخيل الى كراع الغميم ، فكان مجمل ما أشار عليه به أصحــابه : « نمضي لوجهنا فمن صدنا عن البيت قاتلناه ، فأخذ النبي صلى الله عليــه وسلم بهذا الرأي ، وأمر عباد بن بشر فتقدم في خيله لحماية المسلمين ، وخرج عن الطريق العام الى طريق فرعية وعرة شديدة الوعورة ، مما جعل أصحابــه يكابدون المشقات عند قطعها ، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يهدف من الخروج عن الطريق العام الا التملص من اصطدام أكيد بطلائع قريــش ، لأن المكوث في موقع عسفان يؤدي الى اصطدام الفريقين ، لاندفاع خيالة قريش أمام قواتها الأصلية واقترابها من موضع المسلمين • كما أن انسحــاب قوات المسلمين باتجاه المدينة قد يؤدي الى مطاردتهم من خيالة قريش ، وفي هاتين الحالتين يحصل الاشتباك بين المسلمين والمشركين ، وهو ما لايريــده الرسول عليه الصلاة والسلام •

ولكن خروج النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين الذين كانوا معــه عن الطريق العام الى طريق فرعية باتجاه مكة ، جعل طلائع قريش تضطر الى الاسراع بالعودة أدراجها للدفاع عن مكة ، لأن المسلمين أصبحوا يهددونها تهديدا مباشرا لأنهم أصبحوا قريبين منها • ولم تكن حركة المسلمين على هذه الطريق خوفاً من قوات قريش ، لأن الذي يخاف عدوه لايقترب من قواتــه

الأصلية ومن قاعدته [١٠٠] الرئيسة ، بل يحاول الابتعاد عن قاعدة العدو الرئيسة ، حتى يطيل خطوط مواصلات العدو ، وبذلك يزيد من صعوباته ومشاكله ، ويجعل فرصة النصر أمامه أقل من حالة الاقتراب من قاعدته الرئيسة وقواته الأصلية .

فلم تكن عملية المسلمين تلك الا من أجل تحقيق السلام ، مع أخذ الاحتياطات الضرورية لحماية أمن المسلمين في موقع الحديبية ، تطبيقا للشورى التي اعتمدها النبي صلى الله عليه وسلم في تلك المرحلة : المرحلة الثانية من الشورى .

بل ان التدابير الأمنية للمسلمين تصاعدت في موقع الحديبية ، لأن خطر المشركين عليهم تصاعد أيضا ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحارسوا ، وكان الرجل من المسلمين يبيت على الحرس حتى يصبح يطيف بالعسكر ، وبعثت قريش خمسين رجلا في الليل وأمروهم أن يطيفوا بالنبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يصيبوا من المسلمين أحدا أو يصيبوا منهم غرة ، فأسرهم المسلمون . وجاء جمع من قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى تراموا بالنبل والحجارة ، وأسر المسلمون حينئذ من المشركين أسرى ، وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان بن عفان وأصحابه الذين قصدوا مكة من المسلمين للدعوة ولزيارة أهليهم قد قتلوا ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الى البيعة ، فبايعه المسلمون يومئذ على الموت بيعة الرضوان تحت الشجرة[١٠١] : (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) [١٠٢] .

في هذا الموقف الخطير ، بعد أن أصبح المسلمون بتماس شديد مع

---

(١٠٠) القاعدة : هي المنطقة التي يستند عليها الجيش قبل شروعه في العمليات الحربية .

(١٠١) مغازي الواقدي (٢/٦٠٢) .

(١٠٢) الآية الكريمة من سورة الفتح (٤٨ : ١٨) .

المشركين ، بدأت المرحلة الثالثة من الشورى ، وهي مرحلة المفاوضات ، بين المسلمين من جهة والمشركين من جهة ثانية . ولم تكن هذه المرحلة سهلة ، بدليل ما أبداه بعض المسلمين من تذمر على سيرها كالذي أبداه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أصر على نياته السلمية ، وكان هدفه الحيوي من هذه الغزوة واضحا في ذهنه غاية الوضوح، لذلك قال قولته التي لاتزال ترن في أذن الزمن حتى اليوم وستبقى : «لاتدعوني قريش اليوم الى خطة فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها» ، وكان هذا الهدف واضحا لكبار الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وغيره ، وما كان تذمر من تذمر الا حرصا على عزة الاسلام والمسلمين وكرامتهم دون أن يكون هذا الهدف الحيوي واضحا في أذهانهم كما كان واضحا في ذهن النبي صلى الله عليه وسلم وفي أذهان الذين أقروا خطته السلمية الواضحة ، فما كان الذين شهدوا على وثيقة المعاهدة من المسلمين وهم سبعة من كبار الصحابة ، وكان كاتب الوثيقة من المسلمين ، الا فريق مفاوضات المسلمين وأصحاب الرأي والشورى ، ويكفي أن نذكر منهم : أبا بكر وعمر وعثمان وعليا ، لنعلم منزلة أولئك الصحابة ورجاحة رأيهم ومنزلتهم بين المسلمين ومكانتهم في شورى النبي صلى الله عليه وسلم .

لقد كانت الشورى هي العمود الفقري لهذه الغزوة المباركة ، لذلك كانت ثمراتها من أينع الثمرات في حاضر الاسلام والمسلمين ومستقبلهم(١٠٣).

---

(١٠٣) انظر التفاصيل في : مغازي الواقدي (٥٧١/٢ - ٦٣٣) وسيرة ابن هشام (٣٥٥/٣ - ٣٧٧) وطبقات ابن سعد (٩٥/٢ - ١٠٥) والبخاري (١٢١/٥) وصحيح مسلم بشرح النووي (١٣٥/١٢) وعيون الأثر (١١٣/٢ - ١٣٠) والطبري (٦٢٠/٢ - ٦٤٤) وابن الأثير (٢٠٠/٢ - ٢١٠) وانساب الأشراف (٣٤٩/١ - ٣٥٢) والدرر (٢٠٤ - ٢٠٨ وجوامع السيرة(٢٠٧- ٢١١) وزاد المعاد (٣٠١/٢) والامتاع (٢٧٤) وتاريخ الخميس (١٦/٢) والبداية والنهاية (١٦٤/٤ - ١٧٧) .

وقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ الشورى في هذه الغزوة تطبيقا مثاليا ، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه واصفا شورى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة بخاصة وفي غزواته وسراياه بعامة : «فلم أر أحدا كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط »(١٠٤) ، وما كانت مشاورته بالحرب فقط ، بل كانت مشاورته في الحرب والسلام ، ولكن مشاورته في الحرب كانت أظهر وأشهر ، لذلك ذكرت مشاورته الحربية وسجلت في بطون الكتب ، أكثر مما ذكرت مشاوراته السلمية وسجلت في الكتب ، كما هو واضح للعيان .

٦ ـ الشورى في خيبر (١٠٥) :

وكانت هذه الغزوة في المحرم سنة سبع الهجرية(١٠٦) ، وقيل في شهر صفر سنة سبع الهجرية(١٠٧) ، وقيل في شهر جمادى الآخرة سنة سبع الهجرية(١٠٨) ، وقد اعتمدت التوقيت الأول ، لاعتماده من أكثر المصادر المعتمدة ، ولأن هذا التوقيت هو الذي يؤيده سير الحوادث ، اذ لا يمكن بقاء المسلمين دون جهاد حتى شهر جمادى الآخرة ، أي خمسة أشهر تقريبا ، بينما أمن المسلمون من أعدائهم في الجنوب الى مكة ، وبقي أعداؤهم في الشمال ، وعلى رأسهم يهود خيبر ، يتآمرون مع الأحزاب على المسلمين ، وينتظرون الفرصة السانحة لتهديد المسلمين ، انتقاما ليهود بني النضير وبني

---

(١٠٤) مغازي الواقدي (٥٨٠/٢) .

(١٠٥) خيبر : ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام ، يطلق هذا الاسم على الولاية ، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٩٥/٣) وطبقات ابن سعد (١٠٦/٢) .

(١٠٦) سيرة ابن هشام (٣٧٨/٣) وجوامع السيرة (٢١١) والدرر (٢٠٩) .

(١٠٧) مغازي الواقدي (٦٣٤/٢) .

(١٠٨) طبقات ابن سعد (١٠٦/٢) .

قريظة ، وتعداد مقاتليهم عشرة آلاف مقاتل (١٠٩) ، فلابد من الاسراع بقتالهم وعدم إضاعة الوقت سدى دون مسوغ ، لأهمية الوقت بالنسبة للمسلمين ويهود على سواء ، والذي يستفيد من وقته منهم ، تكون له الأفضلية في احراز النصر على عدوه .

ونزل النبي صلى الله عليه وسلم بساحة خيبر ليلا ، فلم يتحركوا تلك الليلة، ولما أصبح الصباح فتحوا حصونهم، وخرجوا معهم المساحي والكرازين والمكاتل (١١٠) لمباشرة أعمالهم في الزراعة ، فلما نظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزل بساحتهم ، قالوا : محمد والخميس(١١١) ! فولوا هاربين حتى رجعوا الى حصونهم .

وعسكر المسلمون في منطقة قريبة من الحصون ، فلما أصبح الصباح جاءه الحباب بن المنذر بن الجموح فقال : «يارسول الله صلى الله عليك ! انك نزلت منزلك هذا ، فان كان عن أمر أمرت به فلا تتكلم فيه ، وان كان الرأي تكلمنا» ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بل هو الرأي» ، فقال : «يارسول الله! دنوت من الحصن، ونزلت بين ظهري النخل والنز(١١٢)، مع أن أهل النطاة (١١٣) لي بهم معرفة ، ليس قوم أبعد مدى منهم ، ولا أعدل منهم ، وهم مرتفعون علينا ، وهو أسرع لانحطاط نبلهم ، مع أني لا آمن من بياتهم يدخلون في خمر(١١٤) النخل. تحول يارسول الله الى موضع بريء

---

(١٠٩) مغازي الواقدي (٢/٦٣٧) .
(١١٠) المساحي : جمع مسحاة ، وهي المجرفة من الحديد . والكرازين :جمع كرزن وهو الفأس . والمكاتل : جمع مكتل وهو الزبيل الكبير قيل انه يسع خمسة عشر صاعا ، انظر النهاية (٢/١٥٠) و (٤/٨ و ١٤) .
(١١١) الخميس : الجيش ، انظر شرح المواهب اللدنية (٢/٢٦٦) .
(١١٢) النز : مايتحلب من الأرض من الماء .
(١١٣) النطاة : حصن بخيبر ، انظر معجم البلدان (٨/٢٩٧) .
(١١٤) خمر : كل ماسترك من شجر او بناء ، انظر النهاية (١/٣٢٠) .

من النز ومن الوباء ، نجعل الحرة[115] بيننا وبينهم حتى لاينالنا نبلهم » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نقاتلهم هذا اليوم» • ومن الواضح ان النبي صلى الله عليه وسلم اقتنع بصواب رأي الحباب ، ولكنه لم يبدل معسكره نهارا لئلا يعرض أصحابه أهدافا لسهام يهود ، وآثر البقاء في موضعه ريثما يأتي المساء • ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة[116] فقال : «انظر لنا منزلا بعيدا من حصونهم بريئا من الوباء ، نأمن

---

(115) الحرة : ارض ذات حجارة سود كأنها احرقت . جمعها : حرار ،انظر المعجم الوسيط (١٦٥/١) .

(116) محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي : يكنى أبا عبدالرحمن ، وقيل ابو عبدالله ، شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله الا تبوك ، ومات بالمدينة ولم يستوطن غيرها ، وهو الذي قتل كعب بن الأشرف مع من قتله من المسلمين . استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على احدى سراياه واستخلفه على المدينة في بعض غزواته ، واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات جهينة ، وكان هو صاحب العمال في ايام عمر . وكان عمر اذا شكى له عامل ارسل محمدا يكشف الحال ، وهو الذي ارسله عمر الى عماله ليأخذ شطر أموالهم لثقته به . اعتزل الفتنة بعد قتل عثمان بن عفان ، واتخذ سيفا من خشب ، وقال بذلك أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال محمد بن مسلمة : «أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا ، وقال : قاتل به المشركين ، فاذا اختلف المسلمون بينهم فاكسره على صخرة ، ثم كن حلسا من احلاس بيتك » ، ولم يشهد من حروب الفتنة شيئا . توفى بالمدينة سنة ست واربعين أو سبع واربعين ، وقيل غير ذلك ، وكان عمره سبعا وسبعين سنة . وكان أسمر شديد السمرة ، طويلا ، اصلع ، وخلف من الولد عشرة ذكور وست بنات ، انظر التفاصيل في : طبقات ابن سعد (٤٤٣/٣ ـ ٤٤٥) واسد الغابة (٣٣٠/٤ ـ ٣٣١) والاصابة (٦٣/٦ ـ ٦٤) والاستيعاب (١٣٧٧/٣) وتهذيب الاسماء واللغات (٩٢/١) والاستبصار في نسب الصحابة من الانصار (٢٤١ ـ ٢٤٣) وانساب الأشراف (٣١٥/١ و ٣٥٠ و ٣٦٨ و ٣٧٤ و ٣٧٧) ، واسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم (٣٢٠) وعنوان النجابة في معرفة من مات بالمدينة المنورة من الصحابة ـ مصطفى بن محمد بن عبدالله بن العلوي الرافعي ـ ط ٣ ـ بيروت ـ ١٣٩٢ هـ ، وانظر كتابنا : قادة النبي صلى الله عليه وسلم .

فيه بياتهم»، فطاف محمد حتى انتهى الى الرجيع[١١٧] ، ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم ليلا فقال : «وجدت لك منزلا» ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «على بركة الله» .

وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك الى الليل يقاتل أهل النطاة ، يقاتلها من أسفلها ، وحشدت يهود يومئذ ، فقال الحباب : «لو تحولت يارسول الله ! » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا» ، وجعلت نبل يهود تخالط عسكر المسلمين وتجاوزه ، وجعل المسلمون يلتقطون نبلهم ثم يردونها عليهم . فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول ، وأمر الناس فتحولوا الى الرجيع ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغدو بالمسلمين على راياتهم[١١٨] .

وقال الحباب بن المنذر : «ان اليهود ترى النخل أحب اليهم من أبكار أولادهم ، فاقطع نخلهم» ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل، ووقع المسلمون في قطعها حتى أسرعوا بالقطع . وجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه : فقال : «يارسول الله ! ان الله عز وجل قد وعدكم خيبر ، وهو منجز ما وعدك ، فلا تقطع النخل» ، فأمر منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى عن قطع النخل[١١٩] .

وكان المسلمون يوم خيبر ألفا وأربعمائة راجل ، ومائتي فارس .

وكان فتح خيبر : الأرض كلها ، وبعض الحصون عنوة ، وبعضها صلحا على الجلاء ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن عزل الخمس، وأقر اليهود على أن يعتملوها[١٢٠] بأموالهم وأنفسهم ، ولهم النصف من

---

(١١٧) الرجيع : واد قرب خيبر ، انظر وفاء الوفا (٢/٣١٥) .
(١١٨) مغازي الواقدي (٢/٦٤٢ — ٦٤٤) .
(١١٩) مغازي الواقدي (٢/٦٤٤) .
(١٢٠) الاعتمال : افتعال من العمل ، اي انهم يقومون بما يحتاج اليه من عمارة وزراعة وتلقيح وحراسة وغير ذلك .

كل ما يخرج منها من زرع أو ثمر ، ويقرهم على ذلك ما بدا له [١٢١] •

وهكذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يعمل بمشورة الحباب الأولى والثانية ، ويأخذ بشورة أبي بكر بعد ذلك ، ويطبق مبدأ الشورى في ميدان القتال ، كأحسن مايكون التطبيق العملي لهذا المبدأ الاسلامي الحصيف المناسب لكل زمان ومكان •

٧ — الشورى في غزوة حنين[١٢٢] :

كانت هذه الغزوة في شوال من السنة الثامنة الهجرية بعد فتح مكة[١٢٣] وقد انتصر المسلمون على المشركين في هذه الغزوة كما هو معلوم وغنموا غنائم كبيرة جدا •

وانصرف النبي صلى الله عليه وسلم عن الطائف حتى نزل (الجعرانة)[١٢٤] فيمن معه من الناس ، ومعه من هوازن[١٢٥] سبى كثير •

وأتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبى هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الابل والشاء مالا يدرى عدته ؛ وكان وفد هوازن قد أسلموا ، فقالوا : «يارسول الله !

---

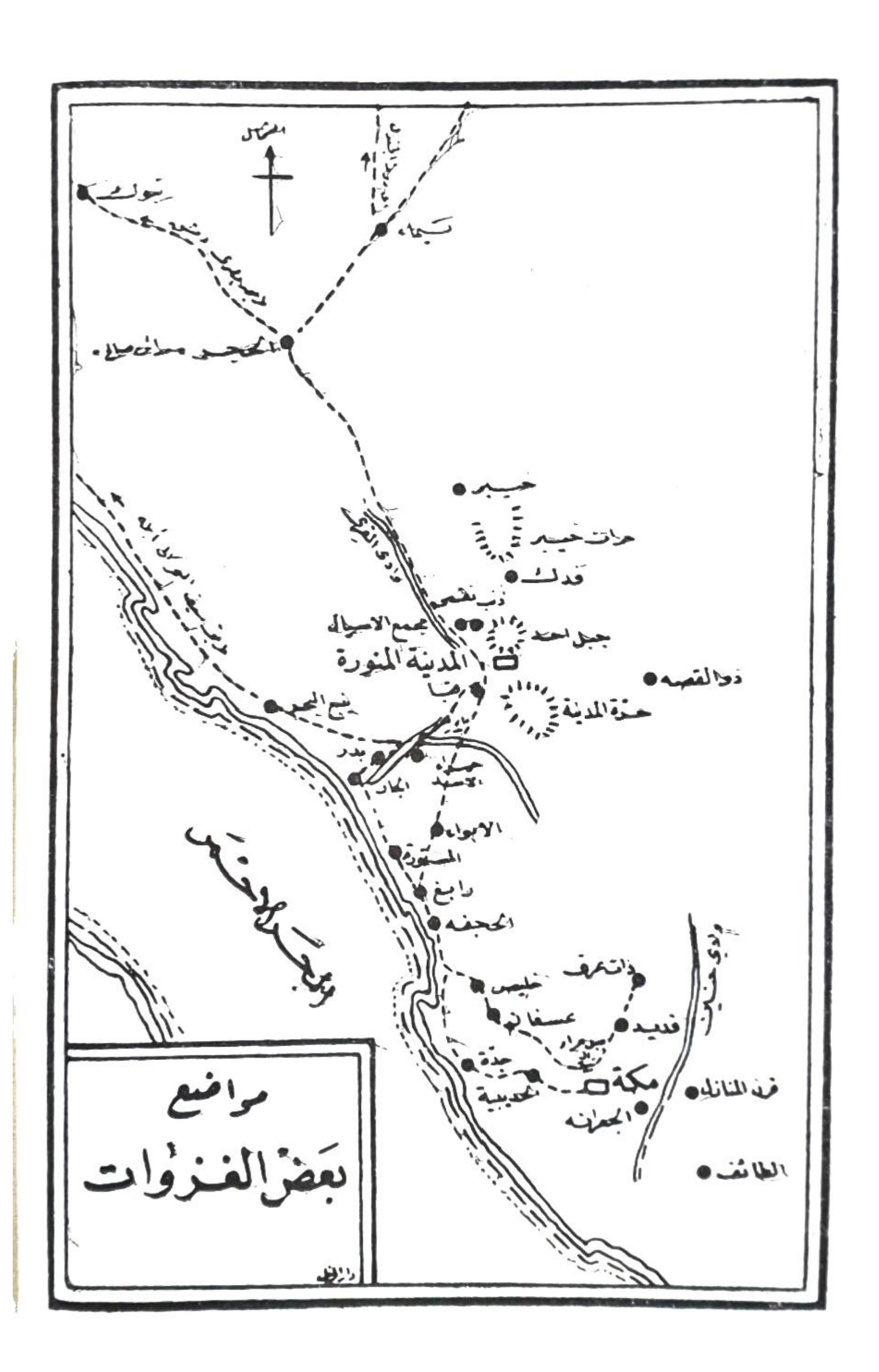
(١٢١) انظر التفاصيل في : مغازي الواقدي (٢/٦٣٣ — ٧٠٥) وسيرة ابن هشام (٣/٣٧٨ — ٤٢٤) وطبقات ابن سعد (٢/١٠٦ — ١١٧) والدرر (٢٠٩ — ٢١٩) وجوامع السيرة (٢١١ — ٢١٨) وعيون الأثر (٢/١٣٠ — ١٤٣) وانساب الاشراف (١/٣٥٢) والطبري (٣/٩ — ١٣) وابن الأثير (٢/٢١٦ — ٢٢٤) والبداية والنهاية (٤/١٨١ — ٢١٨) والنويري (٧/٢١٧) وزاد المعاد (٢/٣٢٤) والامتاع (٣٠٩) والمواهب (١/١٧٣) وتاريخ الخميس (٢/٤٣) والبخاري (٥/١٣٠) .

(١٢٢) حنين : هو واد قبل مدينة الطائف ، بينه وبين مكة ثلاث ليال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٥٤) .

(١٢٣) طبقات ابن سعد (٢/١٤٩) وانظر سيرة ابن هشام (٣/٦٥) .

(١٢٤) الجعرانة : هي ماء بين الطائف ومكة ، وهي الى مكة اقرب ، انظر معجم البلدان (٣/١٠٩) .

(١٢٥) هوازن : بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان ، انظر جمهرة أنساب العرب (٢٦٤) .


الشمال
تبوك
تيماء
الحجر مدائن صالح
خيبر
حرات خيبر
فدك
وادي القرى
جبل احد
مجمع الاسيال
المدينة المنورة
ذو القصه
حرة المدينة
قبا
ينبع البحر
بدر
الجار
حمراء الاسد
الابواء
المستورة
رابغ
الجحفه
ذات عرق
خليص
عسفان
قديد
جدة
مكة
الحديبية
الجعرانه
الطائف
مواضع
بعض الغزوات

إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا مــن الله عليك » ، وقام رجل من هوازن ، ثم أحد بني سعد بن بكر(١٢٦) يقـال له زهير بن صرد (١٢٧) فقال : «يارسول الله إنا في الحظائر(١٢٨) عمـاتك وخالاتك وحواضنك(١٢٩) اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنا(١٣٠) للحارث ابن ابي شمر(١٣١) وللنعمان بن المنذر(١٣٢) ، ثم نزلا منا بمثل الذي نزلت به،

---

(١٢٦) سعد بن بكر بن هوازن : انظر جمهرة أنساب العرب (٢٦٥) ، ومنهـم حليمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم .

(١٢٧) زهير بن صرد أبو صرد السعدي : من بني سعد بن بكر ، سكن الشام ، قدم على النبي صلىاللهعليهوسلم في وقد قومه هوازن لما فرغ من حنين، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئـذ بالجعرانـة ، وكان خطيـب هوازن ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلق سراح سبى هوازن، لوفد هوازن وأطلق لهم السبي ، وقد روى خطبته الثلاثة : البخاري ومسلم والنسائي ، انظر التفاصيل في : أسد الغابة (٢/٢٠٨ ــ ٢٠٩) والاصابة (٣/١٤) والاستيعاب (٢/٥٢٠ ــ ٥٢١) .

(١٢٨) الحظائر : جمع حظيرة ، وأصلها ما يصنع للابل والغنم ليكفها ويمنعها الانفلات .

(١٢٩) حواضنك : يريد النساء اللاتي أرضعنك ، لأن حاضنة رسول اللـه صلى الله عليه وسلم من بني سعد بن بكر بن هوازن ، واسمها حليمـة السعدية كما ذكرنـا .

(١٣٠) ملحنا : ارضعنا . والملح : الرضاع ، انظر ترتيب القاموس المحيـط (٤/٢٤٦) ومعجم متن اللغـة (٥/٣٣٨) . ولو انا ملحنا : أي لو كنـا ارضعنا لهم ، انظر النهاية (٤/١٠٥) .

(١٣١) الحارث بن أبي شمر الغساني : من امراء غسان في أطراف الشـام ، كانت اقامته بغوطة دمشق ، وأدرك الأسلام ، فأرسل اليه النبي صلـى الله عليه وسلم كتابا مع شجاع بن وهب ، ومات في عام الفتح (فتح مكة سنة ثمان الهجريـة = ٦٣٠ م) ، انظر الأعلام للزركلي ــ ط٢ ــ (٢/١٥٧) .

(١٣٢) النعمان بن المنذر : هو النعمان الثالث بن المنذر الرابع بن المنذر بـن امرىء القيس اللخمي، أبو قابوس ، من اشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، وكان داهية مقداما ، وهو ممدوح النابغة الذبياني وحسان بن ثابـت وحاتم الطائي ، وهو صاحـب ايفاد العرب على كسرى وباني مدينـة =

رجونا عطفهما وعائدتهما[١٣٣] ، وأنت خير المكفولين » . ويقال : انه قال يومئذ : «إنما في هذه الحظائر أخواتك وعماتك وبنات عماتك وخالاتك وبنات خالاتك ، وأبعدهن قريب منك . يارسول الله ! بأبي أنت وأمي ، إنهن حضنك في حجورهن ، وأرضعنك بثديهن ، وتوركنك على أوراكهن ، وأنت خير المكفولين » ، وقال :

أمنن علينا رسول الله في كرم
فانك المرء نرجوه وندخر

أمنن على نسوة قد عاقها قدر
ممزق شملها في دهرها غير

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
إذ فوك مملوءة من محضها الدرر[١٣٤]

اللائي إذ كنت طفلا كنت ترضعها
وإذ يرينك ما تأتي وما تذر

ألا تداركها نعماء تنشرها
يا أرجح الناس حتى حين يختبر

لا تجعلنا كمن شالت نعامته[١٣٥]
واستبق منا فانا معشر زهر

=

النعمانية على ضفة دجلة اليمنى ، وصاحب يومي البؤس والنعيم ، وكان ابرش احمر الشعر قصيرا . ملك الحيرة ارثا عن ابيه نحو سنة ٥٩٢م، وكانت تابعة للفرس ، فأقره عليها كسرى أبرويز ، واستمر على الحيرة الى ان نقم عليه كسرى امرا ، فعزله ونفاه الى خانقين ، فسجن فيها الى ان مات . وقيل : القاه تحت ارجل الفيلة ، فوطئته فهلك حوالي سنة خمس عشرة الهجرية (٦٠٨م) ، انظر : الأعلام للزركلي (١٠/٩) .

(١٣٣) العائدة : الفضل ، انظر شرح ابي ذر (٤١١) .

(١٣٤) الدرر : الدفعات الكثيرة من اللبن ، انظر السيرة الحلبية (٢٥٠/٢).

(١٣٥) اي تفرقت كلمتهم او ذهب عزهم ، انظر القاموس المحيط (٤٠٤/٢) .

إنـــا لنشـــــكر آلاء وإن قدمـــت

وعندنـــا بعـــد هذا اليـــوم مدخر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحسن الحديث أصدقه ، وعندي من ترون من المسلمين، فأبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم؟»، قالوا : يارسول الله ! خيرتنا بين أحسابنا وبين أموالنـــا ، ومـــا كنا نعـــدل بالأحساب شيئا ، فرد علينا أبناءنا ونساءنا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما مالي ولبني عبدالمطلب فهو لكم ، وأسأل لكم الناس . واذا صليـــت الظهر بالناس فقولوا : إنا لنستشفع برسول الله الى المسلمين ، وبالمسلمين الى رسول الله ! فاني سأقول لكم : ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم ، وسأطلب لكم الى الناس » .

ولما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالناس ، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : «إنـــا نستشـــفع برسول الله الى المسلمين ، وبالمسلمين الى رسول الله ! » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ماكان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم » ، فقـــال المهاجرون : « فما كان لنا ، فهو لرسول الله ! » ، وقالت الأنصار : « ماكان لنا فهو لرسول الله !» . قال الأقرع بن حابس (١٣٦) : «أما أنا وبنو تميم ،

---

(١٣٦) الأقرع بن حابس التميمي : قدم على رسول الله عليه وسلم مع وفد تميم بعد فتح مكة ، وكان قد شهد مع رسول الله صلىالله عليه وسلم فتح مكة وحنينا والطائف ، فلما قدم وفد تميم كان معهم ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك»، فقال : « ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ، ولكن هاتوا » ، فقام خطيب تميم ، وقام خطيب المسلمين ، ثم قام شاعر تميم ، وقام شاعر المسلمين حسان بن ثابت ، فقال الأقرع : «تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أرفع صوتا، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أرفع صوتا وأحسن قولا»، ثم دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم وأعلن اسلامه . شهد مع خالد بن الوليد فتح الأنبار وحرب العراق ، وكـــان على مقدمة خالد ، وكان شريفا في الجاهليـــة =

فلا ! » ، وقال عيينة بن حصن : «أما أنا وفزارة ، فلا ! » ، وقال عباس بن مرداس السلمي [137] : «أما أنا وبنو سليم ، فلا ! » ، فقالت بنو سليم : «ماكان لنا ، فهو لرسول الله ! » ، فقال العباس : « وهنتموني ! » [138] .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس خطيبا ، فقال : «ان هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بهم فخيرتهم بين النساء والابناء والأموال ، فلم يعدلوا بالنساء والابناء ، فمن كان عنده منهن شيء فطابت نفسه أن يرده ، فليرسل ، ومن أبى منكم وتمسك بحقه فليرد عليهم ، وليكن فرضا علينا ست فرائض من أول ما يفيء الله به علينا ! » ، قالوا : يارسول الله ! رضينا وسلمنا [139] .

والاسلام ، استعمله عبدالله بن عامر على جيش سيره الى خراسان ، فأصيب بالجوزجان هو والجيش ، انظر التفاصيل في : أسد الغابة (١٠٧/١ ــ ١١٠) والأصابة (٥٨/١ ــ ٥٩) والاستيعاب (١٠٣/١) .

(١٣٧) عباس بن مرداس السلمي : يكنى ابا الهيثم وقيل أبو الفضل ، اسلم قبل فتح مكة بيسير ، وكان من المؤلفة قلوبهم وممن حسن اسلامهم منهم ، وقدم على رسول الله صلىالله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب من قومه فأسلموا واسلم قومه . وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية. نزل البادية بناحية البصرة ، وقيل انه قدم دمشق وابتنى بها دارا . ولما حرم على نفسه الخمر في الجاهلية ، قيل له : الا تأخذ من الشراب، فأنه يزيد في قوتك وجراءتك ، قال : «لا أصبح سيد قومي ، وامسى سفيهها ، لا والله لايدخل جوفي شيء يحول بيني وبين عقلي ابدا» ،انظر سيرته المفصلة في اسد الغابة (١١٢/٣ ــ ١١٤) والأصابة (٣١/٤) والاستيعاب (٨١٧/٢ ــ ٨٢٠) وتهذيب ابن عساكر (٢٥٨/٧ ــ ٢٧١) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٥٩/١) .

(١٣٨) وهنتموني : اضعفتموني ، انظر الصحاح (٢٢١٦) .

(١٣٩) انظر غزوة حنين في مغازي الواقدي : (٨٨٥/٣ ــ ٩٢٢) و (٩٤٩/٣ ــ ٩٦٠) وسيرة ابن هشام (٦٥/٤ــ١٢٢) و (١٣٤/٤ــ١٣٧) وطبقات ابن سعد (١٤٩/٢ ــ ١٥٧) وعيون الأثر (١٨٧/٢ ــ ١٩٩) والبداية والنهاية (٤/ ٣٢٢ ــ ٣٤٤) و (٣٥٢/٤ ــ ٣٦٠) والدرر (٢٣٧ ــ ٢٤٢) وجوامع السيرة

=

وهكذا استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بصورة غير مباشرة وحصيفة جدا ، في رد سبي هوازن الى أهليهم ، دون ضغط ولا اكراه ، بل بالمثال الشخصي ، اذ بادر بالتنازل عما بين يديه وأيدي بني المطلب من السبي، فماكان من المسلمين الا الاقتداء به ، والسير على منواله واعادة السبي الى هوازن اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنفيذا لرغبته في العفو والتسامح واصلاح ذات البين وتصفية القلوب من الضغائن والأحقاد ، وتوجيه المغلوبين الى اعتناق الاسلام .

وتطبيق الشورى بهذا الأسلوب المبتكر ، يدعو الى التقدير والاعجاب ، فهو قد عرض الحل الذي يريده لخير المسلمين وهوازن الغالبين والمغلوبين ، لجمع الصفوف وتوحيدها ، ونشر الاسلام بالحسنى ، وازالة آثار الحرب المادية والمعنوية ، حتى لاتبقى الأحقاد وتتصاعد ، وتزول الضغائن من النفوس ؛ فاستجاب المسلمون القدامى لهذا الحل ورحبوا به ، ولم يستجب له بعض المسلمين الجدد ، الذين أسلموا بعد فتح مكة ، ولم يرسخ الاسلام في قلوبهم وعقولهم بعد ، فعرض النبي صلى الله عليه وسلم على الذين لم يستجيبوا للحل الذي عرضه تعويضا ماديا يرضيهم ،فاستجاب المسلمون جميعا للحل المقترح .

وتعلم المسلمون أسلوبا فريدا في الشورى ، ما أحراهم أن يطبقوه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وكانت غزوة الطائف في شوال من سنة ثمان الهجرية .[١٤٠] .

أ ــ مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل قريبا من حصن

=

(٢٣٦ ــ ٢٤٢) وزاد المعاد (٤٣٨/٢) والامتاع (٤٠١) والمواهب (٢٠٨/١) وتاريخ الخميس (٩٩/٢) والبخاري (١٥٣/٥) وصحيح مسلم بشرح النووي (١١٣/١٢) والطبري (٧٠/٣ ــ ٨٢) و (٨٦/٣ ــ ٩٤) وابن الأثير (٢٦١/٢ ــ ٢٦٦) و (٢٦٨/٢ ــ ٢٧٣) .

(١٤٠) طبقات ابن سعد (١٥٨/٢) .

الطائف وعسكر هناك ، فقتل ناس من المسلمين بالنبل المصوبة عليهم من داخل الطائف ، دون أن يقدر المسلمون على دخول الطائف التي أغلق منافذهـا المشركون ودافعوا عن حصونها[١٤١] دفاعا مستميتاً . وجـاء الحباب بـن المنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يارسول الله ! انا قد دنونا من الحصن ، فإن كان عن أمر سلمنا ، وان كان عن الرأي فالتأخر عن حصنهم»، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان عمرو بن أمية الضمري[١٤٢] يقول : «لقد طلع علينا من نبلهم ساعة نزلنا شيء اللـه بـه عليهم ، كانه رجل من جـراد ــ وترسنا لهم ــ حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة ، ودعا رسول الله صلى الله وسلم الحباب فقال: انظر مكانا مرتفعا مستأخرا عن القوم ، فخرج الحباب حتى انتهى الى موضع مسجد الطائف خارج من القرية ، فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١٤١) سيرة ابن هشام (١٢٧/٤) .

(١٤٢) عمرو بن امية الضمري : يكنى أبا كنانة ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم وحده عينا على قريش ، فحمل خبيب بن عدي من الخشبة التي صلب عليها ، وكان خبيب قد أسره المشركون غدرا ، فباعوه لقريش ، فصلبته انتقاما لقتلاها في بدر . وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم ، الى النجاشي سفيراً ، فعقد له على أم حبيبة بنت أبي سفيان . أسلم قديما وهو من مهاجرة الحبشة ثم هاجر الى المدينة ، وأول مشـاهده بئر معونة . شهد بدرا وأحدا مـع المشركين ، واسـلم حـين انصرف المشركون من احد ، حسب احدى الروايات . وكان رسول الله صـلى الله عليه وسلم يبعثه في أموره ، وكان من أنجاد العرب ورجالهـا نجدة وجراءة . ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي يدعوه الى الاسلام سنة ست الهجرية ، وكتب على يده كتابا ، فأسلم النجاشي وامره ان يزوجه ام حبيبة ويرسلها ويرسل من عنده من المسلمـين . روى عنه اولاده جعفر والفضل وعبدالله وابن أخيه الزبرقان بن عبدالله ابن امية ، وهو معدود من اهل الحجاز ، وتوفى آخر أيام معاوية بن ابى سفيان قبل سنة ستين الهجرية ، انظر التفـاصيل في : أسـد الغـابة (٨٦/٤) والاصابة (٢٨٥/٦) والاستيعاب (١١٦٢/٣ ــ ١١٦٣) ، وانظـر تفصيل سيرته في كتابنا : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .

(١٤٣) رجل : كثير ، انظر النهاية (٧٠/٢) .

وأخبره، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يتحولوا» فقال عمرو بن أمية «واني لأنظر الى أبي محجن [144] يرمي من فوق الحصن بعشرته [145] بمعابل [146] كأنها الرماح، مايسقط له سهم»، واستقر معسكر المسلمين عند

---

(144) ابو محجن الثقفي : اسمه عمرو بن حبيب ، وقيل مالك بن حبيب ، وقيل عبدالله بن حبيب، وقيل اسمه كنيته ، أسلم حين أسلمت ثقيف سنة تسع الهجرية في رمضان . كان شاعرا حسن الشعر ، ومن الشجعان المشهورين بالشجاعة في الجاهلية والاسلام ، وكان جوادا كريما الا انه كان منهمكا في الشرب لايتركه خوف حد أو لوم ، وجلده عمر بن الخطاب مرارا ونفاه الى جزيرة في البحر ، وبعث معه رجلا ، فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس ، فكتب عمر الى سعد ليحبسه ، فحبسه . ولما كان بعض أيام القادسية واشتد القتال بين الفريقين ، سأل ابو محجن امرأة سعد أن تحل قيده وتعطيه فرس سعد البلقاء ، وعاهدها أنه ان سلم عاد الى حاله من القيد والسجن ، وان استشهد فلا تبعة عليه ، فلم تفعل فقال :

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وغلقت
مصارع دوني قد تصم المناديا
فلله عهد لا أخيس بعهده
لئن فرجت الا أزور الحوانيا

فلما سمعت سلمى امرأة سعد ذلك رقت له، فخلت سبيله وأعطته الفرس، فقاتل قتالا عظيما ، وكان يكبر ويحمل فلا يقف بين يديه أحد ، وكان يقصف الناس قصفا منكرا ، فعجب الناس منه وهم لايعرفونه . ورآه سعد فقال : «لولا ان أبا محجن محبوس لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء تحته» . فلما تراجع الناس عن القتال عاد الى القصر وأدخل رجليه في القيد ، فأعلمت سلمى سعدا خبر أبي محجن ، فقال : «اذهب ، لاأحدك أبدا» ، فتاب أبو محجن وقال : «كنت آنف أن اتركها من اجل الحد ، واليوم اتركها خوفاً لله» ، وقد مات مجاهدا بجرجان ، وقيل بأذربيجان ، انظر التفاصيل في : أسد الغابة (٥/٢٩٠ – ٢٩٢) والاصابة (٧/١٧٠ – ١٧٢) والاستيعاب (٤/١٧٤٦ – ١٧٥١).

(145) العشرة : الصحبة ، انظر النهاية (٣/٩٨) .

(146) المعابل : نصال طوال عراض ، الواحدة معبلة ، انظر النهاية (٣/٦٣) .

مسجد الطائف اليوم[147] ، فأصبحوا خارج تأثير الرمي المباشر للمشركين من داخل الطائف على المسلمين ، وأصبحوا في منطقة أمينة بفضل تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم لمشورة الحباب التي أبداها فأمر الحباب باختيار المعسكر الآمن للمسلمين ، وانتقلوا اليه من معسكرهم الأول التي كان ضمن رمي المشركين وضمن رصدهم القريب الى معسكرهم الجديد البعيد عن رمي أهل الطائف ورصدهم .

ب ـ واشتدت مقاومة المشركين في الطائف ، وكانوا مقاتلين من الطراز الأول ، وطال حصار الطائف ، وبدا أن استسلامها للمسلمين ليس سهلا وليس وشيكا .

وشاور رسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فقال له سلمان الفارسي : «يارسول الله!أرى أن تنصب المنجنيق[148]على حصنهم،فانا كنا بأرض فارس ننصب المنجنيقات على الحصون وتنصب علينا ، فنصيب من عدونا ويصيب منا بالمنجنيق ، وان لم يكن المنجنيق طال الثواء »[149] ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمل منجنيقا بيده ، فنصبه على حصن الطائف ، ويقال قدم بالمنجنيق غيره[150] ، وهذا ما أرجحه ، لأن صناعة المنجنيق تحتاج الى وقت طويل قد لايتيسر في المعركة ، في وقت يكون المسلمون بحاجة ماسة لاستخدامه ، فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن الطائف بالمنجنيق ، فكان أول من رمى في الاسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف . ودخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الدبابة[151] ،

---

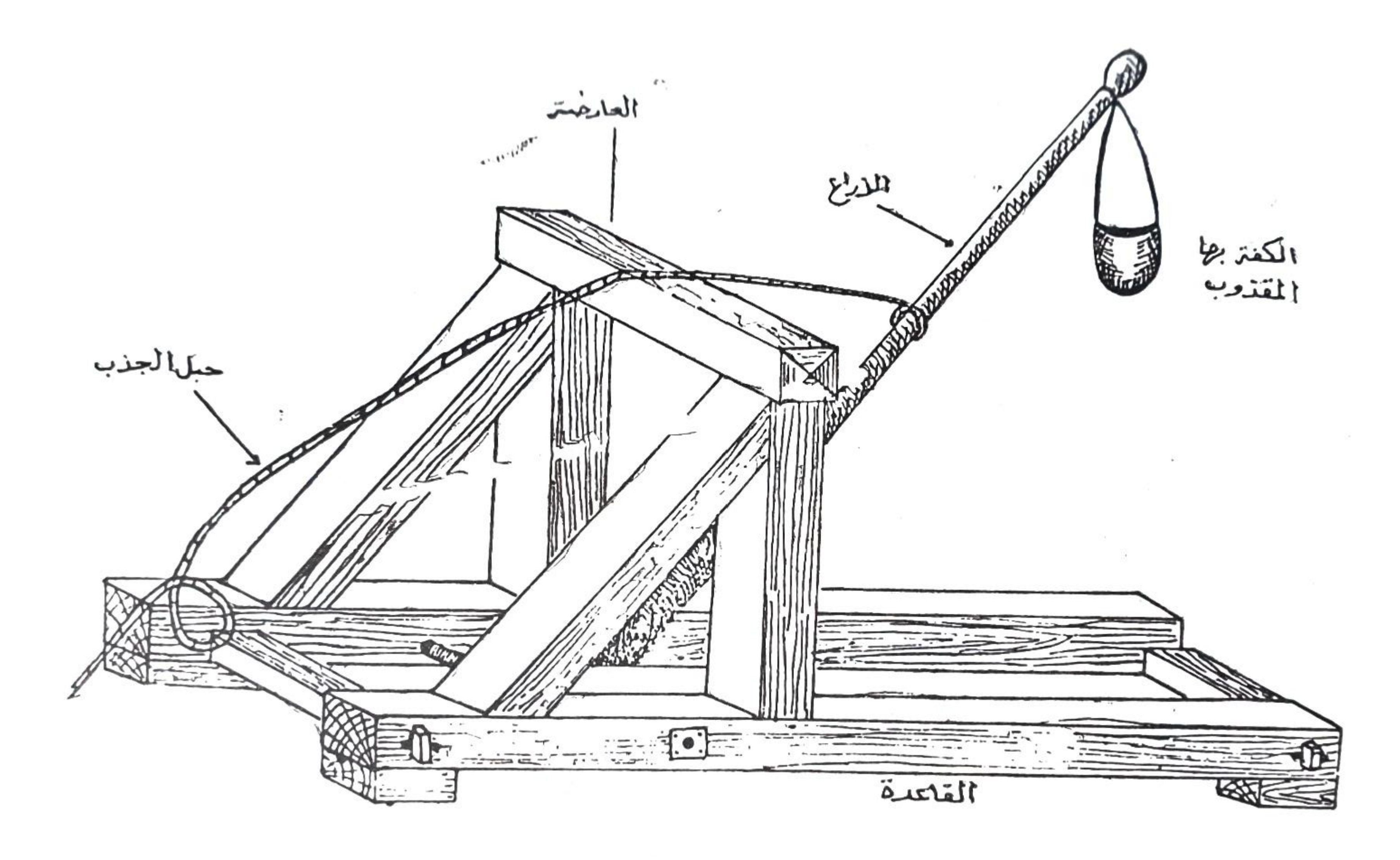
(١٤٧) مغازي الواقدي (٣/٩٢٥ ـ ٩٢٦) .

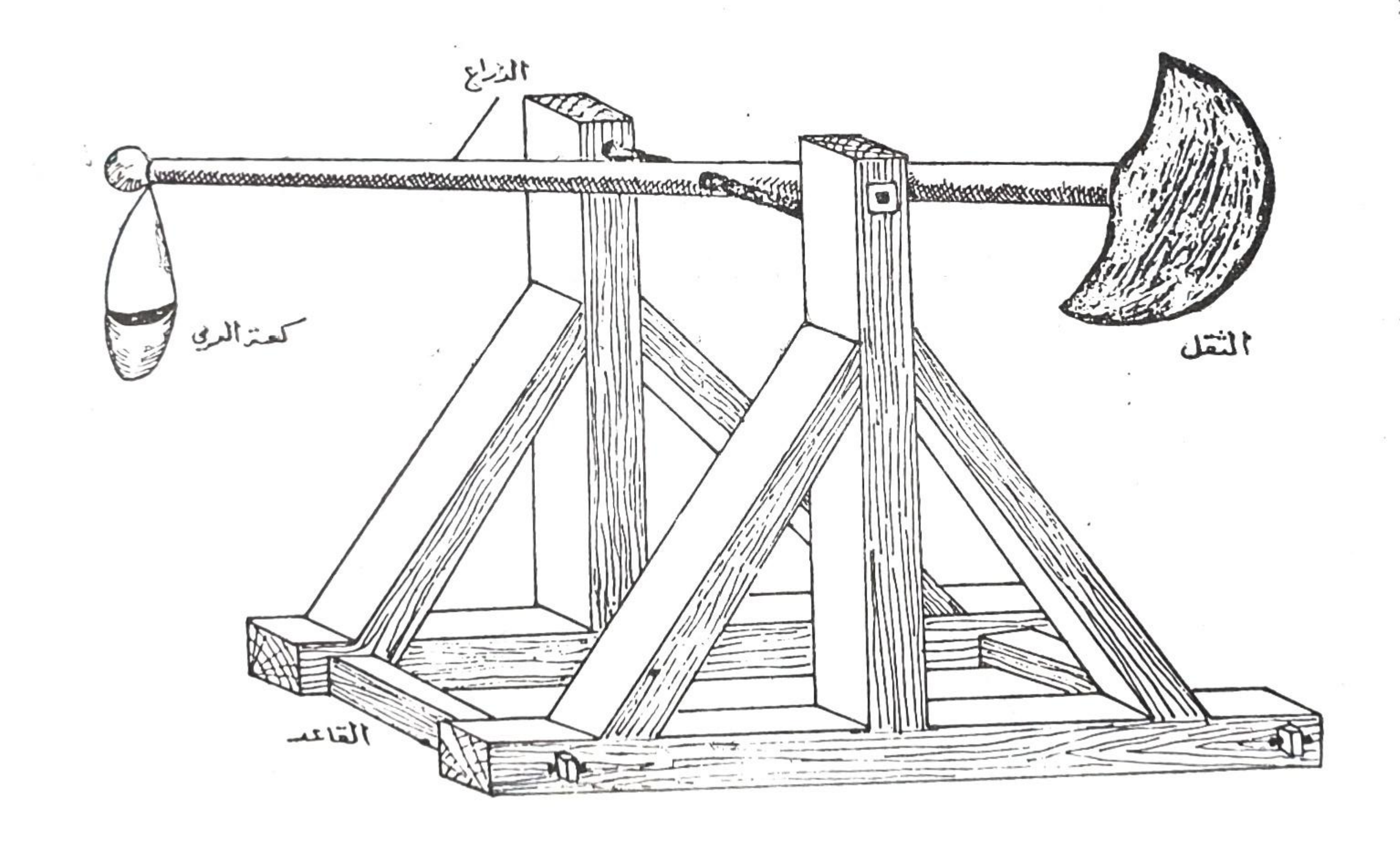
(١٤٨) المنجنيق : آلة حربية تستعمل لهدم الأسوار والحصون ، فهو يشبه مدفعية الميدان في هذا الوقت ، انظر التفاصيل في : الفن الحربي في صدر الاسلام ـ عبدالرءوف عون ـ (١٥٦ ـ ١٦٧) ـ القاهرة ـ ١٩٦١م.

(١٤٩) الثواء : الأقامة ، انظر شرح المواهب اللدنية (٣/٣٧) .

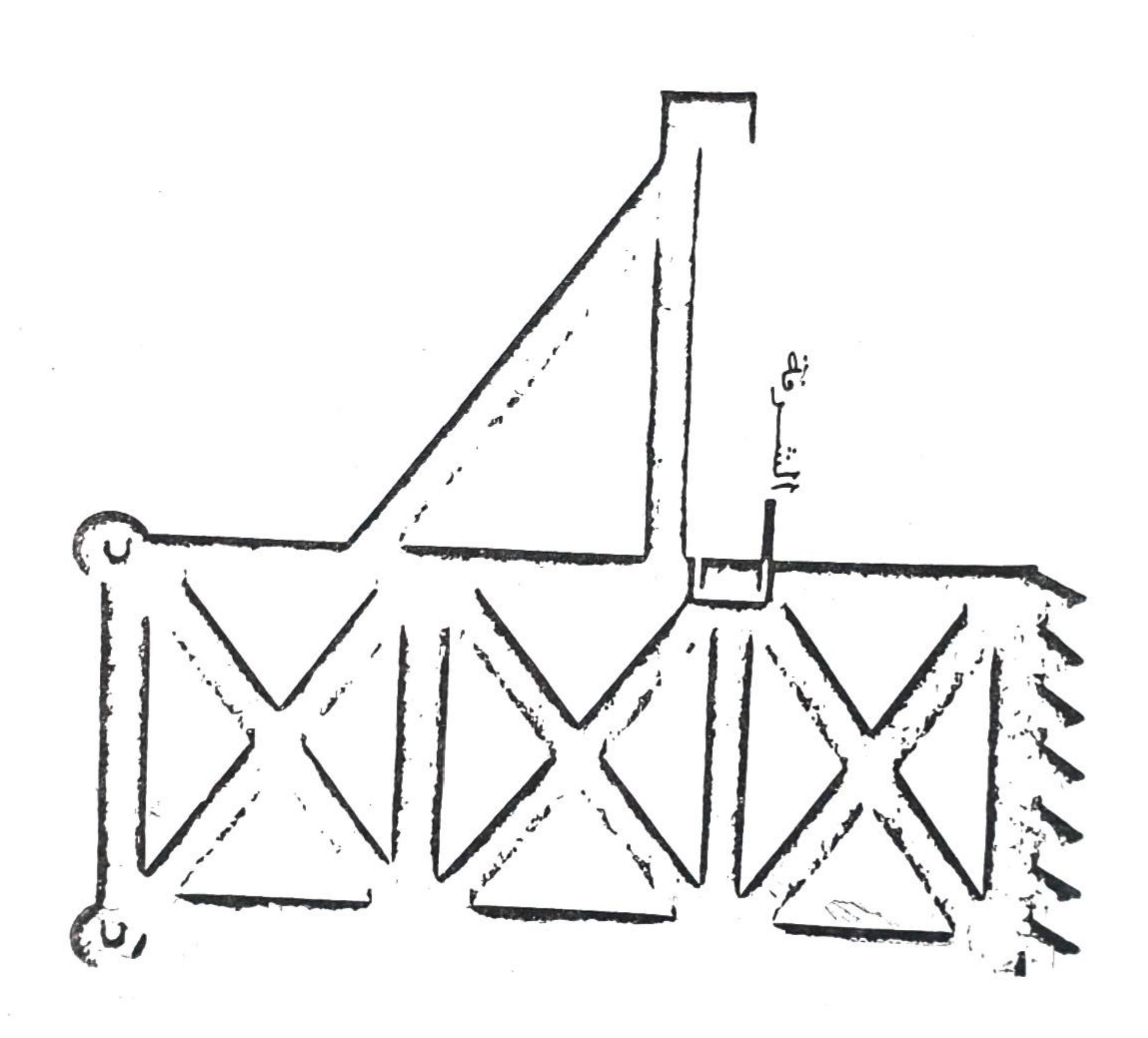
(١٥٠) مغازي الواقدي (٣/٩٢٧) .

(١٥١) سيرة ابن هشام (٤/١٢٨) ، والدبابة : آلة حربية تتخذ لهدم الحصون، يدخل فيها الرجال لحمايتهم .


العارضة
الذراع
حبل الجذب
الكفة بها
المقذوف
القاعدة


الذراع
كفة الرمي
الثقل
القاعدة

ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيــف سـكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيــف بالنبــل ، فقتلوا



منهم رجالا [١٥٢] .

وهكذا استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في أسلوب التعجيل باستسلام الطائف وتقصير أمد الحصار ، وأخذ برأي سلمان الفارسي باستعمال المنجنيق والأسلحة المتطورة الأخرى بالنسبة للمسلمين في حينه ولذلك العصر قبل خمسة عشر قرنا .

جـ ـ ولما مضت خمس عشرة ليلة من حصار المسلمين للطائف ، استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي[١٥٣] ، فقال : «يانوفل ! ماتقول ؟ أو ترى ؟ » ، فقال نوفل : «يارسول الله ! ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته ، وان تركته لم يضرك شيئا » ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمربن الخطاب ، فأذن في الناس بالرحيل[١٥٤] . وجعل المسلمون يتكلمون ، يمشي بعضهم الى بعض ، فقالوا : لانبرح حتى يفتح الله علينا ، والله انهم لأذل وأقل من لاقينا ، قد لقينا جمع مكة وجمع هوازن ، ففرق الله تلك الجموع . وإنما هؤلاء ثعلب في جحر ، لو حصرناهم لماتوا في حصنهم هذا . وكثر القول والاختلاف ، فمشوا الى أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، فلم يؤيدهم فيما ذهبوا اليه ، ومشوا الى عمر بن

---

(١٥٢) مغازي الواقدي (٩٢٨/٣) وسيرة ابن هشام (١٢٨/٤) .

(١٥٣) نوفل بن معاوية : كان معاوية على الديل يوم الفجار ، وهم بنو الديل بن بكر بن مناة بن كنانة ، أسلم نوفل وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة وهو أول مشاهده ، ونزل المدينة المنورة ، حتى توفى أيام يزيد بن معاوية . حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من ترك الصلاة ، كأنما وتر اهله وماله» اخرجه الثلاثة : البخاري ومسلم والنسائي ، انظر التفاصيل في : أسد الغابة (٤٧/٥) والاصابة (٢٥٨/٦ ـ ٢٥٩) والاستيعاب (٤/ ١٥١٣) . وانظر انساب العرب (٣٣٣/١) والطبري (٨٤/٣) وابن الأثير (٢٦٧/٢) وعيون الأثر (٢٠١/٢) وطبقات ابن سعد (١٥٩/٢) .

(١٥٤) مغازي الواقدي (٩٣٧/٣) .

الخطاب رضي الله عنه ، فلم يتفق معهم في شيء ، وجعل الناس يضجون في ذلك . فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حماسة المسلمين وحرصهم الشديد على القتال ، وإصرارهم على فتح الطائف وعدم الانسحاب عنها قبل فتحها ، قال : «فاغدوا على القتال» . وغدوا على القتال ، فأصابت المسلمين جراحات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا قافلون ان شاء الله » ، فسر المسلمون بذلك وأذعنوا [١٥٥] ، وجعلوا يرحلون والنبي صلى الله عليه وسلم يضحك [١٥٦] .

وانتهت غزوة الطائف بانسحاب المسلمين الى قواعدهم دون أن يفتحوا تلك المدينة ، ولكنهم استطاعوا فتح قلوب أبنائها ، فأسرعوا الى اعتناق الاسلام [١٥٧] .

ولعل روعة تطبيق مبدأ الشورى الاسلامي في هذه الصفحة القتالية من صفحات غزوة حصار الطائف ، لايمكن أن تخفى على أحد ، فقد نفذ النبي صلى الله عليه وسلم ما أشار به عليه الصحابي الجليل نوفل بن معاوية الديلي ، لأنه اقتنع برأيه السديد اقتناعا كاملا ، اذ أن اسلام أهل الطائف لم يعد موضع شك أحد من الناس ، لأن الناس حول الطائف شرقا وغربا وشمالا وجنوبا قد دخلوا في دين الله أفواجا ، فليس من المعقول ولا من المنطق أن يبقى أهل الطائف وحدهم مشركين ، وقد أصبحوا كالشعرة البيضاء

---

(١٥٥) اذعن في الطاعة ، انظر القاموس المحيط (٤/٢٢٥) .

(١٥٦) مغازي الواقدي (٣/٩٣٦ – ٩٣٧) .

(١٥٧) انظر تفاصيل غزوة الطائف في : مغازي الواقدي (٣/٩٢٢ – ٩٣٨) وطبقات ابن سعد (٢/١٥٨ – ١٦٠) وسيرة ابن هشام (٤/١٢٢ – ١٣٢) والدرر (٢٤٣ – ٢٤٣ – ٢٤٤) وجوامع السيرة (٢٤٢ – ٢٤٤) وعيون الأثر (٢/٢٠٠ – ٢٠٣) وانساب الأشراف (١/٣٦٦ – ٣٦٨) والطبري (٣/٨٢ – ٨٥) وابن الاثير (٢/٢٦٦ – ٢٦٨) والبداية والنهاية (٤/٣٤٥ – ٣٥٢) وصحيح مسلم بشرح النووي (١٢/١٢٢) والبخاري (٥/١٦٥) وسنن أبي داود (٢/٢٨) وزاد المعاد (٢/٤٦١) والأمتاع (٤١٥) والمواهب (١/٢١٤) وتاريخ الخميس (٢/١٠٩) .

المنفردة في الشعر الأسود الكثيف ، لذلك أصبح أمر اسلامهم أمرا مضمونا لايحتاج الا الى الوقت الذي لن يطول ، لهذا فان بقاء المسلمين في حصار الطائف لامسوغ له ، والوقت الذي ينفق فيه يذهب عبثا ولا يساوي الخسائر في أرواح المسلمين . كما أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان بحاجة ماسة الى الوقت ، وكان وقته يومئذ ثمينا لاينبغي تبديده سدى . فغنائم غزوة حنين لاتزال باقية ، وعيال هوازن وابناؤهم لاتزال باقية لم يبت في أمرهم ، ومشاكل هوازن وقبائل المنطقة تنتظر الحل ، ومشاكل مكة بعد فتحها لاتزال بحاجة الى مزيد من المعالجات ، وأمر المسلمين في كل مكان وشئون الدعوة الى الله بحاجة الى العمل الدائب المستمر ، والمدينة قاعدة الاسلام الرئيسة طال غياب النبي صلى الله عليه وسلم عنها ، كل هذه الأعمال المهمة بحاجة الى الوقت الذي لاينبغي أن يصرف في الحصار دون جدوى ولا مسوغ ، لذلك أخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي نوفل وأمر بفك الحصار عن الطائف والعودة وفك الحصار .

ولكنه عليه الصلاة والسلام ، لم يكد يلمس ما أظهرته الأكثرية من المسلمين المحاصرين للطائف من حرص شديد على استمرارهم في الحصار ، واصرار بالغ على استسلام أهل الطائف ، يؤجج هذا الاصرار والحرص حماستهم العظيمة لعقيدتهم الجديدة وإخلاصهم النادر لها ، إلا استجاب لما أرادوا باعتبارهم الأغلبية من المسلمين ، أبدوا رغبتهم في الاستمرار على حصار الطائف ، على أن كبار الصحابة وذوي الرأي منهم وعلى رأسهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، لم يكونوا مع هذه الأغلبية في رغبتهم في الاستمرار على حصار الطائف ، بل كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في العودة من الطائف وفك الحصار عنها ، وكانت استجابة النبي صلى الله عليه وسلم لرغبة الأغلبية تطبيقا عمليا لمبدأ الشورى الاسلامي في أكمل صورة وأجملها وأقومها ، فما كان عليه الصلاة والسلام يريد أن يتخلى عن تطبيق هذا المبدأ حتى في حالة تناقضه مع رأيه الصريح

الواضح المقنع ، وكان عليه الصلاة والسلام واثقا من أن الرأي السديد يفرض نفسه ولو بعد حين ، والمعترضون عليه يفرضونه على أنفسهم بأنفسهم بعد أن يتبدد اعتراضهم بمواجهة الواقع كما يتبدد الظلام بالنور ، وحينذاك يكون هذا الرأي السديد من صنع الجميع لا من صنع الفرد أو الأفراد ، ويتبناه الجميع عن طيبة خاطر لا عن طريق الأمر أو الفرض أو الاكراه .

وهذا ما حدث فعلا في هذه الصفحة من صفحات القتال ، فحين اقتنع النبي صلى الله عليه وسلم برأي نوفل بن معاوية الحصيف وأراد أن يقره ، ضج في ذلك أكثر المسلمين المحاصرين للطائف ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «فاغدوا على القتال» ، فغدوا على القتال فأصابتهم جراحات دون جدوى ، فاقتنعوا أنهم على خطأ ، وأن الانسحاب هو الصواب ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنا قافلون ان شاء الله » ، فسر المسلمون بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون والنبي صلى الله عليه وسلم يضحك ، فرحا بنجاح الشورى، وإجماع المسلمين على رأي واحد دون خلاف أو اختلاف .

٨ ــ الشورى في غزوة تبوك (١٥٨) :

أ ــ وكانت هذه الغزوة في شهر رجب من السنة التاسعة الهجرية ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لغزو الروم[١٤٩] ، وذلك في حر شديد ، حين طاب أول الثمر ، وفي عام جدب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكاد يغزو الى وجه الا ورّى بغيره ، الا غزوة تبوك ، فانه صلى الله عليه وسلم بينها للناس ، لمشقة الحال فيها ، وبعدالشقة، وقوة العدو المقصود .

---

(١٥٨) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو حصن به عين ونخل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٥/٢) ، وتبوك بلد معروف في السعودية .

(١٥٩) سيرة ابن هشام (١٦٩/٤) وجوامع السيرة (٢٤٩) والدرر (٢٥٣) وطبقات ابن سعد (١٦٥/٢) .

فقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام ، وأن هرقل قيصر الروم قد رزق أصحابه لسنة ، وأجلب معه لخماً وجذاما وعاملة وغسان ، وقدموا مقدماتهم الى البلقاء[١٦٠] ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج ، وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك ، وبعث الى مكة والى قبائل العرب يستنفرهم ، وأمرهم بالصدقة ، فحملوا صدقات كثيرة [١٦١] .

وأنفق ناس كثير من المسلمين واحتسبوا ، وانفق عثمان بن عفان رضي الله عنه نفقة عظيمة ، روى أنه حمل في هذه الغزوة على تسعمائة بعير ، ومائة فرس ، وجهز ركابها ، حتى لم يفقدوا عقالا ولا شكالا[١٦٢] ، وروى أيضا أنه أنفق فيها ألف دينار [١٦٣] .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء أو راية ، ومضى لوجهه يسير بأصحابه ، حتى قدم تبوك في ثلاثين ألفا من الناس ، وعشرة آلاف فرس ، فأقام بها عشرين ليلة، وهرقل يومئذ بحمص [١٦٤] .

ويبدو أن أخبار حشود الروم على المسلمين ، كانت أخبارا غير دقيقة ومبالغا فيها ، اذ أن هرقل كان في موضعه بحمص لم يتحرك ولم يزحف ،

---

(١٦٠) البلقاء : كورة من اعمال دمشق ، بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٧٦) ، وهي مقاطعة اردنية في الوقت الحاضر ، تشمل على لواءعمان ولواء السلط ، والأخير يشمل قضاء السلط وقضاء مأدبا .

(١٦١) مغازي الواقدي (٣/٩٩٠ — ٩٩١) .

(١٦٢) العقال : حبل يثنى به وظيف الجمل مع ذراعه ويشدان جميعا في وسط الذراع . والشكال : العقال ايضا ، تشد به قوائم الدابه ، فتوثق بين اليد والرجل ، أو هو خيط في الرحل نفسه .

(١٦٣) الدرر (٢٥٣) وجوامع السيرة (٢٥٠) .

(١٦٤) طبقات ابن سعد (٢/١٦٦) وانظر مغازي الواقدي (٣/٩٩٦) ، وحمص : مدينة سورية كبيرة معروفة ، انظر التفاصيل عنها في معجم البلدان (٣/٣٣٩ — ٣٤٢) .

وكان الذي خبر به النبي صلى الله عليه وسلم من بعثته أصحابه ، ودنوه الى أدنى الشام ـ باطلا ، ولم يرد ذلك ولم يهم به [١٦٥] .

وشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في التقدم شمالا من تبوك ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إن كنت أمرت بالمسير فسر ! »، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أمرت به ما استشرتكم فيه ! » ، فقال عمر : «يارسول الله ! فان للروم جموعا كثيرة ، وليس بها أحد من أهل الاسلام ، وقد دنوت منهم حيث ترى ، وقد أفزعهم دنوك ، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى ، أو يحدث الله عز وجل لك في ذلك أمرا »[١٦٦] .

وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة عمر بن الخطاب ، فلم يتجاوز تبوك [١٦٧] ، وانصرف من تبوك ولم يلق كيدا ، وقدم المدينة في شهر رمضان سنة تسع الهجرية [١٦٨] .

وقد كان الأنباط [١٦٩] يقدمون المدينة بالحبوب والزيت في الجاهلية وبعد أن دخل الاسلام ، وكانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم ، لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط ، فقدمت قادمة ذكروا أن الروم قد جمعت جموعا

---

(١٦٥) مغازي الواقدي (١٠١٩/٣) .

(١٦٦) مغازي الواقدي (١٠١٩/٣) .

(١٦٧) جوامع السيرة (٢٥٣) والدرر (٢٥٧) .

(١٦٨) طبقات ابن سعد (١٦٧/٢) وجوامع السيرة (٢٥٥) .

(١٦٩) الأنباط : شعب عربي قديم ، كان يعيش في الأقليم الصحراوي الذي يمتد مابين شبه جزيرة سيناء وحوران ، وكان للأنباط حضارة مازالت آثارها تتمثل في اطلال مدينة بطرا أو البتراء التي تقع ما بين الشوبك ومعان في الأردن المعاصرة ، وكانت بطرا مركزا لتجارة القوافل بين مصر والجزيرة العربية والشام ، وعاصر الأنباط الروم واشتركوا في الحروب التي دارت في المنطقة بين الروم والفرس . وعند ظهور الاسلام كانت بقاياهم موجودة اختلطت بغيرها من شعوب المنطقة كالسريان والآراميين ، وللأنباط كتابة خاصة تعرف بالخط النبطي ، وهو يشبه الخط الحميري ، انظر : القاموس الاسلامي ـ احمد عطية الله ـ (١٩٣/١) ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ .

كثيرة بالشام ، وزحفوا وقدموا مقدماتهم الى البلقاء وعسكروا بها ، وتخلف هرقل بحمص . ولم يكن ذلك ، إنما ذلك شيء قيل لهم ، فقالوه [١٧٠] . فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم ، الا أن أعد لغزوة تبوك ونفذها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم حين علم بحشود الروم على حدودهم الجنوبية وحدود المسلمين الشمالية ، قرر أن يتصدى لهم ، باعتبار أن هذا الحشد الروماني من القضايا المصيرية التي تؤثر في مصير الاسلام والمسلمين ، ومثل تلك القضايا ، يدخل في الحساب أسوأ الاحتمالات عند إعطاء القرار لمعالجتها ، فكان قرار النبي صلى الله عليه وسلم : أن يتصدى للروم ، هو القرار السليم ، فلو أن الروم حشدوا جموعهم حقا وتعرضوا بالمسلمين في عقر دارهم ، ولم يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم التدابير الضرورية للتعرض بهم قبل أن يتعرضوا بالمسلمين ، لكانت نتائج تعرض الروم بالمسلمين دون استعداد المسلمين لهم وخيمة جدا من الناحيتين المادية والمعنوية . ومع ذلك فقد انتصر المسلمون معنويا انتصارا لايقل أهمية عن الانتصار المادي في القتال ، كما استطلعوا المنطقة استطلاعا جيدا ، وتعرفوا على أهلها ، وعقدوا العهود والمواثيق مع قسم منهم ، وترامت أخبار حشود المسلمين في غزوة تبوك الى الروم ، فقالوا : لو لم يكونوا أقوياء لما تعرضوا بحدودنا الجنوبية دون خوف أو تردد ، كما أثرت هذه الغزوة في القبائل العربية التي في تلك البقاع ، مما كان له أثر في الفتوح التي جرت بعد أربع سنين في معركة اليرموك .

لقد فتحت غزوة تبوك سنة تسع الهجرية قلوب الروم وحلفائهم العرب في بلاد الشام ، وفتحت معركة اليرموك الحاسمة سنة ثلاث عشرة الهجرية أبواب الروم وحلفائهم العرب في بلاد الشام ، وكانت غزوة تبوك تمهيدا

---

(١٧٠) مغازي الواقدي (٣/٩٩٠) ، وأراد بتعبير : « ولم يكن ذلك » ، اي لم يحدث ذلك ، أو لم يقع ذلك .

لمعركة اليرموك وفتح الشام •

ويبدو أن الأنباط ، رأوا حشود هرقل الذي حكم من سنة (٦١٠م — ٦٤١م) وعاصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت الكنيسة تعضده بحرارة في حربه لعباد النار من الفرس ، تلك الحرب التي توغل فيها الى قلب فارس ، وكانت تلك الحملات في نظره عملا دينيا ، وكان للدين طيلة حكمه المنزلة الأولى [١٧١] • ولم تكن حشود هرقل تلك ، حشود حرب في واقعها ، بل كانت حشودا للاحتفال بعودة الصليب الأعظم الذي كان قد غنمه الفرس ، ثم استعاده هرقل منهم ، الى بيت المقدس ، مع ما يرافق ذلك الاحتفال من حشود مدنية وعسكرية في موكب الامبراطور تبدو في مظهرها حشودا عسكرية للروم تنحدر نحو حدودهم الجنوبية وحدود المسلمين الشمالية •

وقد كان جواب النبي صلى الله عليه وسلم : «لو أمرت ما استشرتكم فيه» ، لتساؤل عمر بن الخطاب : «ان كنت أمرت بالمسير ، فسر» ، جوابا واضحا صريحا ، يحدد نطاق الشورى العسكرية وغير العسكرية التي يجب أن تجري فيها الشورى ، وهذا النطاق يكون في الأمور الدنيوية والدينية التي ليس مدارها على الوحي والتي لم يرد فيها نص من كتاب أو سنة[١٧٢] •

ب — ولما أجمع النبي صلى الله عليه وسلم المسير من تبوك الى المدينة المنورة ، أرمل[١٧٢] الناس ارمالا شديدا ، فشخص[١٧٣] على ذلك الحال حتى جاء الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنونه أن ينحروا ركائبهم فيأكلوها ، فأذن لهم • ولقيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهم على نحرها،

---

(١٧١) نورمان بينز — الامبراطورية البيزنطية — تعريب حسين مؤنس ومحمد يوسف رابد (٥٢) — ط ٢ — القاهرة — ١٩٥٧م •

(١٧٢) ارمل فلان : نفد زاده وافتقر ، انظر المعجم الوسيط (٣٧٤/١) •

(١٧٣) شخص من بلده او عنه : خرج ، او اليه : رجع ، انظر المعجم الوسيط (٤٧٥/١) •

فأمرهم أن يمسكوا عن نحرها ، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة له ، فقال : «أذنت للناس في نحر حمولتهم يأكلونها؟» ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «شكوا الى مابلغ منهم الجوع ، فأذنت لهم ، ينحر الرفقة البعير والبعيرين ، ويتعاقبون فيما فضل من ظهرهم ، وهم قافلون الى أهليهم» . فقال : «يارسول الله ! لاتفعل ، فان يكن للناس فضل من ظهرهم يكن خيرا ، فالظهر اليوم رقاق [١٧٤]، ولكن ادع بفضل أزوادهم ثم اجمعها فادع الله فيها بالبركة كما فعلت في منصرفنا من الحديبية حيث أرملنا ، فان الله عز وجل يستجيب لك» .« ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان عنده فضل من زاد فليأت به!» ، وامر بالأنطاع[١٧٥] فبسطت ، فجعل الرجل يأتي بالمد [١٧٦] الدقيق والسويق والتمر ، والقبضة من الدقيق والسويق والتمر والكسر ، فيوضع كل صنف من ذلك على حدة، فكان جميع ماجاءوا به من الدقيق والسويق والتمر ثلاثة أفراق [١٧٧] حزرا، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أن يبارك الله فيه .

وجعل الناس يتزودون الزاد ، حتى وصلوا الى المدينة[١٧٨] واقتاتوا بما تزودوا .

وهكذا سمع النبي صلى الله عليه وسلم وجهة نظر عمر بن الخطاب رضي

---

(١٧٤) رقاق : جمع رقيق ، أي ضعيف ، انظر لسان العرب (٤١٢/١١) .

(١٧٥) الأنطاع : جمع نطع ، والنطع : بساط من الجلد ، انظر المعجم الوسيط (٩٣٠/٢) .

(١٧٦) المد : مكيال قديم ، اختلف الفقهاء في تقديره بالكيل ، فقدره الشافعية بنصف قدح ، وقدره المالكية بنحو ذلك ، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز ، وعند أهل العراق رطلان ، انظر المعجم الوسيط (٨٥٨/٢).

(١٧٧) الأفراق : جمع فرق ، وهو مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع ، أو يسع ستة عشر رطلا ، أو أربعة أرباع . والحزر : التقدير والخرص ، انظر القاموس المحيط (٢٧٤/٣) و (٨/٢) وترتيب القاموس المحيط (٤٢٣/٣) و (٥٤٥/١) .

(١٧٨) انظر التفاصيل في : مغازي الواقدي (١٠٣٧/٣ ـ ١٠٣٨) .

الله عنه ، وأخذ برأيه ، ونفذه على المسلمين يومئذ ، فاستبقى المسلمون ركائبهم ، عدة لهم في ترحالهم وغزواتهم وسراياهم ، وقوة لهم على أعدائهم في الحرب والسلام .

ان الشورى النبوية لم تقتصر في الحرب على قضايا العمليات ، بل شملت القضايا الأدارية ، ومنها الاعاشة أيضا ، وقديما قالوا :«ان الجندي يمشي على بطنه» ، فما يستطيع المشي ولا العمل ولا بذل الجهد ولا مباشرة القتال اذا كان جائعا ، فلابد من التفكير في اعاشته ليؤدي كما ينبغي واجبه في ميدان القتال .

جـ ــ وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة وعشرين فارسا الى أكيدر بن عبدالملك [179] بدومة الجندل [180] ، وكان أكيدر من كندة قد ملكهم ، وكان نصرانيا . وانتهى

(179) اكيدر بن عبدالملك : صاحب دومة الجندل ، ذكروا انه أسلم وأهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم حلة حرير فوهبها لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والصواب أنه أهدى للنبي (صلى الله عليه وسلم) وصالحه ولم يسلم . ولما صالحه النبي صلى الله عليه وسلم عاد الى حصنه وبقى فيه . ثم ان خالدا أسره لما حاصر دومة الجندل أيام أبى بكر الصديق رضي الله عنه ؛ فقتله مشركا . وقد ذكر البلاذري أن اكيدر لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع خالد أسلم وعاد الى دومة الجندل ، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ارتد ومنع ما قبله ، فلما سار خالد من العراق الى الشام قتله ، وعلى هذا القول أيضا ، فلا ينبغي أن يذكر مع الصحابة، والا فيذكر كل من أسلم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ، انظر التفاصيل في : أسد الغابة (١/١١٤) والاصابة (١/١٢٨ ــ ١٣١) .

(180) دومة الجندل : حصن في شمالي نجد ، وهي طرف من أفواه الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/١٠٦ ــ ١٠٩) .

وانظر تفاصيل عمليات خالد بن الوليد في ميدان دومة الجندل في : مغازي الواقدي (٣/١٠٢٥ ــ ١٠٣٠) وسيرة ابن هشام (٤/١٨١ ــ ١٨٢) وطبقات ابن سعد (٢/١٦٦) والدرر (٢٥٦) وجوامع السيرة (٢٥٣) وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (٢/٢٢٠ ــ ٢٢١) .

اليه خالد ، وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو أخوه حسان ، فشدت عليه خيل خالد بن الوليد ، فأستأسر أكيدر وامتنع أخوه حسان وقاتل حتى قتل وهرب من كان معهما . ودخل خالد الحصن ، وأجار أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل ، ففعل . وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح . وعزل للنبي صلى الله عليه وسلم صفيا خالصا ، ثم قسم الغنيمة فأخرج الخمس ، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قسم ما بقي بين أصحابه ، فصار لكل رجل منهم خمس فرائض(١٨١) . ثم خرج خالد بن الوليد بأكيدر وبأخيه مصاد (١٨٢) ـ وكان في الحصن ، وبما صالحه عليه قافلا الى المدينة ، فقدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأهدى له أكيدر هدية ، فصالحه على الجزية ، وحقن دمه ودم أخيه ، وخلى سبيلهما . وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه أمانهم وماصالحهم عليه ، وختمه يومئذ بظفره(١٨٣) .

وكان نص كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكيدر :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الأنداد والأصنام ، مع خالد بن الوليد سيف الله ، في دومة الجندل وأكنافها،

---

(١٨١) فرائض : جمع فريضة ، والفريضة من الدواب : المسنة ، انظر المعجم الوسيط (٢/٦٨٣) .

(١٨٢) ورد اسمه : مصاد في طبقات ابن سعد (٢/١٦٦) ، اما في مغازي الواقدي (٣/١٠٢٧) فورد اسمه مضاد ، فأثبتنا ما ورد في طبقات ابن سعد ، لأنه اسم شائع في العرب حينذاك ، بعكس ما ورد في مغازي الواقدي ، فهو اسم غير شائع ولا معروف .

(١٨٣) طبقات ابن سعد (٢/١٦٦) وانظر مغازي الواقدي (٣/١٠٢٥ ـ ١٠٢٨).

(١٨٤) الضاحية : اطراف الأرض ، كما ذكر السهيلي ، انظر الروض الأنف ٢/٣٢٠ .

وإن لنا الضاحية [١٨٤] من الضحل ، والبور ، والمعامى ، وأغفال الأرض ، والحلقة ، والسلاح ، والحافر والحصن ، ولكم الضامنة من النخل ، والمعين من المعمور بعد الخمس ، لاتعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ، ولا يحظر عليكم النبات ، ولا يؤخذ منكم عشر البتات [١٨٥] ، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة لحقها . عليكم بذلك العهد والميثاق ، ولكم بذلك الصدق والوفاء . شهد الله ومن حضر من المسلمين » [١٨٦] .

الضحل : الذي فيه الماء القليل . والبور : ماليس فيه زرع . والمعامي : ماليست له حدود معلومة . وأغفال الأرض : مياه . ولا تعد فاردتكم : لايعد ما يبلغ أربعين شاة ، والفاردة : مالاتجب فيه الصدقة . والحافر : الخيل . والمعين : الماء الجاري . والضامنة من النخل : النبات من النخل التي قد نبتت عروقها في الأرض . وفي طبقات ابن سعد ما نصه : «ولا يؤخذ منكم الا عشر » ، والثبات هنا : النخل القديم الذي قد ضرب عروقه في الأرض وثبت . أما نص ماجاء في مغازى الواقدي : «ولا يحظر عليكم النبات » ، والنبات من النخل كما ذكرنا هي التي قد نبتت عروقها في الأرض. ولايحظر عليكم النبات : ولاتمنعوا أن تزرعوه [١٨٧] .

د ـ وكانت دومة وأيلة [١٨٨] وتيماء [١٨٩] قد خافوا النبي صلى الله عليه

= وقد وردت بهذاالنص : « وان لنا الضاحية » في مغازى الواقدي (١٠٣٠/٣) ، بينما وردت في طبقات ابن سعد (٢٨٩/١) : « أن له الضاحية » ، والنص الاول أوضح وأقرب الى الفهم ، لذلك أثبتناه .

(١٨٥) البتات : المتاع ليس عليه زكاة ، انظر لسان العرب (٣١٢/٢) .

(١٨٦) مغازى الواقدي (١٠٣٠/٣) وطبقات ابن سعد (٢٨٨/١ ـ ٢٨٩) ، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية ـ د. محمد حميد الله ـ ط ٢ ـ (٢١٩) ـ تسلسل (١٩١) ـ القاهرة ـ ١٣٧٦ هـ .

(١٨٧) مغازى الواقدي (١٠٣٠/٣) وطبقات ابن سعد (٢٨٨/١ ـ ٢٨٩) .

(١٨٨) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وهي آخر الحجاز وأول الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٩١/١) .

(١٨٩) تيماء : بليد على ثماني مراحل من المدينة ، بينها وبين الشام ، انظر

وسلم لما رأوا العرب قد أسلمت ، فقدم يحنة بن رؤبة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ملك أيلة ، وأشفقوا أن يبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كمابعث الى أهل أكيدر . وأقبل معه أهل جرباء(١٩٠) وأذرح(١٩١)، فأتوه ، فصالحهم وقطع عليهم الجزية ، جزية معلومة ، وكتب لهم كتابا :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا أمنة من الله ومحمد النبي ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، لسفنهم وسائرهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله ، ولمن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر . ومن أحدث حدثا فانه لايحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وانه لايحل أن يمنعوا ماء يريدونه (١٩٢) ، ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر . هذا كتاب جهيم بن الصلت (١٩٣) وشرحبيل بن حسنة (١٩٤) باذن رسول الله »(١٩٥) .

وفاء الوفا (٢٧٢/٢) ، ويقع في أطراف الشام ، بين الشام ووادي القرى ، على طريق حاج الشام ودمشق ، انظر معجم البلدان (٤٤٢/٢).

(١٩٠) جرباء : اسم بلد في أطراف الشام ، من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦١/٣) و (٧٢/٣) .

(١٩١) اذرح : قرية في أطراف الشام بينها وبين جرباء ثلاثة أيام ، انظر معجم ما استعجم (٨٤) ، والصواب ان بينهما نحو ميل واحد أو اقل ، انظر معجم البلدان (١٦١/١) و (٧٢/٣) .

(١٩٢) وردت كذلك في مغازي الواقدي (١٠٣١/٣) ، ووردت : يردونه في طبقات ابن سعد (٢٨٩/١) .

(١٩٣) جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي : اسلم عام خيبر ، واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقا ، وفي رواية انه أسلم بعد الفتح ، والاول اصح ، انظر : اسد الغابة (٣١١/١ ـ ٣١٢) والاصابة (٢٦٧/١) والاستيعاب (٢٦١/١) .

(١٩٤) شرحبيل بن حسنة الكندي : وحسنة اسم امه ، واسم ابيه عبدالله ابن المطاع ، يكنى : ابا عبدالله ، وكان شرحبيل حليفا لبني زهرة .

=

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد كتب الى يحنة بن رؤبة وسروات أهل أيلة كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

سلم أنتم ، فاني أحمد اليكم الله الذي لا إله الا هو ، فاني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب اليكم ، فأسلم أو أعط الجزية واطع الله ورسوله ورسل رسوله وأكرمهم واكسهم كسوة حسنة غير كسوة الغزاء . واكس زيدا

=
اسلم قديما واخواه ، وهاجر الى الحبشة هو واخواه ، فلما قدموا من الحبشة نزلوا في بني زريق في ربعهم ، وكان من علية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغزا معه عدة غزوات . كان من قادة ابى بكر الصديق رضي الله عنه في حرب الردة ، ولما انتهت حرب الردة ولاه ابو بكر الصديق قيادة جيش من جيوش فتح الشام ، وشهد معركة اليرموك على راس جيشه ، وفتح بيسان وطبرية والأردن ، وكان فتح هذه البقاع في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد بقى واليا من ولاة عمر وقادته على الأردن الى أن مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة الهجرية ، وله سبع وستون سنة . طعن هو ابو عبيدة بن الجراح في يوم واحد ، ولما وقع الطاعون بالشام خطب عمرو بن العاص الناس فقال : « ان هذا الطاعون رجس ، فتفرقوا عنه في هذه الشعاب وفي هذه الأودية » ، فبلغ ذلك شرحبيل بن حسنة ، فغضب ، فجاء يجر ثوبه فقال : « صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو اضل من حمار أهله ، ولكنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم ووفاة الصالحين قبلكم » ، انظر التفاصيل في : طبقات ابن سعد (٣٩٤/٧) و (١٢٧/٤) واسد الغابة (٣٩١/٢) والاصابة (١٩٩/٣) والاستيعاب (٦٩٩/٢) وتهذيب ابن عساكر (٣٠٠/٦ ـ ٣٠١) والمعارف (٣٢٥) وشذرات الذهب (٣٠/١) وجمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٤١) وجوامع السيرة (٦١) وسيرة ابن هشام (٣٥٠/١) ، وانظر تفاصيل سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (١١٣ ـ ١١٩) .

(١٩٥) طبقات ابن سعد (٢٨٩/١) ومغازى الواقدي (١٠٣١/٣) ، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (٢١٧) ـ تسلسل (١٩١) .

كسوة حسنة ، فمهما رضيت رسلي فاني قد رضيت ، وقد علم الجزية ، فان أردتم أن يأمن البر والبحر فأطع الله ورسوله ويمنع عنكم كل حق كان للعرب والعجم الا حق الله وحق رسوله وانك ان رددتهم ولم ترضهم لآخذ منكم شيئا حتى أقاتلكم ، فأسبي الصغير وأقتل الكبير ، فاني رسول الله بالحق ، أؤمن بالله وكتبه ورسله وبالمسيح بن مريم أنه كلمة الله ، واني أؤمن بـه أنه رسول الله • وائت قبل أن يمسكم الشر ، فاني قد أوصيت رسلي بكم ، وأعط حرملة ثلاثة أوسق شعيرا ، وان حرملة شفع لكم ، واني لولا اللـه وذلك لم أراسلكم شيئا حتى ترى الجيش ، وانكم ان أطعتم رسلي فان الله لكم جـار ومحمـد ومن يكون منـه ، وان رسلي شرحبيل وأبي (١٩٦) وحرملة(١٩٧) وحريث بن زيد الطائي(١٩٨) فانهم مهما قاضوك عليه فقد رضيته، وان لكم ذمـة الله وذمة محمـد رسول الله ، والسلام عليكم ان أطعتم ، وجهزوا أهل مقنا (١٩٩) الى أرضهم» (٢٠٠) .

وكان أثر هذا الكتاب النبوي واضحا في يحنة بن رؤبة،فقدم الى النبي صلى الله عليه وسلم وعقد معه المعاهدة التي ذكرناها ، وكان عليه صليب من ذهب ، وكان معقود الناصية ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليـه وسلم كفر (٢٠١) وأومأ برأسه ، فأومأ اليه رسول الله صلـى الله عليـه وسلم ،

---

(١٩٦) ابي : لم اسـتطع ان اعرف اي ابي هو المقصـود ، لوجـود كثير من الصحابة بهذا الاسم .

(١٩٧) حرملة : لم استطع أن اعرف أي حرملة هو المقصود ، لوجود كثيرمن الصحابة بهذا الاسم .

(١٩٨) حريث بن زيد الطائي : هو زيد الخيل ، له صحبة ، شهد هو واخوه حرب الردة مع خالد بن الوليد ، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى يحنة بن رؤبة واهل ايلة ، انظر سيرته في : اسـد الغابة (١/٣٩٨ ــ ٣٩٩) والاصابة (٢/٣ ــ ٤) وتهذيب ابن عساكر (٤/١١٤) .

(١٩٩) مقنا : قرب ايلة ، انظر معجم البلدان (٨/١٢٨) .

(٢٠٠) طبقات ابن سعد (١/٢٧٧ ــ ٢٧٨) .

(٢٠١) التكفير : ايماء الذمي برأسـه ، والتكفير لأهل الكتاب : أن يطـأطىء

=

أن ارفع رأسك ، وصالحه يومئذ وكساه رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم بردايمنة ، وأمر بانزاله عند بلال [٢٠٢] . كما كان على أكيدر حين قدم به صليب من ذهب وعليه الديباج ظاهرا[٢٠٣] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد وضع الجزية على أهـل أيلة ثلاثمائة دينار كل سنة ، وكانوا ثلاثمائة رجل [٢٠٤] ، أي أنه وضع دينارا واحدا في كل سنة على كل رجل من رجال أيلة .

هـ ـ وكتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا الى أهل أذرح هذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح ، إنهم آمنون بأمان الله ومحمد ، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان للمسلمين ومن لجأ اليهم من المسلمين مـن المحافة والتعزيز اذا

= احدهم راسه لصاحبه كالتسليم عندنا ، والتكفير : ان يضع يده أو يديه على صدره ، انظر لسان العرب (٦/٤٦٦) .

(٢٠٢) بلال بن رباح الحبشي : يكنى ابا عبدالكريم وقيل أبا عبدالله ، وقيل أبا عمرو ، وهو مولى ابي بكر الصديق اشتراه واعتقه ، وكان مؤذنا لرسول الله عليه وسلم وخازنا . شهد بدرا والمشاهد كلها وكان مـن السابقين الى الأسلام وممن عذب في الله وصبر على العذاب . ذهب الى الشام بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى مجاهدا . توفى بالشام ، ودفن بباب الصغير بدمشق ، وكانت وفاته سنة عشرين الهجرية ، وهو ابن بضع وستين سنة ، وكان آدم شديد الأدمة نحيفا طوالا أجنأ خفيف العارضين ، ولم يعقب انظر تفاصيل سيرته في : طبقات ابن سعد (٣/٢٣٢ ـ ٢٣٩) واسد الغابة (١/٢٠٦ ـ ٢٠٩) والأصابة (١/١٧٠ ـ ١٧١) والاستيعاب (١/١٧٨ ـ ١٨٢) وتهذيب الأسماء واللغات (١/١٣٦ ـ ١٣٧) .

(٢٠٣) طبقات ابن سعد (١/٢٩٠) ومغازى الواقدي (٣/١٠٣١ ـ ١٠٣٢) . وبردا يمنة : البرد ، جمع بردة . وبردة يمنة : بردةمنبرود اليمن انظر الصحاح (٢٢٢١) .

(٢٠٤) طبقات ابن سعد (١/٢٩٠) ومغازى الواقدي (٣/١٠٣١) .

خشوا على المسلمين، وهم آمنون حتى يحدث اليهم محمد قبل خروجه»[٢٠٥].
يعني اذا أراد الخروج •

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأهل جرباء وأذرح كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي لأهل جربا وأذرح ، إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم» [٢٠٦] •

وكتب لأهل مقنا ، إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وإن عليهم ربع غزولهم وربع ثمارهم •

وأهل مقنا على ساحل البحر يهود ، وأهل جربا وأذرح يهود أيضا ، وقوله : طيبة،من الخلاص أي ذهب خالص • وقوله : خروجه ، أي إذا أراد الخروج[٢٠٧] •

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني جنبة وهم يهود بمقنا والى أهل مقنا ، ومقنا قريب من أيلة مانصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من : محمــد رسول الله •

الى : بني جنبة والى أهل مقنا •

أما بعد ! فقد نزل علي أيتكم راجعين الى قريتكم ، فاذا جاءكم كتابي

---

(٢٠٥) طبقات ابن سعد (١/٢٩٠) ومغازي الواقدي (٣/١٠٣٢) وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في مجموعة الوثائق السياسية (٥٥ ــ ٥٦) تسلسل (٣٢ ــ ٣٢/الف) .

(٢٠٦) طبقات ابن سعد (١/٢٩٠) ومغازي الواقدي (٣/١٠٣٢) .

(٢٠٧) طبقات ابن سعد (١/٢٩١) .

هذا فانكم آمنون لكم ذمة الله وذمة رسوله ، وان رسول الله غافر لكم سيئاتكم وكل ذنوبكم ، وان لكم ذمة الله وذمة رسوله لاظلم عليكم ولا عدى ، وان رسول الله جاركم مما منع منه نفسه ، فان لرسول الله بزكم وكل رقيق فيكم والكراع والحلقة الا ماعفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله ، وان عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخلكم وربع ماصادت عروككم وربع ما اغتزل نساؤكم ، وإنكم برئتم بعد من كل جزية أو سخرة ، فان سمعتم وأطعتم فان على رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم .

أما بعد ! فالى المؤمنين والمسلمين من أطلع أهل مقنا بخير فهو خير له ، ومن أطلعهم بشر فهو شر له ، وأن ليس عليكم أمير الا من أنفسكم أو من أهل رسول الله ، والسلام » .

أما قوله أيتكم : يعني رسلهم . ولرسول الله بزكم : يعني بزهم الذي يصالحون عليه في صلحهم ورقيقهم . والحلقة : ماجمعت الدار من سلاح أو مال . أما عروككم : فالعروك خشب تلقى في البحر يركبون عليها ، فيلقون شباكهم يصيدون السمك (٢٠٨) .

---

(٢٠٨) طبقات ابن سعد (١/٢٧٦ – ٢٧٧) ، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (٥٧) تسلسل (٣٣) .
وقد جاء في : مجموعة الوثائق السياسية (٥٩) تسلسل (٣٤) رسالة اخرى الى اهل مقنا بعنوان : رواية أخرى عن معاهدة مقنا المذكورة ، وهذه الرسالة مختلقة . جاء في البداية والنهاية ما نصه : « أما ما يدعيه طائفة من يهود خيبر ان بأيديهم كتابا من النبي صلى الله عليه وسلم بوضع الجزية عنهم ، وفي آخره : وكتب علي بن ابي طالب ، فهو كذب وبهتان مختلق موضوع مصنوع ، وقد بين جماعة من العلماء بطلانه ، واغتر بعض الفقهاء المتقدمين فقالوا بوضع الجزية عنهم ، وهذا ضعيف جدا . وقد جمعت في ذلك جزءا مفردا بينت فيه بطلانه وانه موضوع اختلقوه ، وهم اهل لذلك » ، انظر البداية والنهاية (٥/٣٥١ – ٣٥٢) ، والرسالة المذكورة لأهل خيبر واهل مقنا ، كما جاء في نصها الواضح تزويره ، فما كان ينبغي أن تذكر هذه =

و ـ واذا كان انتصار المسلمين في غزوة تبوك انتصارا معنويا ،الذي لايقل أهمية عن الانتصار المادي ، لأن المسلمين لم يلقوا في هذه الغزوة كيدا، إلا ان معاهدات الصلح التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع أهـل دومة وأيلة وتيماء وجرباء وأذرح ومقنا وبني جنبة كانت انتصارا معنويـا وانتصارا ماديـا كاملا .

أما الانتصار المعنوي للمسلمين في غزوة تبوك وفي معاهدات الصلح التي كانت ثمرة من ثمرات هذه الغزوة ، فان معنويات المسلمين ارتفعت كثيرا تجاه الروم وحلفائهم الغساسنة ، وبذلك استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل المسلمين يعتقدون بأن في امكانهم محاربة الروم وحلفائهم والتغلب عليهـم .

ولم يكن العرب المسلمون (يحلمون) قبل الرسول صلى الله عليـه وسلم بأنهم يستطيعون صد تعرض الروم وحلفائهم عليهم في عقر دارهم ، فأصبحوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالاسلام (يعتقدون) بعد تبوك بأن في مقدورهم محاربة الروم في بلاد الروم نفسها والانتصار على جيوشهم هنـاك .

والحق ان العرب غير المسلمين استهولوا قتال العرب المسلمين للروم ، فقال قائلهم وهم يشيرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق الى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : « أتحسبون جلاد بني الأصفر (أي الروم) كقتال العرب بعضهم بعضا ؟ والله لكأنا بكم غدا مقرنـين في الحبـال » ،

=

الرسالة في : مجموعة الوثائق السياسية ، وانظر احكام اهل الذمـة لابن قيم الجوزية (١/٧ ـ ٩) .

ويكفي لاثبات تزويرها انها منشورة ضمن بحث في مجلة (جويش كوارترلي رفيو Jewish Quartery Review) . وهـي مجـلة صهيونية معروفة ـ لندن ـ مجلد ١٥ من السلسلة الاولى (شـهر يناير سنة ١٩٠٣م) ـ ص (١٦٧ ـ ١٨١) .

يرهبا وإرجافا وترهيبا للمؤمنين (٢٠٩) ، فما كان هؤلاء العرب الذين لم يسلموا يصدقون بأن العرب المسلمين قادرون على حرب الروم، ولكن العرب المسلمين كانوا واثقين من نصر الله ، فاذا كان العرب أنفسهم يستهينون بأنفسهم الى هذا الحد ، فلا لوم على الروم في استهانتهم بالعرب أيضا .

لقد قضى انتصار المسلمين المعنوي على الروم قضاء حاسما على تردد المتخلفين عن الاسلام من العرب ، فاذا كانت قوات المسلمين تهدد الروم في عقر ديارهم وهم من هم قوة وسلطانا ، فلا مجال للقبائل العربية غير المسلمة أن تثبت أمام المسلمين . لذلك أقبلت وفود أكثر القبائل العربية الى المدينة بعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم اليها من تبوك معلنة اسلامها ، وأقبل الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، لهذا سمي هذا العام بعام الوفود.

ولكن الروم بقدر اهتمام العرب المسلمين بهم ، وإعداد القوة لهم ، واستكمال الاستحضارات بكل تفاصيلها لقتالهم ، كانوا يتصورون أنه لافرق بين العرب قبل الاسلام وبين العرب بعد الاسلام ، وان الحرب التي يشنها العرب المسلمون كالحرب التي كان يشنها العرب قبل الاسلام ، فالحرب العربية في مجملها غارات تلتهب بسرعة وتخمد بسرعة ، دون أن تترك أثرا ولا تأثيرا ، فكانت استهانة الروم بالعرب المسلمين ، بقدر اهتمام العرب المسلمين بالروم واستعدادهم الكامل المفصل لحربهم ، فوقع الروم في خطأ عسكري سوقي عظيم ، كان له أسوأ الأثر في مستقبل الروم وحكمهم في بلاد الشام وفي وطنهم الأم ، فما كان ينبغي لهم أن يستهينوا بالعرب المسلمين استهانة لامسوغ لها ، اذ لم يكن لهم أي رد فعل تجاه غزوة تبوك لا على نطاق جيش الروم الأصلي في قيادته العامة ، ولا على نطاق جيش الروم المحلي في قيادته الفرعية التي كانت تسيطر على منطقة ميدان القتال .

وقد أدى اندحار الروم معنويا في غزوة تبوك ، الى تفكير القبائل العربية الخاضعة لهم ، بعدم جدوى اعتمادهم على الروم لحمايتهم ، ولابد من

---

(٢٠٩) سيرة ابن هشام (٤/١٨٠) .

التحالف مع المسلمين الأقوياء ، ليضمنوا لهم الحماية والاستقرار ، لذلك أقبلت القبائل العربية على مصالحة المسلمين ومحالفتهم ، وازداد انتشار الاسلام في تلك المناطق عما كان عليه بعد مؤتة .

واستطاع الرسول صلى الله عليه وسلم ـ تتيجة لذلك ـ تنظيم نقاط ارتكاز على الحدود الشمالية الغربية لجزيرة العرب التي تربط الجزيرة العربية ببلاد الشام الخاضعة للروم في حينه ، وذلك بعقد المحالفات مع سكان تلك المنطقة واقبال قسم منهم على اعتناق الاسلام . فكان من تلك النقاط الارتكازية في الصحراء كدومة ، وكان منها على ساحل بحر القلزم، وكان سائرها على حدود بلاد الشام الجنوبية وحدود الجزيرة العربية الشمالية الغربية ، وبذلك ضمن الرسول صلى الله عليه وسلم حماية الحدود الشمالية الغربية لجزيرة العرب تجاه الروم وحلفائهم الغساسنة ، كما أصبحت تلك المواقع الموالية للمسلمين نقاط انطلاق المسلمين لفتح بلاد الشام .

ان نقاط الارتكاز في مواقعها السوقية ، سهلت مهمة الفتح الاسلامي على عهد الخلفاء الراشدين ، فمنها انطلقت قوات المسلمين الى الشمال ، وعليها ارتكزت لتحقيق هدفها العظيم في فتح بلاد الشام .

أما الانتصار المادي الذي حققه المسلمون في عقد معاهدات الصلح مع أهل دومة وأيلة وتيماء وجرباء وأذرح ومقنا وبني جنبة ، فبالاضافة الى ضمان ولائهم للمسلمين ، وانتشار الاسلام في ربوعهم ، ونهوضهم بواجب حماية الحدود الشمالية الغربية لجزيرة العرب ، وتشكيلهم نقاط انطلاق للاندفاع شمالا نحو بلاد الشام ، فقد استفاد المسلمون من الغنائم في وقت كانوا بأمس الحاجة اليها ، كما استفادوا من الجزية التي فرضت على الذين بقوا على دينهم ولم يعتنقوا الاسلام .

والمهم ماظهر في هذه الغزوة من تطبيق الشورى العسكرية في خطط العمليات وفي القضايا الأدارية أيضا ، وهو درس حيوي تتعلمه من هذه الغزوة التي كانت آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

الخـاتمة

١ ـ في الشورى العسكرية :

أ ـ ذكر المفسرون القدامى في كتب تفسير القرآن الكريم ، والمحدثون في كتب الحديث النبوي الشريف وفي كتب شرح الحديث النبوي الشريف، والفقهاء في كتب الفقه الاسلامي وكتب السياسة الشرعية والخراج والأموال وكتب السير ، وهو ما نسميه بالوقت الحاضر : «حقـوق الدول الخـاصة والعامة في الاسلام »[١] ، أمثلة على تطبيق النبي صلى الله عليـه وسـلم للشورى العسكرية في : غزوة بدر الكبرى ، وغزوة أحد ، والخندق ، على العموم ، وقد ذكروا تلك الأمثلة بايجاز شديد •

وذكر أحد الفقهاء استشارة النبي صلى الله عليه وسلم في أمر رد سبي هوازن [٢] بايجاز شديد أيضا ، وهذا مجمل كل ما ذكره المؤلفون القدامى عن الشورى العسكرية النبويـة •

أما المفسرون والفقهاء والمحدثون ورجال القانون والمؤلفون المحدثون الذين كتبوا في : الشورى الاسلامية ، فقد اقتبسوا ما كتبه القدامى بشيء من الشرح تارة وبشيء من الايجاز تارة اخرى ، وكانت شواهدهم من غزوة بدر الكبرى ، وغزوة أحد ، وغزوة الخندق كشواهد الأقدمين نصا وروحا،

---

(١) انظر مقدمة في علم السير أو حقوق الدول في الاسلام ـ د. محمد حميد الله ـ مقدمة لكتاب احكام اهل الذمة ـ ص (٧٥) ـ ابن قيم الجوزية ـ تحقيق د. صبحي الصالح ـ ط١ ـ دمشق ١٣٨١ هـ •

(٢) كتاب الأموال ـ أبو عبيد ـ ص (١١٧ ـ ١١٨) ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ م •

(٣) نظام الحكم في الاسلام ـ د. محمد يوسف موسى ـ ص (١١٢) ـ القاهرة ـ ١٩٦٢ م •

مع اضافة الشورى في غزوة حنين [3] في سطر واحد فقط : «واستشار الرسول صلى الله عليه وسلم كافة المسلمين في أمر رد سبي هوازن»[4] .

والمؤلفون القدامى والمحدثون من مفسرين ومحدثين وفقهاء . يهمهم بالدرجة الأولى ، تقرير القاعدة الاسلامية ثم تأكيدها بالمثال ، ومؤلفاتهم عبارة عن قواعد ترتكز على الكتاب والسنة وأمثلة من التطبيق العملي لتلك القواعد ، فلا لوم على أولئك المؤلفين في توخيهم الايجاز عند ذكرهم الأمثلة التطبيقية على تلك القواعد الاسلامية أو تلك التعاليم الاسلامية بتعبير آخر ، المستمدة من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

ولكن هذا الايجاز في ذكر الأمثلة التطبيقية ـ وبخاصة في أمثلة التطبيق العملي للشورى العسكرية النبوية ، فوّت على الدارسين والمحققين بخاصة ، وعلى المسلمين والعسكريين منهم بعامة ، ألوانا من الشورى العسكرية النبوية على جانب عظيم من الفائدة ، لايسكن الاستغناء عنها ، وهي تغني الفكر الاسلامي والعالمي بفيض من التجارب العملية التي قادت الى النصر ، وجعلت الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة باذن الله .

وعدت الى مادونه المؤرخون القدامى في المصادر التاريخية المعتمدة ، والى كتب السيرة النبوية الأولى ، فوجدت تلك المصادر غنية بالتطبيقات العملية في الشورى العسكرية النبوية ، وهي أضعاف ما دونه المؤلفون القدامى والمحدثون في مجال التفسير والحديث والفقه من ناحية العدد ، ولاتقل في أهميتها وفائدتها عما أورده المفسرون والمحدثون والفقهاء ، فأحصيت ماورد في مصادر التاريخ والسيرة النبوية ، وأضفته الى ماورد في مصادر التفسير والحديث والفقه الاسلامي العظيم .

وقد رأيت من المفيد أن أوقت الغزوات التي كان فيها تطبيق للشورى

---

(٤) الرقابة على اعمال الأدارة في الشريعة الأسلامية والنظم المعاصرة ـ د. سعيد عبد المنعم الحكيم ـ ص (٢٠٨) ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ م .

العسكرية ،وأن ألقي الضوء على الظروف التي جرت فيها الشورى في تلك الغزوات ، لكي أضع القارىءفي الصورة التي تعينه على تفهم حكمة الشورى وأسبابها ونتائجها الايجابية في المعارك وأسلوب تطبيقها وظروف التطبيق ، فما خاب من استشار ، لأنه يضيف آراء الى رأيه وعقولا الى عقله ، والخائب هو الذي لايستشير ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :«ماخاب من استخار [٥] ولا ندم من استشار ، ولا عال [٦] من اقتصد» [٧] •

ب ـ استشار النبي صلى الله عليه وسلم في مسير الاقتراب الى بدر من معه من المسلمين ، لضمان مشاركة الأنصار في القتال ، فكانوا معه في السراء والضراء وحين البأس •

وبادر الحباب بن المنذر بابداء مشورته في تبديل معسكر المسلمين في بدر الى معسكر مناسب ، فعمل النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة الحباب•

وقبل نشوب القتال ، بادر سعد بن معاذ بمشورة بناء العريش للنبي صلى الله عليه وسلم ، ليكون مقرا تعبويا للمعركة ، فعمل النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة سعد •

وبعد المعركة استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في أمر أسرى بدر من المشركين ، فأشار أبو بكر بابقاء الأسرى على قيد الحياة ، وأشار عمر بقتلهم، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي أبي بكر •

لقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في غزوة بدر الكبرى : الأولى استشارة عامة ، والثانية بمبادرة من المستشار ، والثالثة

---

(٥) استخار : طلب الخيرة من الأمور .

(٦) عال : افتقر .

(٧) عن انس رضي الله عنه ، رواه الطبراني في الأوسط ، وهو حديث حسن ، انظر : مختصر الجامع الصغير للمناوي ـ مصطفى محمد عمارة ص (٢/٢٤٥) ـ ط١ القاهرة ـ ١٣٧٣ هـ .

استشارة خاصة ، وأخذ بمشورة ذوي الرأي •

وليس هناك أي نص على استشارته في أثناء المعركة ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ملازما له في ساعات القتال ، ومن المنطق أنه استشار أبا بكر في بعض ما عرض له من معضلات في القتال •

وقبل نشوب القتال في غزوة أحد ، كان رأي النبي صلى الله عليه وسلم البقاء في المدينة والدفاع عنها ، ولكن أغلبية المسلمين أرادوا الخروج الى أحد ، فأخذ برأي الأغلبية •

وبعد الرجوع الى المدينة من غزوة أحد ، أشار على النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بالخروج الى حمراء الأسد لمطاردة المشركين ، فأخذ بمشورتهما وطارد المشركين •

وقبل نشوب القتال في غزوة الخندق استشار النبي صلى الله عليه وسلم في أسلوب الدفاع عن المدينة وممارسة القتال فيها ، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق كما يفعل قومه في الدفاع عن مدنهم ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة سلمان •

وفي أثناء القتال ، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطي شيئا من تمر المدينة لعيينة بن حصن ليخذل عنهم غطفان ، ولكن سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة أشارا عليه بعدم إعطاء غطفان أي شيء من ثمار المدينة ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورتهما •

أما في غزوة الحديبية ، فكان فيها ثلاث مراحل للشورى : الأولى في المدينة ، حيث أشار قسم من المسلمين بالتسلح الكامل خوفا من مباغتة المشركين لهم ، ولكن كبار الصحابة كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في التسلح بسلاح الراكب لاثبات نيات المسلمين السلمية وأنهم جاءوا معتمرين ومعظمين للبيت الحرام ، فلم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة من أشار عليه بالتسلح الكامل • والمرحلة الثانية في عسفان بعد أن عرف المسلمون بأن قريشا أعدت لحربهم وقدمت خالد بن الوليد على رأس الخيل

لصد المسلمين بالقوة ، فكان رأي ذوي الرأي من المسلمين : المضي قدما ، فمن صدهم عن البيت قاتلوه ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورتهم مع الاصرار على إظهار نياته السلمية وعدم الاصطدام بالمشركين ما استطاع الى ذلك سبيلا • وكانت المرحلة الثالثة في الحديبية ، حيث تذمر قسم من المسلمين من نتيجة المفاوضات ، ولكن أغلب ذوي الرأي كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في نياته السلمية وفي إقرار السلام •

وفي غزوة خيبر ، أشار الحباب بن المنذر بتبديل معسكر المسلمين الراهن الى معسكر جديد أكثر أمنا من الاول ، فعمل النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة الحباب ، بعد أن جرى اختيار المعسكر الآمن •

كما أشار الحباب أيضا بقطع نخل يهود ، ليؤثر ذلك في معنوياتهم ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المشورة •

ولكن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، أشار بالتوقف عن قطع النخل ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورته أيضا ، بعد أن أدى قطع النخل مفعوله في معنويات يهود ، ولم يعد هناك مايسوغ الاستمرار على القطع •

وفي الجعرانة بعد توقف القتال في غزوة حنين وغزوة الطائف ، استشار النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في رد سبي هوازن الى ذويهم، وبادر هو بالتنازل عن حقه في السبي وحقوق بني المطلب ، فتنازل المسلمون الأولون عما في أيديهم من السبي ، ورفض قسم من مسلمي الفتح التنازل عن سبيهم ، فعوضهم بما أرضاهم ، وهكذا عاد سبي هوازن الى هوازن •

وفي غزوة الطائف ، عسكر المسلمون في معسكر قريب من مرمى العدو، فتكبدوا خسائر فادحة بالأرواح • وكان لابد من تبديل معسكرهم الى معسكر مرتفع بعيد عن المشركين المحاصرين في الطائف ، فاختار الحباب بن المنذر معسكرا جيدا مناسبا أكثر أمنا من المعسكر الاول ، وانتقل المسلمون الى معسكرهم الجديد •

ولما طال الحصار واشتدت مقاومة المشركين ، شاور النبي صلى

الله عليه وسلم أصحابه ، فأشار عليه سلمان الفارسي بنصب المنجنيق على حصن الطائف في محاولة لاستسلام المشركين ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة سلمان ، واستعمل المنجنيق والدبابة في حصار الطائف .

واستشار النبي صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي في أمر الانسحاب عن الطائف ، فقال : « يارسول الله ! ثعلب في جحر ، ان أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك شيئاً » ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأيه ، وأمر بالرحيل . ولكن قسما من المسلمين حرصوا على استسلام الطائف وآثروا البقاء على الحصار ، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على الاستمرار في الحصار . وأصابت المسلمين جراحات ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالرحيل ، فسر المسلمون بذلك وأذعنوا .

وفي غزوة تبوك ، استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في التقدم من تبوك ، شمالا ، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدم التقدم شمالا في هذه السنة ، لعدم استفزاز حشود الروم وحلفائهم المتفوقة على المسلمين تفوقاً كاسحا دون مسوغ ، فأخذ عليه الصلاة والسلام بمشورة عمر ، ولم يتقدم المسلمون من تبوك شمالا .

وجاع قسم من المسلمين ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نحر ركائبهم ليأكلوها ، فأذن لهم .

ولكن عمر بن الخطاب أشار بعدم نحر تلك الركاب ، لصعوبة تعويضها في مثل تلك الظروف الحرجة ، والمسلمون بعيدون عن قاعدتهم المدينة ، واشار بجمع أرزاق المسلمين في مكان واحد ، ثم توزيعها عليهم ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة عمر .

ومن المعلوم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ،

والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف [٨]، كان للشورى العسكرية مجال واسع وتطبيق واضح في : بدر ، وأحد والخندق ، وخيبر ، والطائف ، أي في ست غزوات من الغزوات التسع التي قاتل فيها ، كما كان للشورى العسكرية مجال واسع وتطبيق واضح في غزواته : حمراء الأسد ، والحديبية، وخيبر ، وتبوك وهذه الغزوات بدون استثناء ، لاتقل أهمية وخطرا عن غزواته الأخرى ، فغزوة حمراء الأسد التي خرج فيها المسلمون بعد نكسة أحد مباشرة وهم جرحى مصابون بذويهم في أحد ليست من الغزوات السهلة، بل هي خطيرة جدا وتتسم بالجراءة والاقدام . والحديبية هي التي نزل فيها قوله تعالى : (انا فتحنا لك فتحا مبينا)[٩] ، وقوله تعالى : (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا)[١٠] وكان لها أثرها العظيم في حاضر المسلمين ومستقبلهم . ويكفي أن نذكر أن غزوة تبوك أول غزوة تعرض بها المسلمون بقوات ضخمة بالروم وجرأت العرب على التعرض بالامبراطورية البيزنطية لأول مرة في التاريخ ، وكان لها ما بعدها في فتح بلاد الشام . وعلى ذلك كانت الشورى النبوية في تسع غزوات هي من أهم وأخطر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم على الاطلاق .

جـ ـ لقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم الشورى العسكرية تطبيقا عمليا احدى وعشرين مرة في تسع غزوات من غزواته (انظر التفاصيل في الملحق المرفق) ، تضم الوانا شتى من الشورى و دروسا وعبرا ، ما أحوجنا أن نتعلمها عربا ومسلمين ، فهي حرية بالدراسة والاعتبار ، من أجل حاضر أحسن ومستقبل أفضل للعرب والمسلمين ، فليس كالشورى وسيلة لحشد الجهود وتوحيد الصفوف ، لتحقيق أهداف الأمة في السلم والحرب.

---

(٨) مغازي الواقدي (٧/١) وطبقات ابن سعد (٦/٢) وسيرة ابن هشام (٢٨١/٤) .
(٩) الآية الكريمة في سورة الفتح (٤٨ : ١) .
(١٠) الآية الكريمة في سورة الفتح (٤٨ : ١٨) .

ولايمكن أن تكون تطبيقات النبي صلى الله عليه وسلم للشورى العسكرية تقتصر على هذا العدد حسب ، بالرغم من أن هذا العدد أضعاف العدد الذي يردده المفسرون والمحدثون والفقهاء القدامى والمحدثون في مؤلفاتهم . ولكن هذا العدد هو المدون في المصادر التاريخية المعتمدة ومصادر السيرة النبوية بعد جمعها وتنسيقها من تلك المصادر ، فمن المعلوم أن كثيرا من الحوادث لا تدون في المؤلفات لسبب أو لآخر ، ومع ذلك فان هذا العدد كبير" جدا،كما أن ممارساته في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم كبير جدا.

وبالامكان اقتباس الدروس والعبر من ممارسات النبي صلى الله عليه وسلم للشورى العسكرية في غزواته ، فهو الأسوة الحسنة والقدوة لأمته في كل زمان ومكان .

كانت استشارته الأولى في مرحلة مسير الاقتراب من المدينة الى بدر ، حيث علم بخروج مشركي قريش لحربه ، فاستشار المسلمين الذين كانوا معه، وكان يريد الأنصار بهذه الاستشارة ، رغبة منه في استخراج خبايا نفوسهم بصراحة ووضوح هل يحاربون معه خارج المدينة ، أم يحاربون معه داخل المدينة فقط تطبيقا لما بايعوه في العقبة ، فتبين له أنهم معه في المدينة وخارجها، وأن روابط الأيمان الراسخ أقوى من روابط المعاهدات ، وبذلك اتضح موقف الأنصار جليا للنبي صلى الله عليه وسلم وللمهاجرين الذين كانوا معه يومئذ . انه عليه الصلاة والسلام لم يخصص الأنصار بالاستشارة في هذا الموقف ، لئلا يحرجهم أو يضعهم في موقف صعب ، ولكنه جعل الاستشارة عامة ، فسمع الانصار رأي المهاجرين أولا ، ثم أبدوا رأيهم ، فانكشفت نياتهم بجلاء وتكشفت خبايا نفوسهم بوضوح ، ولم يبق شك في موقفهم السليم ، وبذلك نتعلم درسا في أسلوب الشورى الذي يعمم ولا يخصص ، والنتيجة واحدة بعيدا عن الاحراج .

واستشار من معه من المسلمين في أمر سبي هوازن ، لأن الأمر يخصهم جميعا،فكل فرد منهم كان لديه شيء من السبي،ورده الى أهله يقتضي موافقة

الذي يملك هذا الجزء من السبي ، وقد بادر النبي صلى الله عليه وسلم بالتنازل عما في حوزته من السبي وفي حوزة آله من بني عبدالمطلب ، فكان أسوة حسنة لغيره ، فاقتدى به السواد الأعظم من المسلمين وتنازلوا عما في أيديهم من السبي ، وتنازل من حرص على ما في يديه من السبي بعد أن وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتعويض المجزي • وبذلك نتعلم درسا في أسلوب الشورى الذي يجعل المستشير نفسه قدوة لغيره في التنازل عن القضايا المادية من أجل القضايا المعنوية •

واستشار من معه من المسلمين في غزوة تبوك للتقدم شمالا ، نظرا لخطورة هذه العملية على مصائرهم جميعا ، فأشار عمر بن الخطاب بعدم التقدم ، لامكان الاصطدام بحشود الروم وحلفائهم المتفوقة تفوقاً ساحقا على المسلمين • وبذلك نتعلم درسا في استشارة الجميع اذا كان الأمر يمس مصائر الجميع •

وكان رأي النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد ، الدفاع في المدينة عن المدينة ، ولكن أغلبية المسلمين في حينه أرادوا الخروج الى أحد ومنازلة المشركين هناك ، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على رأي الأغلبية، وقرر مغادرة المدينة والخروج الى أحد • وبذلك نتعلم درسا في الأخذ برأي الأغلبية في الشورى ، ويكون القرار نهائيا لارجعة عنه : (فاذا عزمت فتوكل على الله) (١١) •

وقد جاء في تفسير هذه الآية : أي اذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله (١٢) فاذا عزمت : فاذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح (١٣) • اذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويتوكل على الله لا على مشاورتهم ، والعزم هو الأمر المروى

---

(١١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٥٩) .
(١٢) تفسير ابن كثير (٢٧٧/٢) .
(١٣) تفسير الكشاف للزمخشري (٣٣٢/١) .

المنقح ، وليس ركوب الرأي دون روية عزما [13] . فاذا عزمت ، أي اذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى ، فتوكل على الله في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك [15] . فاذا عزمت فتوكل على الله ، أي فاذا عزمت بعد المشاورة في الأمر على امضاء ما ترجحه الشورى وأعددت له عدته ، فتوكل على الله في إمضائه ، وكن واثقا بمعونته وتأييده لك فيه [16] . ان دور الشورى هو تقليب الرأي واختيار اتجاه من الاتجاهات ، فاذا انتهى الأمر الى هذا الحد ، انتهى دور الشورى وجاء دور التنفيذ ... التنفيذ في عزم وحسم ، وفي توكل على الله ، يصل الأمر بقدر الله ، ويدعه لمشيئته تصوغ العواقب كما تشاء [17] .

تلك هي مجمل ما جاء في تفاسير الأقدمين والمحدثين رحمهم الله وجزاهم عن الاسلام خيرا ، فاذا أردنا أن نصوغ هذه المعاني في هذه التفاسير بأسلوب عسكري حديث ، نقول : اذا اقتنع المسئول باتجاه من اتجاهات آراء الشورى ، وقرر الأخذ بهذا الاتجاه ووضعه في موضع التنفيذ ، وأعلن قراره للمرءوسين ، فانه ملزم بتنفيذه دون تردد في التنفيذ أو في الرجوع عن القرار المعلن ، لأن التردد يؤدي الى اهتزاز ثقة المرءوسين بالرئيس ، ولايمكن أن ينجح رئيس في السلم أو الحرب لايثق به مرؤسوه ثقة كاملة ، ومن أهم عوامل إحراز ثقة المرءوسين بالرئيس ، هو ثباته على قراراته ، وتنفيذها بحزم .

وهذا درس جديد من هذه الشورى : اتخاذ القرار نتيجة للشورى ، والعمل على تنفيذه بحزم ، وعدم تبديله .

والدرس الثالث الذي يقتضي أن نتعلمه من هذه الشورى ، هو

---

(14) تفسير القرطبي (٤/٢٥٢) .
(15) تفسير البيضاوي (٢/٥٠) .
(16) تفسير المنار (٤/٢٠٤) .
(17) في ظلال القران (٤/١١٩) .

التمسك بمبدأ الشورى ، ومشاورة حتى الذين أخطأوا الرأي كما جرى في غزوة أحد . (وشاورهم في الأمر) ، أي دم على المشاورة ، وواظب عليها ، كما فعلت قبل الحرب في هذه الواقعة (غزوة أحد) وان أخطأوا الرأي فيها ، فان الخير كل الخير في تربيتهم على المشاورة بالعمل ، دون العمل برأي الرئيس ولو كان صوابا ، لما في ذلك من النفع لهم في مستقبل حكومتهم ان أقاموا هذا الركن العظيم (المشاورة) ، فان الجمهور أبعد عن الخطأ من الفرد في الأكثر ، والخطر على الأمة في تفويض أمرها الى الرجل الواحد أشد وأكبر . قال الاستاذ الامام محمد عبده : « ليس من السهل أن يشاور الانسان ولا أن يشير ، واذا كان المستشارون كثارا ، كثر النزاع وتشعب الرأي ، ولهذه الصعوبة والوعورة أمر الله تعالى نبيه أن يقرر سنة المشاورة في هذه الأمة بالعمل ، فكان صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه بغاية اللطف ، ويصغي الى كل قول ، ويرجع عن رأيه الى رأيهم » (١٨) .

وكما تنازل النبي صلى الله عليه وسلم لرأي الأغلبية في الخروج الى أحد، تنازل عن رأيه في الانسحاب عن حصار الطائف لرأي الأغلبية الذين حرصوا على استمرارية الحصار ، فاستمر على الحصار ، حتى اذا اقتنع اولئك الذين حرصوا على استمرارية الحصار بألاجدوى من هذا الحصار ، أمر النبي صلى الله عليه وسلى بالانسحاب ، فسر المسلمون وتجاوبوا مع الأمر بالانسحاب . وتتعلم درسا ، بأن رأي الأغلبية ، له وزنه في الشورى ، ولا ينبغي تجاهله ما أمكن .

وكان رأي أقلية من ذوي الرأي قبل الحركة الى غزوة الحديبية، أن يتسلح المسلمون بالسلاح الكامل ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الأغلبية من ذوي الرأي ، أرادوا اظهار تعظيم المسلمين للبيت الحرام ، فاعتمروا وساقوا الهدى ، وحملوا سلاح الراكب ، فلم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١٨) تفسير المنار (٤/١٩٩ – ٢٠٠) .

برأي الأقلية ، وأخذ برأي الأغلبية ، وأصر على تنفيذ خطته السلمية •

وحتى الأقلية ، اكتفوا بابداء الرأي ، ولم يصروا على تطبيقه والأخذ به ، ونتعلم من ذلك درسا . هو الأخذ برأي الأغلبية دون الاساءة الى الأقلية. وذلك باحترام رأيها وتقديره وعدم الاستهانة به والتشنيع عليه •

وفي الحديبية ، في عسفان أشار المسلمون ، بالقتال الدفاعي ، فحرص ألايقاتل الا دفاعا عن النفس ما استطاع الى ذلك سبيلا •

وفي هذه الغزوة ، تذمر قسم من المسلمين وهم أقلية ، من سير المفاوضات ومن نتائجها ، ولكن الأكثرية وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي الأقلية ، وأصر على اقرار نياته السلمية آخذا برأي الأغلبية • وقد ندم المتذمرون بعد ذلك ، وكان عمر بن الخطاب لايغفر لنفسه تذمره في الحديبية ، وكان يلوم نفسه على ذلك التذمر ويستغفر الله ، وما يقال عن سائر المتذمرين •

تلك لمحات عن مشاوراته الجماعية ، أما مشاورته لأكثر من واحد من أصحابه ، فكانت في ثلاث غزوات •

فقد استشار أبا بكر الصديق رضى الله عنه وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، في أسرى غزوة بدر من المشركين ، فكان رأي أبي بكر الصديق احياءهم،وكان رأي عمر الفاروق افناءهم،فأخذ برأي أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وقال لهما : «لو اجتمعتما ما عصيتكما» •

وأرى أن رأي النبي صلى الله عليه وسلم ، كان موافقا لرأي أبي بكر الصديق،فقد كان رحيما كريما،كما أن مكانة أبي بكر أكبر من مكانة عمر عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ومكانتهما عظيمة في نفسه على كل حال، وكان أبو بكر معروفا بالرأي السديد والعقل الراجح والحكمة ، وكذلك عمر ، ولكن عمر حسنة من حسنات أبي بكر •

والعفو عن الناس أقرب الى طبيعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وصدقت

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما له قط ، ولا امرأة له قط ، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله عز وجل ، فينتقم لله عز وجل ، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر ، إلا أخذ بأيسرهما إلا أن يكون مأثما كان أبعد الناس منه » (١٩) .

واستشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بعد غزوة أحد مباشرة ، فأشارا عليه بالخروج الى حمراء الأسد لمطاردة المشركين ، خوفا من عودتهم الى المدينة ثانية ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورتهما ، وخرج بالمسلمين الى حمراء الأسد .

واستشار النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في إعطاء شيء من تمر المدينة الى غطفان ، لينسحبوا من مساندة الأحزاب في غزوة الخندق ، فأشارا عليه بعدم إعطائهم شيئا ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأيهما .

ونتعلم من هذه الاستشارات الثلاث درسين : الاول هو أن يدخر المسئول المستشارين من ذوي الأمانة والرأي والخبرة والاخلاص ، يشاورهم في الأمور المهمة العاجلة . والثاني ، هو أن يستشير ذوي الاختصاص باختصاصهم ، فقد استشار أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وهما من قريش ، بأمر أسرى المشركين في بدر ، وهم من قريش أيضا ، واستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة بأمر تمر المدينة ، وهما سيدا الأوس والخزرج من الأنصار وسيدا أهل المدينة . أما استشارة أبى بكر وعمر في أمر الخروج الى حمراء الأسد ، فهما أقرب أصحابه اليه ، وكانا دوما الى جانبه ، وكان أمر الخروج الى حمراء الأسد أمرا عاجلا لايحتمل الابطاء ،

---

(١٩) مسند الأمام احمد بن جنل (٣١/٦ ــ ٣٢) .

كما أنهما مستشاراه المقربان ووزيراه ، فاستشارهما بهذا الأمر الخطير ، فأشارا عليه بالخروج ، فنفذ مشورتهما فورا .

وقد كانت استشاراته عشر مرات على المستوى الفردي ، أي كانت استشاراته لأفراد من أصحابه : ست مرات منها بمبادرة من الصحابي الجليل، وأربع مرات بمبادرة من النبي صلى الله عليه وسلم .

ففي غزوة بدر ، بادر الحباب بن المنذر بمشورته في تبديل معسكر المسلمين في بدر الى معسكر جديد ، كما بادر سعد بن معاذ بمشورته في بناء العريش .

وفي غزوة خيبر بادر الحباب بن المنذر بمشورته في تبديل معسكر المسلمين في خيبر الى معسكر جديد ، كما بادر بمشورته في قطع نخل يهود . وفي هذه الغزوة ، بادر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بمشورته في التوقف عن قطع نخل يهود .

وفي غزوة تبوك ، بادر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمشورته في عدم نحر ركائب المسلمين .

أما مبادرة النبي صلى الله عليه وسلم أربع مرات باستشارة أفراد من أصحابه ، فكانت الأولى في غزوة أحد ، حيث استشار النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في الأسلوب الأمثل للدفاع عن المدينة في المدينة ، فأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق .

والثانية كانت في غزوة الطائف ، حيث استشار الحباب بن المنذر في اختيار معسكر جديد للمسلمين ، فاختار الحباب المعسكر المناسب ، وانتقل اليه المسلمون .

والثالثة في هذه الغزوة أيضا ، حيث استشار النبي صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي في حصار الطائف : استمرار الحصار ، أم فك الحصار ؟ .

والرابعة في استشارة سلمان الفارسي في أسلوب التعجيل باستسلام

الطائف ، فأشار سلمان بنصب المنجنيق •

وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة المشيرين ، الذين بادروا النبي بعرض مشورتهم ، والذين بـادرهم النبي صلى الله عليـه وسـلم باستشارتهم ، ولم يغفل رأي واحد منهم ، ولم يقابل مشورة واحد منهـم الا بالتطبيق العملي والتقدير •

د ــ نستطيع أن نستنتج من هذه الدروس والعبر :

أولا • ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر من استشارة أصحابه، قال أبو هريرة : «فلم أر أحدا أكثر مشاورة من رسول الله صلى الله عليـه وسلم •••» [٣٠] ، ليستخرج الرأي الأمثل ، وليدرب أصحابه على تطبيق هذا المبدأ الاسلامي الجليل ، ولتبقى الشورى من مبادىء الاسلام مابقي الاسلام والمسلمون •

ثانيا • أصبحت الشورى شائعة بين الصحابة عليهم رضوان الله ، اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «مـا رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم» [٣١]•

ثالثا •• شجع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على ابداء آرائهم في مجال الشورى ، كما شجع المبادرة بابداء المشورة لـه في الوقت والمكان المناسبين ، وقد رأينا كيف كان يعمل بمشورتهم ويطبقها عمليا ويدعو لهم•

رابعا • اذا عرض له رأيان متناقضان ، أخذ بأيسرهما وأكثرهما رحمة وحنانا ، كما رأينا في أمر أسرى المشركين في بدر • أما اذا كان هذان الرأيان متناقضين في أمر يمس الشجاعة والاقدام ، فانه يأخذ بالرأي الذي يتسـم بالشجاعة والاقدام ، على الرأي الذي قد يتهم بالخور والضعف ، فقد أخذ برأي الراغبين بالخروج الى أحد ، وبرأي الذين أصروا على حصار الطائف،

---

(٣٠) مغازي الواقدي (٢/ ٥٨٠) •
(٣١) تفسير الزمخشري (١/٣٣٢) •

على الرغم من أن ذلك كان يخالف رأيـه الشخصي ، هذا بالاضافـة الى الأسباب الأخرى التي حملته على التنازل عن رأيه للأخذ برأي الأغلبية كما ذكرنا .

خامسا . كان المسلمون كافة موضع شورى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن كان له مستشارون مقربون كأبي بكر الصديق رضى الله عنه وعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكان يعرف مزايا أصحابه فردا فرداً،فيستشير أبا بكر وعمر في قضايا قريش بخاصة ، ويستشير سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في قضايا الأنصار خاصة ، ويستشير الحباب بن المنذر في القضايا التعبوية ، ويستشير سلمان الفارسي ونوفل بن معاوية الديلي في القضايا السوقية .

سادسا . كان اذا انتهى دور الشورى ، واتخذ قرارا وأعلنه ، لايرجع عنه بل يطبقه : (فاذا عزمت فتوكل على الله) كما جرى في غـزوة أحـد ، حتى ولو كان قراره نتيجة للشورى مخالفا لرأيه ، وحتى اذا عاد أصحـاب الرأي المخالف الى رأي النبي صلى الله عليه وسلم ، وما أعظم قوله للذين تخلوا عن رأيهم لرأيه :«لاينبغي لنبي اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكـم الله بينه وبين أعدائه» ، فهذا الكلام لب الجندية في كل زمان ومكان .

سابعا . أما اذا لم ينته دور الشورى ، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم رأى يخالف رأي الشورى ، فلا يرى بأسا من الأخذ برأي الشورى والعمل به وتطبيقه واغفال رأيه وعدم العمل به أو تطبيقه .

ولا أعرف أحدا يستطيع تطبيق ذلك بـدون حرج ولا احراج ، غير النبي صلى الله عليه وسلم .

لقد سجل المؤرخون المعتمدون وكتاب السيرة النبوية احدى وعشرين استشارة عسكرية نبوية ، وهو عدد ضخم بكل مقياس واعتبار •

فاذا كان المسجل من الاستشارات العسكرية هذا العدد الضخم ، فلا بد أن يكون عدد آخر اضافيا لم يسجل ، لأنه لم يجر علنا ، أو لم يطلع عليه أحد ، أولم يتناقله الرواة •

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتقن فن الشورى اتقانا متميزا ، ويتقن أساليب تطبيقاتها ، ويتقن طرق تعليمها لمن حوله بخاصة ولأصحابه بعامة وللاجيال من بعده •

وأتساءل : أي مسئول ، يتقبل مبادرة رجاله بمشورته ، ويتقبل تلك المشورة ويطبقها ، حتى ولو كانت مخالفة لرأيه الصريح ؟

أي مسئول ، لايتخلى عن استشارة رجاله الذين ثبت له خطل مشورتهم ، ويعفو عنهم ، ويستغفر لهم ، ويعود الى مشاورتهم من جديد ؟ •

ولكن ، انه محمد رسول الله ، وكفى •

* * *

الشورى النبوية في المجال العسكري

ت	الغزوة	التاريخ	موعد الاستشارة	المستشار أو المستشارون	النتائج
١	بدر الكبرى	رمضان من السنة الثانية الهجرية	في مسيرة الاقتراب	المهاجرون والأنصار	ضمان مشاركة الأنصار في القتال
			قبل نشوب القتال	الحباب بن المنذر	تبديل معسكر المسلمين الى معسكر مناسب وبادر الحباب بابداء المشورة
			قبل نشوب القتال	سعد بن معاذ	بناء العريش للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت المبادرة بابداء المشورة من سعد
			بعد المعركة	ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب	اشار ابو بكر في ابقاء الأسرى ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورته
٢	احد	شوال من السنة الثالثة الهجرية	قبل نشوب القتال	كان راي اغلب المسلمين الخروج الى احد	اخذ النبي صلى الله عليه وسلم براي الأغلبية وخرج بالمسلمين الى احد

ت	الغزوة	التاريخ	موعد الاستشارة	المستشار او المستشارون	النتائج
٣	حمراء الأسد	شوال من السنة الثالثة الهجرية	قبل نشوب القتال	ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب	اشارا بالخروج الى حمراء الآسد ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورتهما
٤	الخندق	ذو القعدة من السنة الخامسة الهجرية	قبل نشوب القتال	سلمان الفارسي	أشار بحفر الخندق ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورته
			في اثناء القتال	سعد بن معاذ وسعد بن عبادة	أشاروا بالتسلح الكامل ، فتسلح المدينة لغطفان ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورتهما
٥	الحديبية	ذو القعدة من السنة السادسة الهجرية	في المدينة قبل الحركة	قسم من المسلمين (الأقلية)	أشارا بالتسلح الكامل ، فتسلح بأسلحة الراكب واحرم المسلمون لاثبات نياتهم السلمية
			في عسفان في مسير الاقتراب	ذوو الراي من المسلمين	القتال دفاعا عن النفس حسب ، وقد اخذ بمشورتهم

ت	الغزوة	التاريخ	موعد الاستشارة	المستشار او المستشارون	النتائج
			في الحديبية بعد الوصول الى الهدف	ذوو الراي من المسلمين (الأقلية)	تذمر قسم من المسلمين من المفاوضات ولكن اغلب ذوي الراي كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في اقرار نياته السلمية
٦	خيبر	المحرم من السنة السابعة الهجرية	في اثناء القتال	الحباب بن المنذر	١ـ اشار بتبديل معسكر المسلمين، فعمل النبي صلى الله عليه وسلم بمشورته .
			في اثناء القتال	الحباب بن المنذر	٢ـ اشار بقطع النخل ، فعمل النبي صلى اللهعليهوسلم بمشورته.
			في اثناء القتال	ابو بكر الصديق	٣ـ اشار بالتوقف عن قطع النخل، فعمل النبي صلى الله عليه وسلم بمشورته .
٧	حنين	شوال من السنة الثامنة الهجرية	الجعرانة بعد توقف القتال		في سبي هوازن ، فكان المسلمون الأولون قد بادروا في التنازل عما بأيديهم من السبي ، اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، اما

ت	الغزوة	التاريخ	موعد الاستشارة	المستشار او المستشارون	النتائج
					المسلمون الجدد الذين حرصوا على سبيهم ، فعوضهم الرسول عليه الصلاة والسلام بما ارضاهم
٨	الطائف	شوال من السنة الثامنة الهجرية	في اثناء القتال	الحباب بن المنذر	اختيار معسكر جديد اكثر امنا من المعسكر الأول ، وانتقل المسلمون الى معسكرهم الجديد .
			في اثناء القتال	سلمان الفارسي	اشار بنصب المنجنيق ورمى حصن الطائف به ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورته
			في اثناء القتال	نوفل بن معاوية الديلي	اشار بالانسحاب عن الطائف ، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على مشورته
			في اثناء القتال	قسم من المسلمين	حرصوا على الاستمرار بالقتال ، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على ما أرادوا ، حتى وجدوا انه

ت	الغزوة	التاريخ	موعد الاستشارة	المستشار أو المستشارون	النتائج
					لامسوغ ولاجدوى للقتال، فانسحبوا مستبشرين بالانسحاب
٩	تبوك	رجب من السنة التاسعة الهجرية	في تبوك بعد الوصول الى الهدف	المسلمون	شاور النبي صلى الله عليه وسلم في التقدم من تبوك شمالا ، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدم التقدم شمالا ، فأقر النبي صلى الله عليه وسلم مشورة عمر .
			في تبوك تمهيدا للعودة الى المدينة	عمر بن الخطاب	اذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين ان ينحروا ركائبهم ليأكلوها ، فأشار عليه عمر الا ينحر المسلمون ركابهم لأنها خسارة لاتعوض ، وان يجمع ارزاق المسلمين ويوزعها ، فأقر مشورة عمر .

د ـ لعل من المفيد إعطاء فكرة موجزة عن الشورى العسكرية في القوات المسلحة الحديثة ، لنربط الحاضر بالماضي ، وتتفهم الأسس المعتمدة للشورى العسكرية في عملها الدائب المستمر .

ومبدأ الشورى ثابت في جميع العصور والجيوش ، ولكن التفاصيل تختلف في الحاضر عما كانت عليه في الغابر ، ففي الوقت الذي كان عدد المستشارين محدودا قبل قرون ، أصبح كبيرا بعد اختراع البارود والأسلحة المتطورة وتوسع مسارح القتال وجبهات العمليات ، كما كان المستشارون في القديم من البشر ، فأصبحوا في العصر الحديث والحرب الحديثة من البشر ومن الآلات ، كالحسّابات (جمع حسّابة)[23] التي لايكاد يستغنى عنها جيش عصري حديث .

إلا أن هناك اختلافا جوهريا لاينبغي السكوت عنه في الشورى العسكرية قديما وحديثا ، هي أن القادة يختلفون الى أبعد الحدود بأسلوب تطبيق الشورى العسكرية وبدرجة تطبيقها ، فلكل قائد أسلوبه الخاص في تطبيق هذا المبدأ الحيوي ، فمنهم من يستشير ولا يأخذ بالشورى ، ومنهم من لايستشير أحدا ، ومنهم من يستشير ويطبق ما يستجد من آراء وأفكار ، ومنهم من يعتقد أن الشورى مضيعة للوقت وأن المستشارين لا يقدمون ولا يؤخرون ووجودهم وعدمه سيان .

والواقع ، أن القائد هو الذي يذكي الحماسة في نفوس المستشارين ما عمل بمشورتهم ، إما اذا لم يعمل بمشورتهم ويجمد نشاطهم بأسلوب أو بآخر ، ولا يختار المستشارين الأكفاء القادرين الأمناء ، فليس تخلف الشورى في جيشه ذنب المستشارين ، إنما هو ذنب القائد الذي لايقدر مبدأ الشورى حق قدره ، فكانت ثمراته نتيجة لذلك فجة غير يانعة لاتغني ولا تسمن من جوع .

---

(٢٣) Computer

والذين يؤثرون آراءهم على آراء مستشاريهم ، ولا يطبقون مبدأ الشورى نصا وروحا ، لايفعلون شيئا أكثر من الحاق الضرر بأنفسهم أولا وقبل كل شيء ، والحاق الضرر بمصالح أمتهم وأمنها واستقرارها ، وتكون عاقبته وعاقبة وطنه في خطر عظيم •

أما الذين يستشيرون ويعملون بالشورى ويشجعون المستشارين ، فلهم الاستقرار والأمن في السلام والنصر ، والظفر في الحرب •

فلينظر المسئول الكبير أو الصغير ، في السياسة أو الحرب ، كيف يصنع ، فالمرء حيث يضع نفسه ، كما يقول الحكماء •

والنظم السياسية مختلفة في الدول اختلافا كبيرا ، والتنظيم العسكري مختلف أيضا تبعا للنظم السياسية ولعوامل أخرى لا فائدة من ذكرها في هذا المجال ، ولكن يبقى مبدأ الشورى في مختلف النظم السياسية والتنظيمات العسكرية موحدا من حيث المبدأ ، مختلفا من حيث التفاصيل • فمن المعروف انه لايوجد نظام سياسي ولا تنظيم عسكري ، الا ويقر مبدأ الشورى ، اذ لايمكن الاستغناء عن هذا المبدأ في حال من الأحوال ، وقد يغنينا عرض مبدأ الشورى في تلك النظم والتنظيمات عن التوسع في التفاصيل دون مسوغ •

على رأس قمة هرم المستشارين في مختلف الدول ، وزير الدفاع ، فهو المستشار العسكري من الناحية السياسية لرئيس الدولة ، وهو الذي ينقل رغبات رئيس الدولة الى القوات المسلحة وتوجيهاته ، وينقل رغبات القوات المسلحة وحاجاتها الى رئيس الدولة •

ولكن وزير الدفاع في مختلف نظم الدول لايكون على نمط واحد ، كما لايكون في الحرب في دولة من الدول كما يكون في السلام • وكقاعدة غير مطردة ، يكون وزير الدفاع في الدول الاشتراكية عسكريا ويتولى منصب القيادة العامة للقوات المسلحة في آن واحد ، فيكون وزيرا للدفاع وقائدا عاما للقوات المسلحة • أما في الدول الديمقراطية ، فيكون وزير الدفاع

مدنيا في السلام ، وقد يكون عسكريا في الحرب أو يكون ذا جذور عسكرية سابقة ، أي أنه كان ضابطا في الجيش وتسرّح منه ، أو كان ضابطا من ضباط الاحتياط ، أو أنه من الضباط المتقاعدين . ولكن في الغالب الأعم ، يكون وزير الدفاع في الدول الديمقراطية مدنيــا ، تنصب كفــايته على النــاحية السياسية حسب في أداء واجبه بين رئيس الدولــة والقوات المسلحة مــن جهة ، وبين القوات المسلحة ورئيس الدولة من جهة أخرى .

ووسيلة الاتصال بين وزير الدفاع والجيش ، يكون عبر قناتين غالبا: الأولى مقر وزير الدفاع الذي يضم عسكرين محترفين ينظمون الاتصال بين وزير الدفاع والقوات المسلحة . والثانية هو هيئة رئاسة أركان الجيش ، اذا كان وزير الدفاع هو الوزير والقائدالعام للقوات المسلحة كما هو الحال في معظم الدول الاشتراكية . أما إذا كان وزير الدفاع مدنياً ، كما هو الحال في الدول الديمقراطية ، فيكون اتصاله بالقوات المسلحة عن طريق القائد العام للقوات المسلحة ان وجد هذا المنصب ، والا يكون اتصاله بالــقوات المسلحة عن طريق هيئة رئاسة أركان الجيش .

وهيئة رئاسة أركان الجيش ، تختلف في تنظيمها بين الجيوش ،فقد يكون للقوات البرية رئيس أركان القوات البرية ، ومثله للقوات الجويــة ومثله للقوات البحرية ، أي يكون للقوات المسلحة عادة ثلاثة من رؤســاء أركان الجيش ، يكون المسئول عنهم القائد العام للقوات المسلحة من حيث القيام بواجباتهم وتنسيقها . وقد يكون للقوات المسلحة رئيس أركــان للجيش واحدا ، يكون مسئولا عن شئون القوات البرية والقوات الجوية والقوات البحرية .

المهم ، أن رئاسة أركان الجيش هي قمة الشورى العسكرية الفنية ، وله معاونون ، يتولون الاشراف على قضايا العمليات والمخابرات والتدريب والتنظيم والتسليح والتجهيز والاعاشة والطبابة والأمور الادارية كافــة ، ورئيس أركان الجيش يقدم المشورة للقائد العام أو لوزير الدفاع عن شؤون

الجيش كافة بكل تفاصيلها في الوقت والزمان المناسبين •

وكما لرئيس أركان الجيش مقر فيه الأشخاص والأجهزة للنهوض بتلك الواجبات ، فان قادة التشكيلات الكبيرة والصغيرة لديهم مقرات تؤدي نفس واجبات مقر رئاسة أركان الجيش ، ولكن يقل عدد الأشخاص والأجهزة بالتدريج في مقرات التشكيلات المتعاقبة حسب تنظيم الجيش المعمول به ، فيكون عدد الأشخاص والأجهزة في مقرات الجيوش أقل منها في مقر رئاسة أركان الجيش ، ومقرات تلك الجيوش أصغر حجما من مقر رئاسة أركان الجيش ، ولكنها تؤدي الواجبات نفسها • ويكون عدد الأشخاص والأجهزة في مقرات الفيالق أقل منها في مقرات الجيوش ، وتكون مقرات تلك الفيالق أصغر حجما من مقرات الجيوش • وتكون مقرات الفرق أصغر حجما من مقرات الفيالق ، وتكون مقرات الألوية أصغر حجما من مقرات الفرق ، ولكنها تؤدي الواجبات نفسها كل ضمن نطاقه وبحسب التشكيل المسئول عنه • والسبب في أن المقرات تكون أصغر حجما بالتدريج حسب سلسلة القيادة ، هو لأن مقر رئاسة أركان الجيش مسئول عن مقرات الجيوش كافة ، ومقر الجيش مسئول عن مقرات الفيالق التابعة له ، ومقر الفيلق مسئول عن مقرات الفرق التابعة له ، ومقر الفرقة مسئول عن مقرات الألوية التابعة له ، وبذلك يقل عدد أشخاص المقرات وعدد أجهزتهم بالتدريج كلما صغر التشكيل عن التشكيل الذي قبله في سلسلة القيادة ، ولكن الواجبات للمقرات كافة تبقى واحدة ، وحجمها يقل بالتدريج أيضا •

ان مقر اللواء هو مجلس شورى قائد اللواء ، وأفراده مستشارون لقائد اللواء • وقائد اللواء مع قادة الألوية الآخرين مستشارون لقائد الفرقة، بالاضافة الى مقر الفرقة الذي هو مجلس شورى قائد الفرقة كل حسب اختصاصه وواجبه • وقادة الفرق الذين يعملون بإمرة أحد الفيالق مستشارون لقائد الفيلق ، بالاضافة الى مقر الفيلق الذي هو مجلس شورى

قائد الفيلق كل حسب اختصاصه وواجبه • وقادة الفيالق الذين يعملون بامرة جيش من الجيوش ، مستشارون لقائد الجيش ، بالاضافة الى مقر الجيش الذي هو مجلس شورى قائد الجيش • وقادة الجيوش مستشارون لرئيس أركان الجيش ، بالاضافة الى مقر رئاسة أركان الجيش الذي هو مجلس شورى لرئيس أركان الجيش • ورئيس أركان الجيش ، هو المستشار لوزير الدفاع وللقائد العام للقوات المسلحة ، بالاضافة الى مقر الوزير الذي هو مجلس شورى للوزير ، والى مقر القائد العام للقوات المسلحة الذي هو مجلس شورى للقائد العام •

وتكون عدة وحدات بامرة اللواء ، وآمرو الوحدات هم المستشارون لآمر اللواء ، ومقر الوحدة هو مجلس شورى الوحدة • وترتبط عدة سرايا بكل وحدة ، وآمرو السرايا هم المستشارون لآمر الوحدة ، ومعاون آمر السرية ومقر السرية هم مجلس شورى السرية • وتتكون كل سرية من عدة فصائل ، ويكون آمرو الفصائل مستشارين لآمر السرية ، ويكون عريف الفصيل مستشارا لآمر الفصيل • ويتألف الفصيل من عدة حضائر ، ويكون أمراء الحضائر المستشارين لآمر الفصيل ، ويكون نائب آمر الحضيرة مستشارا لآمر الحضيرة •

وهكذا يتدرج المستشارون في الوحدات الصغيرة والكبيرة ، وتتدرج مجالس الشورى لتلك الوحدات ، ويتدرج المستشارون في التشكيلات الكبيرة والصغيرة أيضا ، وتندرج مجالس الشورى لتلك التشكيلات ، حتى تصل القمة الى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة •

أما رئيس الدولة ، فقد يكون له عدد من المستشارين العسكريين في الرئاسة ، ويكون وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة ورئيس أركان الجيش مجلس الشورى له في القضايا العسكرية والسياسية : وزير الدفاع في القضايا السياسية التي لها علاقة بالجيش ، والقائد العام للقوات المسلحة ورئيس أركان الجيش في القضايا العسكرية الخاصة بالجيش •

تلك هي صورة موجزة للشورى والمستشـــارين في القـــوات المسلحة الحديثة ، التي قد تختلف في الفروع من بلد الى آخر ، ولكن لاتختلف في المبدأ . ولم اتطرق الى تفاصيل التنظيم في القوات المسلحة الحديثة عمدا ، لأنها مختلفة في تلك القوات ، ولــو أن مبادىء التنظيم واحدة ، فالفصيل يتألف من حضائر ، والسرية تتألف من فصائل ، والوحدة تتألف من سرايـــا ، واللواء يتألف من وحدات ، والفرقة تتألف من ألوية ، والفيلق يتألف مــن فرق ، والجيش يتألف من فيالق ، ولكن لم اتطرق الى عدد تلك التشكيلات، أي لم أذكر عدد الفرق في الفيلق مثلا ، ولم اتطرق الى عدد تلك الوحدات ، أي لم أذكر عدد الوحدات في كل لواء مثلا ، لأن تنظيمات الجيوش في الدول مختلفة جدا ، ولا فائدة من ذكر تلك التفاصيل في مثل هذا البحث ، لأن الهدف هو التركيز على الشورى الحديثة وأسلوبها وطريقة عملها ، لمقـــارنة الشورى حديثا بالشورى قديمـــا .

نستنتج من ذلك ، أن هناك تشابها واضحا بين الشورى العسكريـــة النبوية والشورى في الجيوش الحديثة من حيث المبدأ لا من حيث الأساليب والفروع .

فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم مستشارون يلازمونـــه ويستعين بآرائهم في مختلف الظروف والأحوال ، وكان على رأس هؤلاء المستشارين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . تماما كما لرؤساء الدول والقادة العامين للدول ، مستشارون يلازمونهم ويستعينون بآرائهم .

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم مستشارون يختصون بقســم مــن الصحابة ، فقد كان يستشير أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب في الأمـــور التي تخص المهاجرين ، وكان يستشير سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في الأمور التي تخص الأنصار . وكان له مستشارون في القضايا التعبوية كالحبـــاب ابن المنذر ومستشارون في القضايا السوقية كسلمان الفارسي ، وكان لــه مستشارون في الطرق ومجاهلها وهم الأدلاء ، وأسماؤهم مذكورة في كتب

السيرة النبوية ، وكان له مستشارون في نقل المعلومات كحذيفة بن اليمان ، وله مستشارون في مختلف الأمور العسكرية وغير العسكرية ، تذكرهم كتب السيرة بالتفصيل ، تماما كما لرؤساء الدول والقادة العامين للدول مستشارون في مختلف الأمور العسكرية وغير العسكرية •

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كافة مستشارين ، فقد استشار من معه منهم في مواقف كثيرة ، واستجاب لما أبدوه من آراء ، ولا أعلم رئيسا من رؤساء الدول وقائدا عاما من قادتها المسلحة يتخذ من كل أفراد شعبه ان كان رئيسا ، ومن كل أفراد قواته المسلحة ، ان كان قائدا عاما ، مستشارين يعرض عليهم معضلاته ويستجيب لما يشيرون به عليه !

وهذه ميزة للشورى النبوية ، هي بحق من أعظم الميزات •

وكان مستشارو النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين برسالته ، وكانت مشورتهم يريدون بها وجه الله ، ولا يريدون بها السمعة ولا المكافأة ولا الترقية ولا الأوسمة ولا شيئا من أمور الدنيا المادية والمعنوية ••• إنها مشورة صادرة عن القلوب العامرة بالايمان العميق •

أما المستشارون المحدثون ، فهم موظفون من موظفي الدولة ، يتقاضون أجرا على مشورتهم ، ويريدون بها السمعة أو المكافأة أو الترقية أو الأوسمة وغير ذلك من أمور الدنيا المادية والمعنوية ، فهي مشورة في واقعها صادرة عن الجيوب المحبة للمادة ومتاع الدنيا •

وشتان بين الشورى الصادرة عن القلوب ، والشورى الصادرة عن الجيوب ، وهيهات أن ترقى شورى العقول العامرة بالمادة ، الى مستوى شورى العقول العامرة بالايمان •

وتلك هي ميزة ثانية للشورى العسكرية النبوية ، على غيرها من ألوان الشورى العسكرية في العصر الحديث •

وكان النبي صلى الله عليه وسلم لايكتفي بالشورى ، بل يشجع

أصحابه على المبادرة بابداء مشورتهم ، وكان من وسائله التشجيعية على غرس روح هذه المبادرة في أصحابه ، الأخذ بشورة المبادرين ، والدعاء لهم ، ووضع مشورتهم في حيز التنفيذ ، ولو كانت مخالفة لرأيه الصريح .

ولا أعرف رئيسا أو قائدا عاما في الوقت الراهن ، يشجع رجاله على المبادرة بالشورى ، ويأخذ بها ويطبقها اذا كانت مخالفة لآرائه الصريحة .

وتلك هي ميزة ثالثة للشورى العسكرية النبوية على غيرها من الشورى الحديثة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتنازل عن رأيه الصريح ، ويأخذ برأي الأكثرية ، ولا أعرف رئيسا أو قائدا عاما يتنازل عن رأيه الصريح من أجل آراء المستشارين ، والمتعارف عليه أن يقر المستشارون رأي الرئيس أو القائد ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ويتنازلوا عن آرائهم من أجل رأيه واقراره .

وتلك هي ميزة رابعة للشورى العسكرية النبوية على غيرها من الشورى الجديدة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يعاود استشارة أصحابه الذين اخطأوا في مشورتهم من قبل ، ويعفو عن المخطئين ويستغفر لهم ، أما الرئيس أو القائد العام في الوقت الراهن ، فلا اقل من أن يتخلى عن الذين استشارهم فأخطأوا ، هذا اذا لم يضف على تخليه عن استشارتهم التشنيع والعقاب .

وهذه ميزة خامسة للشورى العسكرية النبوية ، لاأعرف لها نظيرا في الشورى العسكرية الحديثة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من استشارة أصحابه ، ليستخرج الرأي الأرجح ، وليدرب أصحابه على تطبيق هذا المبدأ الاسلامي ، وليغرس الشورى عميقا في أمته ، فأصبحت الشورى شائعة بين الصحابة مبدأ وتطبيقا .

وهذه ميزة سادسة للشورى العسكرية النبوية .

تلك هي مجمل الفروق بين الشورى العسكرية النبوية وبين الشورى

العسكرية الحديثة ، ومجمل نقاط التشابه بينهما في حالة وجود شورى عسكرية تطبق بشكل مثالي في جيش من الجيوش العالمية .

أما في حالة وجود شورى مظهرية ، وبخاصة في اصدار القرارات الخطيرة ، فلا مجال للمقارنة بين الشورى العسكرية النبوية والشورى العسكرية في الجيوش التي تلتزم بمظهر الشورى ولا تلتزم بروحها .

وفي أحسن أحوال الشورى العسكرية الحديثة ، ومقارنة تلك الشورى العسكرية المثالية الحديثة ، بالشورى النبوية في العسكرية الاسلامية ، نلمس السمات المميزة للشورى العسكرية النبوية روحاً ومادة ، والشورى العسكرية المثالية مادة حسب ، وشتان بين الأسلوبين ، وشتان بين الثرى والثريا .

٢ ـ في المعاهدات النبوية :

أ ـ اقتضى منهج البحث في : الشورى العسكرية النبوية ، مراجعة غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وابراز الشورى العسكرية في تلك الغزوات

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عقد معاهدة مع يهود المدينة بعد هجرته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، وهي معاهدة تمهيدية للصراع الحاسم بين المسلمين والمشركين ، فمن المفيد ذكر مايتصل بصلة هذه المعاهدة بالشورى العسكرية والجهاد الوشيك .

كما ان النبي صلى الله عليه وسلم عقد معاهدة مع بني ضمرة في احدى غزواته ، فمن المفيد ذكرها هنا ، لأن المجال لم يسمح بذكرها مع الغزوات الأخرى ، بسبب أن تلك الغزوة لم يكن فيها شورى عسكرية نبوية .

وعقد النبي صلى الله عليه وسلم معاهدة مع خزاعة ومعاهدة مع أسلم ، لم تذكرا في الغزوات ، لأن تلك الغزوات لم تكن فيها شورى عسكرية نبوية .

ومن الواضح أن هناك علاقة قوية بين مبدأ الشورى والمعاهدات النبوية عموما ، فقد كان المفاوضون لعقد تلك المعاهدات وشهود عقدها وكتابها مستشارين في الواقع ، يستشيرهم النبي صلى الله عليه وسلم في عقد المعاهدات وفي إبرامها ، فالشورى قاسم مشترك بين غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ومعاهداته .

أما المعاهدات الأخرى التي عقدت في الغزوات التي مارس النبي صلى الله عليه وسلم فيها مبدأ الشورى ، كغزوة الحديبية وغزوة تبوك ، فقد ذكرت في مكانها ، وسنذكر الدروس والعبر المستخلصة منها .

إن المعاهدات قبل الاسلام كان يفرضها القوي على الضعيف لفرض سلطانه على الضعيف أو المغلوب ، حتى اذا قوي الضعيف نبذها ، وقاتل لاخراج نفسه من نير القوي. وإنها الى عهد قريب كانت لاتخرج عن ذلك كثيرا ، فهي أيضا كانت صورة لقوة الأقوياء وليست عملا لتنظيم السلم العادل ، لذلك لاتلبث هذه المعاهدات أن تنقض .

والقرآن الكريم لاينظر الى المعاهدات التي يسوغ إبرامها ذلك النظر، فهو يأمر بالوفاء بالعهد وفاء مطلقا غير مقيد بضعف أو قوة ، ولكنه مقيد فقط بوفاء من تعاقد معهم ، فالوفاء بالعهد ليس علاجا لحال وقتية ، ولكنه لانشاء حال السلم وتثبيتها .

واذا كان الأصل في العلاقة هو السلم ، فالمعاهدات إما تكون لانهاء حرب عارضة والعود الى حال السلم الدائمة ، أو أنها تقرير للسلم وتثبيت لدعائمه ، لكيلا يكون من بعد ذلك العهد احتمال اعتداء ، الا أن يكون نقضا للعهد .

ولقد كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم منبئا عن مقاصده في العهود، فما كانت للتحكم ، ولكن كانت لتقرير السلم وتنظيم الجوار ، وإنهاء أحوال الحرب أحيانا أخرى .

ولنذكر شيئا من معاهدات النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها يستبين

مقدار ما فيها من تقرير للسلم ، أو تنظيم للجوار .

ب ــ كانت معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة ، فانه عليه الصلاة والسلام لما جاء اليهـا ، كان بها مـن القبائل العربيـة الأوس والخزرج ، ويهود ، وقد أسلم من أسلم من القبيلتين ، وبقي منهما مشركون ويهود ، فعقد معاهدة قوامها حسن الجوار ، واشترط عليهم شروطا والتزم لهم بحقوق ، والأساس فيها تنظيم السلم فيما بينهم وبينه ، وقد جاء في هذه المعاهدة : «ان يهود يتفقون مع المؤمنين ، وان يهود بني عـوف أمة مـع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم ، فانه لايوتغ[٢٤] الا نفسه وأهل بيته ، وان ليهود بني النجار ، وبـني الحارث ، وبني ساعدة ، وبني جشـم ، وبني الأوس ، وبني النبيت مثـل ماليهود بني عوف ، وان بطانة يهود كأنفسهم . وان على اليهـود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وان عليهم النصر على من حارب هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة على البر دون الاثم ، وانه لم يأثم أمرؤ بحليفه ، وان النصر للمظلوم ، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وان نصر الله لمـن اتقى بين أهل هذه الصحيفة وأبر . وان بينهم النصر على من وهم يثرب ، واذا دعوا الى صلح فانهم يصالحون ، واذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وانه لايحول دون هذا الكتاب ظلم ظالم أو إثم آثم ، وانه من خرج آمن ، ومن قعد بالمدينة آمن الا من ظلم أو أثم ، وان اللـه جـار لمن بـر واتقى » [٢٥] .

ونرى من هذا ، أن المعاهدة كانت لحسن الجوار ، ولتثبيت دعـائم

---

(٢٤) يوتغ : يهلك ويوبق .

(٢٥) البداية والنهاية (٣/٢٢٤) ــ ٢٢٦) ، والعلاقات الدولية فيالاسلام ــ الشيخ محمد أبو زهرة ــ (٧٥ ــ ٧٦) ــ القاهرة ــ ١٣٨٤ هـ ، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (١٥ــ٢١).

العدل ، ويلاحظ أن فيها نصا صريحا على نصر المظلوم ؛ فهو عهد عادل لاقامة السلم وتثبيته بالعدل ونصر الضعيف .

وكل معاهداته عليه الصلاة والسلام من هذا الصنف [٢٦] .

جـ ـ وقد عاهد النبي صلى الله عليه وسلم بني ضمرة ، في غزوة العُشَيرة [٢٧] التي كانت في جمادى الآخرة من السنة الثانية الهجرية والتي لم يلق فيها كيدا ، عاهد بني ضمرة ، وهذا نص ذلك العهد : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب محمد رسول الله لبني ضمرة ، بأنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم ، وان لهم النصر على من رامهم ، ألا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة ، وأن النبي اذا دعاهم لنصر أجابوه ، وعليهم بذلك ذمة الله ورسوله »[٢٨] .

ونرى من هذا ، أن هذه المعاهدة كانت حرة لتنظيم علاقات سلمية حرة، مع التحالف على النصرة ، وليس فيها إكراه على دين ؛ بل كانت دعوة الى سلم بين المتعاقدين ، ونصر حر لا إثم فيه [٢٨أ] .

د ـ وعاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خزاعة في جمادى الآخرة سنة ثمان الهجرية ، وذلك أنه أسلم قوم من العرب كثير ، ومنهم من بعد مقيم على شركه . ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، لم يبق أحد من خزاعة الا مسلم مصدق ؛ لذلك كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خزاعة :

---

(٢٦) العلاقات الدولية في الاسلام (٧٦) . (٣) . ذو العشيرة : موضع من ناحية ينبع بين مكة والمدينة ، انظر معجم البلدان (١٨١/٦) .

(٢٧) انظر القسطلاني والسهيلي ، نقلا عن الهامش (٢) من سيرة ابن هشام (٢٣٦/٢) ، وانظر طبقات ابن سعد (٢٧٤/١ ـ ٢٧٥) .

(٢٨) العلاقات الدولية في الاسلام (٧٧) .

بسم الله الرحمـن الرحيم

«من محمد رسول الله .

الى بديل [٢٩] وبشر [٣٠] ، وسروات بني عمرو .

سلام عليكم ، فاني أحمد الله اليكم ، الله لا اله الا هو . أما بعد! فاني لم آثم بألكم ، ولم أضع في جنبكم ، وان أكرم تهامة [٣١] عليّ أنتم ، وأقربهم رحما أنتم ومن تبعكم من المطيبين [٣٢] . فأني قد أخذت لمن هاجر منكم مثل ما أخذت لنفسي ـ ولو هاجر بأرضه ـ غير ساكن مكة الا معتمرا أو حاجا ، وانكم غير خائفين من قبلي ولا محصورين . أما بعد ! فانه قد أسلم علقمة بن علاثة [٣٣] وابناه ، وتابعا وهاجرا على من تبعهما من عكرمة ، أخـذت لمـن

---

(٢٩) بديل بن ورقاء الخزاعي : اسلم يوم فتح مكة ، ولجأت قريش الى داره يوم فتح مكة ، وشهد حنينا والطائف وتبوك ، وكان من كبـار مسلمة الفتح ، وقيل : أسلم قبل الفتح . وتوفى بديل قبل النبي صلى اللـه عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره أن يحبس النساء والأموال بالجعرانة معه حتى يقدم ، يعني التي غنمها في حنين ، انظـر التفاصيل في : اسد الغابة (١٧٠/١) والاصابة (١٤٦/١) والاستيعـاب (١٥٠/١) .

(٣٠) في طبقات ابن سعد (٢٧٢/١) : بسر .

(٣١) تهامة : المنطقة التي تساير البحر الأحمر منها مكة ، والحجاز ما حجز بين تهامة والعروض ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٦/٢ـ٤٣٨) .

(٣٢) المطيبون : خمس قبائل ، وهم : بنو عبد مناف ، وبنو أسد ، وبنو تميم ، وبنو زهرة ، وبنو الحارث ، سموا بذلك لأن بني عبد مناف لما ارادوا اخذ ما في ايدي بني عبدالدار من الحجابة والرفادة واللواء والسقاية ، وابى بنو عبدالدار ، عقد كل قوم على امرهم حلفاً مؤكدا على الا يتخاذلوا ، ثم خلطوا أطيابا ، وغمسوا أيديهم فيها وتعاقدوا ، ثم مسحوا الكعبـة بأيديهم توكيدا ، فسموا المطيبين ، انظر المعجم الوسيط (٥٧٣/٢) .

(٣٣) علقمة بن علاثة العامري الكلابي : كان من اشراف بني ربيعة بن عـامر ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، وكان سيدا في قومه حليما عاقلا . ولما عـاد النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف ارتد علقمة ولحق بالشام ، فلمـا

تبعني منكم ما آخذ لنفسي ، وان بعضا من بعض أبدا في الحل والحرم ، واني والله ما كذبتكم وليحبكم ربكم» [٣٤] ، وكان الكتاب بخط على بن أبي طالب رضى الله عنه [٣٥] .

ولايمكن أن تكون هناك معاهدة أكثر رقة ولطفا وشفقة وحنانا ورحمة مما أبداه النبي صلى الله عليه وسلم لخزاعة ، مع أن هذه المعاهدة عقدت سنة ثمان الهجرية ، والمسلمون يومها كانوا في أوج قوتهم ، ولكن لاعبرة للقوة في الميزان النبوي ، بل الرحمة والسلام هو الميزان الأول والأخير

وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من شهر ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية ، يوم عقد النبي صلى الله عليه وسلم معاهدة صلح الحديبية بين المسلمين من جهة ومشركي قريش من جهة اخرى، وقد ذكرنا نص المعاهدة في غزوة الحديبية ــ انظر نص المعاهدة .

ولكن عهد خزاعة القديم للنبي صلى الله عليه وسلم على أهميته البالغة ووفاء خزاعة في عهدها للمسلمين ووفاء المسلمين لهم ــ وهذا هو شأن المسلمين في الوفاء ــ لايكفي أن تكون معاهدة النبي الجديدة لخزاعة

توفى النبي صلى الله عليه وسلم اقبل مسرعا حتى عسكر في بني كلاب ابن ربيعة ، فأرسل اليه ابو بكر رضي الله عنه سرية ، فانهزم منهم ، وغنم المسلمون اهله وحملوهم الى ابى بكر ، فجحدوا أن يكونوا على حال علقمة ، ولم يبلغ ابا بكر عنهم مايكره ، فأطلقهم ، ثم أسلم علقمة ، فقبل ذلك منه أبو بكر ، وحسن اسلامه ، واستعمله عمر بن الخطاب على حوران ، فمات بها . وكان الحطيئة الشاعر خرج اليه ، فمات علقمة قبل ان يصل اليه الحطيئة ، فأوصى له علقمة كبعض ولده ، فقال الحطيئة في ابيات :

فما كان بيني او لقيتك سالما ... وبين الغنى الا ليال قلائل

انظر التفاصيل في : أسد الغابة (٤/١٣) والاصابة (٤/٢٦٤ ــ ٢٦٦) والاستيعاب (٣/١٠٨٨) .

(٣٤) مغازي الواقدي (٢/٧٤٩ ــ ٧٥٠) .

(٣٥) أسد الغابة (١/١٧٠) .

بهذه الرقة والرحمة واللين والمودة ، فهي طراز نبوي فريد في المعاهـدات لايعرف أحد نظيرا له .

هـ ـ أما معاهدة صلح الحديبية التي جاء فيها : «وأنه من أتى محمدا منهم (أي من قريش) بغير اذن وليه رده اليه ، وأنه من أتى قريشا من أصحاب محمد لم ترده ، وان محمدا يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ، ويدخل علينـا في قابل في أصحابه ، فيقيم ثلاثا ، لايدخل علينا بسلاح الا سلاح المسافر ، السيوف في القرب» مما أدى الى تذمر كثير من الصحابة ومنهم عمر بـن الخطاب رضى الله عنه ، اذ لم يرضوا باعادة المسلمين الجدد القادمين مـن قريش دون اذن أوليائهم اعادتهم الى قريش ، في الوقت الذي لاتعيـد فيه قريش من أتاها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وللوهلة الأولـى ظن المتذمرون من المسلمين أن في ذلك اجحافا بالمسلمين ، فما دام المسلمون يردون الى قريش المسلمين الجدد القادمين من قريش الى المسلمين بدون اذن أوليائهم ، فلابد أن يكون بالمقابل أن ترد قريش الى المسلمين من أتاهـا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ليكون في المعاهد توازن مقبول . ولكن الواقع يدل على أن المسلمين الجدد يأتون من قريش بدون اذن أوليائهم، ولايمكن أن يلتحـق بقريش أحـد من المسلمين ، وهذا ما أثبتته الأحداث بصورة عمليـة .

ثم إن اعادة المسلمين من الحديبية عن مكة دون أدائهم العمرة ليس اهانة للمسلمين بل هي نصر ، لأنهم سيعودون الى مكة للعمرة بعد عام دون حرب، بينما اذا أصروا على دخولها هذا العام فلن يتم ذلك الا بالحرب ، والنصر هو في تحقيق دخول مكة ولو بعد عام بالسلام ، وهو نصر واضح في كل ميزان. وقد جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو[٣٦] مسلما ، فرده النبي صلى

(٣٦) ابو جندل بن سهيل بن عمرو العامري : اسلم بمكة ، فسجنه ابوه وقيده، فلما كان يوم الحديبية هرب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعاده الى =

الله عليه وسلم الى المشركين وقال له : «يا أبا جندل ! اصبر واحتسب ، فأن الله جاعل لك ولمن معك فرجا ومخرجا !انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهدا ، وانا لانغدر »[٣٧] .

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من الحديبية أتـاه أبو بصير [٣٨] مسلما ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بصير أن

=

ابيه . فقام عمر بن الخطاب يمشي الى جانب ابى جندل وابوه يتله ، وهو يقول : « أبا جندل ! اصبر واحتسب ، فانما هم المشركون ، وانما دم احدهم دم كلب » . وجعل عمر يدنى قائم السيف ، فضـن ابو جندل بابيه . خرج هو وابوه الى الشام مجاهدين حتى ماتا في خلافة عمر بـن الخطاب . انظر التفاصيل في : اسد الغابة (٥/١٦٠ ـ ١٦٢) والاصابـة (٧/٣٣) والاستيعاب (٤/١٦٢١ ـ ١٦٢٣) .

(٣٧) انظر التفاصيل في : مغازي الواقدي (٢/٦٠٧ ـ ٦٠٩) .

(٣٨) أبو بصير : واسمه عتبة بن اسيد بن جارية حليف بني زهرة ، اقبـل بعد صلح الحديبية الى المدينة مسلما ، فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخنس بن شريق الثقفي والأزهر بن عبد عوف وبعثا كتابهما مع مولى لهما ورجل من بني عامر بن لؤي استأجراه ليرد عليهم صاحبهم أبا بصير ، فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفعا اليـه كتابهما ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بصير وقال لـه : « يا أبا بصير ! ان هؤلاء القوم قد صالحونا على ما قـد علمـت ، وانا لانغدر، فالحق بقومك»، فقال : «يارسـول الله ! تردني الى المشركين يفتنوني في ديني !! » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اصبر يا أبا بصير واحتسب، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين من المؤمنين فرجا ومخرجا» . وخرج أبو بصير وخرجا ، حتى اذا كانوا بذي الحليفة جلسوا الى سور جدار ، فقال ابو بصير للعامري :« اصارم سيفك ؟ ». قال : «نعم» ، قال : «أنظر اليه» ، قال : «ان شئت» ، فسله وضرب عنق العامري ،وخرج المولى يشتد ، وطلع على رسول الله صلى اللـه عليه وسلم وهو جالس في المسجد ، فلما رآه قال : «هذا رجل قـد رأى فزعا» ، فلما انتهى اليه قال : «قتل صاحبكم صاحبي» ، فما بـرح حتى طلع ابو بصير متوشحاً السيف ، فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : «يارسول الله ! وفت ذمتك ، وقد امتنعت بنفسي»،

=

يرجع الى مكة مع رجلين قدما لاعادته ، وقال له : «يا أبا بصير ! أنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وان الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا » •

وقال أبو بصير للعامري أحد الرجلين اللذين يرافقانه الى مكة :«يا أخا بني عامر ! أصارم سيفك هذا ؟ » ، قال : «نعم» ، فقال : «ناولنيه أنظر اليه ان شئت» ، فناوله العامري السيف ، فأخذ أبو بصير بقائم السيف والعامري ممسك بالجفن ، فعلاه به حتى برده وخرج المشرك الثاني الذي مع أبي بصير يعدو حتى وصل الى المدينة قبل أبي بصير • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد ، اذ طلع المشرك يعدو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «هذا رجل قد رأى ذعراً» ، وأقبل المشرك فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : «قتل صاحبكم صاحبي» •وطلع أبو بصير فقال : «يارسول الله ! وفت ذمتك وأدى الله عنك ، وقد أسلمتني بيد العدو، وقد امتنعت بديني من أن أفتن » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ويل امه ، محش حرب [٣٩] لو كان معه رجال» ، وقال لأبي بصير : «اذهب حيث شئت » •

=

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل امه ، محش حرب لو كان معه رجال» ، يقال : حش الحرب ، اذا اسعرها وهيجها تشبيها باسعار النار (انظر النهاية (١/٢٣٠)). وخرج ابو بصير حتى نزل بالعيص ؛ وكان طريق أهل مكة الى الشام ، فسمع به من كان بمكة من المسلمين ، فلحقوا به ، حتى كان في عصبة من المسلمين قريب من ستين أو سبعين، وكانوا لايظفرون برجل من قريش الا قتلوه ، ولم يمر بهم غير الا اقتطعوها ، حتى كتبت فيهم قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألوه بأرحامهم لما آواهم ، ففعل ، فقدموا عليه المدينة . وكان ابو بصير مريضا حين وصل اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعودة الى المدينة ، فقرأ الكتاب ومات ، انظر التفاصيل في : أسد الغابة ١٤٩/٥ – ١٥٠) والاصابة (٢١/٧) والاستيعاب (١٦١٢/٤ – ١٦١٤) •

وخرج أبو بصير حتى أتي العيص [٤٠] ، فنزل منه ناحية على ساحل البحر • وبلغ المسلمين الذين حبسوا بمكة قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بصير :«محش حرب لو كان معه رجال» ، فجعلوا يتسللون الى أبي بصير حتى اجتمعوا عنده وهم قريب من سبعين رجلا ، فضيقوا على قريش ، لايظفرون بأحد منهم الا قتلوه ، ولاتمر عير" الا اقتطعوها ، حتى احرجوا قريشا •

ولما بلغ أبو بصير من قريش ما بلغ من الغيظ ، بعثت قريش رجلا وكتبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا يسألونه بأرحامهم : « ألا تدخل أبا بصير وأصحابه ، فلا حاجة لنا بهم ؟ »•

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بصير أن يقدم بأصحابه معه ، فجاءه الكتاب وهو يموت ، فجعل يقرأ وهو يموت ، فمات وهو في يديه ، فقبره أصحابه هناك وصلوا عليه ، وبنوا على قبره مسجدا •

وأقبل أصحابه الى المدينة وهم سبعون رجلا [٤١] •

وهكذا وفى النبي صلى الله عليه وسلم بما جاء بمعاهدة صلح الحديبية : يرد المسلمين الذين يأتونه بدون اذن أهليهم ، تلك الفقرة التي تذمر منها قسم من المسلمين وحسبوها اجحافا بحقوق المسلمين ، فتبين لهم أنها اجحاف بحقوق المشركين من قريش لابحقوق المسلمين ، وبقيت الدعوة الى السلام والوفاء بالعهود الهدف الرئيس لهذه المعاهدة ، بعيدا عن الانفعالات التي أبداها قسم من المسلمين في حينه دون مسوغ ، لأنهم لم ينظروا بعيدا ، وتغلبت عليهم العواطف الجياشة ، ولكنهم عادوا الى رشدهم بعد حين لمسوا

---

(٣٩) محش حرب : يقال حش الحرب اذا أسعرها وهيجها ، تشبيها بأسعار النار ، انظر النهاية (١/٢٣٠) .

(٤٠) العيص : موضع من ناحية ذي المروة على ساحل البحر الأحمر ، بطريق قريش التي كانوا يسلكونها من مكة الى الشام في تجارتهم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٤٨) .

(٤١) انظر التفاصيل في : مغازي الواقدي (٢/٦٢٤ ــ ٦٢٩) .

نتائج هذه الفقرة الباهرة على المسلمين من جهة وعلى المشركين من جهة أخرى، وزيارة مكة بدون قتال بعد عام .

و ــ وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاهدة مع أسلم[٤٢] ، فقد جاءته وهو بغدير الاشطاط[٤٣] في طريقه من المدينة الى مكة لفتحها ، جاء بهم بريدة بن الحصيب[٤٤] فقال : « يارسول الله ! هذه اسلم وهذه محالها ، وقد هاجر اليك من هاجر منها ، وبقي قوم منهم في مواشيهم ومعاشهم » ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم مهاجرون حيث كنتم » .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب لأسلم كتابا ، وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا كتاب من رسول الله لأسلم ، لمن آمن منهم بالله ، وشهد أنه لا اله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فانه آمن بأمان الله ، وله ذمة الله

---

(٤٢) بنو أسلم بن افصى بن عامر بن قمعة بن الياس بن مضر ، انظر جمهرة أنساب العرب (٢٤٠) .

(٤٣) غدير الأشطاط : على ثلاثة اميال من عسفان مما يلي مكة . انظر : وفاء الوفا (٣٥٢/٢) .

(٤٤) بريدة بن الحصيب الأسلمي : يكنى ابا عبدالله ، وقيل ابا سهل ، وقيل ابا الحصيب والمشهور ابو عبدالله . اسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا هو ومن معه ، وكانوا نحو ثمانين بيتا، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة فصلوا خلفه. واقام بريدة بأرض قومه ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد ، فشهد معه مشاهده ، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان تحت الشجرة ، وكان من ساكني المدينة ، ثم تحول الى البصرة وابتنى بها دارا ، ثم عرج الى خراسان فأقام بمرو حتى مات ودفن بها ، وبقي ولده بها .
انظر التفاصيل في : طبقات ابن سعد (٢٤١/٤ ــ ٢٤٣) واسد الغابة (١٧٥/١ــ١٧٦) والأصابة (١٥١/١) والاستيعاب (١٨٥/١ــ١٨٦) وتهذيب الأسماء واللغات (١٣٣/١) وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٤٣٢/١ ــ ٤٣٣) وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤٧) .

وذمة رسوله ، وان أمرنا وأمركم واحد على من دهمنا من الناس بظلم ، اليد واحدة ، والنصر واحد ، ولاهل باديتهم مثل ما لاهل قرارهم ، وهم مهاجرون حيث كانوا »[٤٥] ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه :« يارسول الله ! نعم الرجل بريدة بن الحصيب لقومه ، عظيم البركة عليهم ، مررنا به ليلة مررنا ونحن مهاجرون الى المدينة ، فأسلم معه من قومه من أسلم » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« نعم الرجل بريدة لقومه وغير قومه يا أبا بكر ، ان خير القوم من كان مدافعاً عن قومه مالم يأثم ، فان الاثم لاخير فيه »[٤٦] .

وهذه المعاهدة ، معاهدة دفاعية ، تجعل أسلم ضمن المنظومة الدفاعية الاسلامية ، ويبدو أن فائدتها واضحة قبل فتح مكة ، لقرب ديار أسلم من مكة قبل فتحها واسلام أهلها ، ولوجود قبائل لم تسلم بعد في منطقتها،وابرام هذه المعاهدة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أسلم يعطى حماية مضمونة لاسلم هي حماية المسلمين لهم اذا اعتدى عليهم .

أما بعد فتح مكة ، واسلام اهل مكة ، واسلام القبائل المجاورة لمكة والقبائل التي في منطقة أسلم ، فقد أصبحت هذه المعاهدة ليست ذات موضوع ، اذ من واجب المسلمين الدفاع عن أسلم اذا تعرضوا للاعتداء ، ومن واجب المسلمين حماية أسلم لانهم مسلمون ، والمسلم أخ المسلم يدافع عنه ويحميه .

---

(٤٥) مغازى الواقدي (٢/٧٨٢) وانظر طبقات ابن سعد (١/٢٧١) ، ونصه : « لأسلم من خزاعة لمن آمن منهم ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، وناصح في دين الله ، أن لهم النصر على من دهمهم بظلم ، وعليهم نصر النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم ، ولأهل باديتهم ما لأهل حاضرتهم ، وانهم مهاجرون حيث كانوا » ، والنص الأول يشابه النص الثاني في معناه ويختلف عنه في مبناه ، ولان النص الاول أقدم من النص الثاني ، فقد اعتمدناه .

(٤٦) مغازى الواقدي (٢/٧٨٢) .

ز ـ ونعود الى المعاهدات النبوية التى كانت من ثمرات غزوة تبوك ، وهي : معاهدة أكيدر صاحب دومة الجندل ، ومعاهدة أيلة وتيماء ، وأهـل أذرح ، وأهل جرباء ، ومعاهدة أهل مقنا وبنى جنبة ، فقد دفع مال للمسلمين سنوياً ، من أهل الذمة ، فيقتضى معرفة موجز لتعاليم الاسلام في الذميين ، وفي الجزية .

ان الذمة في اللغة : الامان والعهد ، وأهـل الذمة هم المعاهدون من النصارى ويهود وغيرهم ممن يقيم في دار الاسلام[٤٧] . وقد جاء في الحديث الشريف : « ويسعى بذمتهم أدناهم .... » ، وفسر الفقهاء : ذمتهم ، بمعنى الامان[٤٨] ، ويؤيد ذلك ما قالوه في تفسير عقد الذمة بأنه اقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة[٤٩] . وعلى ذلك يمكن القول بأن عقد الذمة عقد يصير بمقتضاه غير المسلم بذمة المسلمين ، أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأبيد ، وله الاقامة في دار الاسلام على وجـه الدوام[٥٠] .

وقد شرع عقد الذمة بعد فتح مكة ، ويؤيد هذا أن آية الجزية المتضمنة عقد الذمة وهي قوله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية ...)[٥١] ، وهذه الاية نزلت في السنة التاسعة

---

(٤٧) القاموس المحيط (١١٥/٤) وشرح السير الكبير (١٦٨/١) ، فالمراد بالذمة العهد موقتا او مؤبدا .
(٤٨) كشاف القناع (٧٠٤/١) .
(٤٩) كشاف القناع (٧٠٤/١) وكشف المحذرات (٢٠٦) .
(٥٠) احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام (٢٢) .
(٥١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٢٩) ، انظر تفسير هذه الآية الكريمة في الكشاف للزمخشري (٢٩/٢ ـ ٣٠) وتفسير ابن كثير (١٤٤/٤ـ ١٤٥) وتفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير (٤٤٣/٤ ـ ٤٤٥) وتفسير البيضاوي (٦٥/٣) .

الهجرية ، أي بعد فتح مكة[٥٢] .

أما حكمة مشروعية عقد الذمة ، فهو أن يترك المقاتل غير المسلم القتال ، مع احتمال دخوله في الاسلام ، على طريق مخالطته للمسلمين ، واطلاعه على شرائع الاسلام ، وليس المقصود من عقد الذمة الحصول على المال[٥٣] .

وعقد الذمة عقد لازم في حق المسلمين ، فلا يملكون نقضه مالم يظهر من الذمي ما يقتضي نقضه . وأما في حق الذمي ، فهو عقد غير لازم ، اذ يحتمل النقض من جهته[٥٤] .

وحقوق الذميين على المسلمين : « لهم مالنا ، وعليهم ما علينا » ، وقد قال الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « انما قبلوا عقد الذمة ، لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا »[٥٥] . وفي شرح السير الكبير : « ولانهم قبلوا عقد الذمة ، لتكون أموالهم وحقوقهم كأموال المسلمين وحقوقهم »[٥٦] . ويعلل بعض الفقهاء مساواة الذمي للمسلم في بعض التكاليف المالية ، بأن الذمي بعقد الذمة صار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم[٥٧] ، ومن هذا يتضح أن الذميين ــ كقاعدة عامة ــ كالمسلمين في الحقوق والواجبات[٥٨] .

وكان من حق الذميين التمتع بالحقوق السياسية ، كتولي الوظائف

---

(٥٢) احكام القرآن للجصاص (١٤٢/١) .
(٥٣) المبسوط (٧٧/١٠) والكاساني (١١١/٧) ونيل الأوطار للشوكاني (٥٨/٨) وشرح السير الكبير (٢٥٤/٣) : «لأنا انما قبلنا منهم عقد الذمة ، ليقفوا على محاسن الدين . فعسى ان يؤمنوا» .
(٥٤) احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام (٤٢) .
(٥٥) الكاساني (١١٧/٧) وسنن الدارقطني (٣٥٠/٢) : «ومن كانت له ذمتنا ، فدمه كدمنا » .
(٥٦) شرح السير الكبير للسرخسي (٢٥٠/٣) .
(٥٧) الكاساني (٣٧/٢) .
(٥٨) احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام (٧١) .

العامة عدا الخلافة[٥٩] ، أي الامامة ، والامارة على الجهاد[٦٠] ، فمن البدهي أن يكون رئيس الدولة الاسلامية مسلما ، وأن يكون أمير المجاهدين مسلما ، لان الجهاد يلتزم به المسلم دون الذمي ، وان كان للذميين أن يشتركوا مع المسلمين في الدفاع عن دار الاسلام ويلتزموا هذا الواجب[٦١] .

وفيما عدا الوظائف القليلة التي يشترط فيمن يتولاها أن يكون مسلما ، يجوز اشراك الذميين في تحمل أعباء الدولة واسناد الوظائف العامة اليهم . وقد دل على ذلك الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، ففي الكتاب العزيز قوله تعالى : : (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون)[٦٢] وقد نزلت هذه الآية فيمن كانت لهم ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦٣] ، وهي لم تنه المسلمين من اتخاذ بطانة منهم بصورة مطلقة ، وانما قيدت النهي بقيود واردة فيها ، أي أن النهي منصب على من ظهرت عداوتهم للمسلمين، فهؤلاء لايجوز اتخاذهم بطانة ، ومعنى هذا أن الذميين الذين لاتعرف لهم عداوة للدولة الاسلامية ، يجوز للمسلمين اتخاذهم بطانة يستودعونهم الأسرار ويستعينون برأيهم في شئون الدولة [٦٤] ، ومعنى هذا أيضا جواز اسناد الوظائف العامة اليهم التي هي دون البطانة في المركز والأهمية .

وفي السيرة النبوية مايؤيد قولنا ، من ذلك ماجاء بصدد غزوة بدر الكبرى بين المسلمين بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم وبين مشركي مكة ،فقد

---

(٥٩) ارشاد الى قواطع ادلة في اصول الاعتقاد (٤٢٧) ومتن المنهاج ومغني المحتاج (٤/١٢٩ — ١٣٠) .

(٦٠) الأحكام السلطانية للماوردي (٣٣) والاحكام السلطانية لابي يعلي (٣) .

(٦١) احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام (٧٨) .

(٦٢) الآية الكريمة في سورة آل عمران (٣/١١٨) .

(٦٣) تفسير الطبري (٤/٦٣ — ٦٤) .

(٦٤) تفسير المنار (٤/١١١) .

أسر المسلمون في هذه الغزوة سبعين أسيرا من المشركين، وكان من هؤلاء من لا مال له ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، بأن يعلم الواحد منهم عشرة من غلمان الأنصار ويخلى سبيله[٦٥] ، فهذا الأثر يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم غير المسلمين في شأن من شئون الدولة الاسلامية ، وهو تعليم بعض المسلمين الكتابة . وفي السيرة النبوية أيضا ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه الى مكة سنة ست الهجرية ، وصل الى مكان ذي الحليفة [٦٦] فبعث عينا من خزاعة يخبره عن قريش [٦٧] ، وكان هذا العين كافرا [٦٨] ، ومع هذا أسند النبي صلى الله عليه وسلم اليه هذه المهمة الخطيرة . ولاشك في أن النبي صلى الله عليه وسلم أمنه ووثق به واطمأن اليه ، مما يدل على جواز إسناد وظائف الدولة العامة الى الذميين ما داموا أهلا لها من حيث الكفاية والثقة والأمانة .

فالكتاب والسنة اذا ، يدلان على جواز إسناد الوظائف العامة الى الذمي مادام ثقة ذا كفاية ، وهذا في الحقيقة أقصى مايمكن من التسامح والتساهل مع المخالفين في الدين لا نجد له نظيرا في القديم والحديث . وفي ظل هذا التسامح الاسلامي الكريم ، صرح فقهاء الشريعة الاسلامية بجواز تقليد الذمي وزارة التنفيذ[٦٩] ووزير التنفيذ يبلغ أوامر الامام ويقوم بتنفيذها ، ويمضي مايصدر عنه من أحكام[٧٠] ، كما نص الفقهاء على جواز اسناد وظائف أخرى الى الذميين كجباية الخراج [٧١] .

---

(٦٥) امتاع الاسماع للمقريزي (١/٣٩ و ٤١) وزاد المعاد لابن القيم (٤/٢٠٢).

(٦٦) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة اميال أو سبعة باتجاه مكة ، ومنها ميقات أهل المدينة ، انظر معجم البلدان (٣/٣٢٩) .

(٦٧) زاد المعاد (٤/٣١٢) .

(٦٨) الأحكام السلطانية للماوردي (٢٤ ــ ٢٥) .

(٦٩) الاحكام السلطانية (٢٤ــ ٢٥) .

(٧٠) الأحكام السلطانية للماوردي (٢٥) .

(٧١) الأحكام السلطانية للماوردي (١٢٦) والأحكام السلطانية لأبي يعلي (١٢٤) .

واذا تجاوزنا أقوال الفقهاء الى واقع الدول الاسلامية ، نجد أن المسلمين في مختلف العصور يشركون أهل الذمة في أعمال الدولة ، فقد رأينا كيف أعاد النبي صلي الله عليه وسلم أكيدر بعد مصالحته الى مقره في دومة الجندل ، وبقي يحكمها حتى بعد انتقال النبي صلى الله الى الرفيق الاعلى . وعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين جاءه سبى قيسارية جعل بعضهم في الكتابة وأعمال المسلمين[٧٢] ، وسليمان بن عبد الملك الخليفة الاموى عهد بالاشراف والنفقة على بنائه مسجد الجماعة ببلدة الرملة الفلسطينية الى كاتب نصرانى يقال له : البطريق ابن النكا[٧٣] .

ولما فتح المسلمون مصر ، أبقوا العمال البيزنطيين ، وكان من هؤلاء شخص يدعى : ميناس ، كان هرقل قد ولاه أعمال المنطقة الشمالية من مصر . ومن الاشخاص المعروفين : أثناسيوس ، الذى شغل بعض مناصب الحكومة بمصر في زمن الامويين ، حتى بلغ مرتبة الرئاسة في دواوين الاسكندرية ، وهكذا كانت عادة الامويين في تعيين النصارى في وظائف الدولة ، وقلما خلا منهم ديوان من دواوينها ، حتى كان لمعاوية بن أبى سفيان كاتب نصرانى اسمه : سرجون . وفي زمن العباسيين ، عين الخليفة أبو جعفر المنصور يهودياً اسمه : موسى ، كان أحد اثنين في جباية الخراج . وعين المأمون أحد وجهاء بورة[٧٤] اسمه : بكام رئيساً لبلدته واقليمها . وقد تولى الوزارة في زمن العباسيين بعض النصارى أكثر من مرة ، منهم نصر بن هارون سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة الهجرية وعيسى بن نسطورس النصرانى سنة ثمانين وثلاثمائة الهجرية[٧٥] .

---

(٧٢) فتوح البلدان (١٩٥) .
(٧٣) فتوح البدان (١٩٥) .
(٧٤) بورة : مدينة على ساحل بحر مصر قرب دمياط ؛ انظر معجم البلدان (٣٠٢/٢) .
(٧٥) اهل الذمة في الاسلام ـ ا. س . ترتون ـ ترجمة حسن حبشي (١٦٩) القاهرة ـ ١٩٤٩ م .

وقد جاء في كتاب : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز : « لم يكن التشريع الاسلامى ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الاعمال ، وكان قدمهم راسخا في الصنائع التي تدر عليهم الارباح الوافرة ، فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء »(٧٦) . « أما حياة الذمى عند أبى حنيفة وابن حنبل ، فانها تكافىء حياة المسلم ، وديته دية المسلم ، وهي مسألة مهمة جداً من حيث المبدأ . أما عند مالك فدية اليهودى أو النصرانى نصف دية المسلم ، وعند الشافعى ثلثها »(٧٧) . « ولم تكن الحكومة الاسلامية تتدخل في الشعائر الدينية لاهل الذمة ، بل كان يبلغ من بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم ويأمر بصيانتهم »(٧٨) . « على أن الكنيسة الرسمية للدولة الرومانية الشرقية قد ذهبت في معاداتها للمسيحيين الذين يخالفون رجالها في التفكير أبعد مما ذهب اليه الاسلام بالنسبة لاهل الذمة ، فلما أعاد الامبراطور نقفور افتتاح جزء من بلاد الشام في القرن الرابع الهجري ـ القرن العاشر الميلادي ـ كان مما وعد به أهل الشام وأمنهم به ، أن يحميهم من مضايقة كنيسة الدولة . ولكنه رغم هذا الامان لم يأل جهداً في مضايقة اليعقوبيين ، فاضطرهم مثلا الى الخروج من أنطاكية لذلك نجد مؤرخى اليعقوبيين يصفون البطارقة الذين عينتهم الدولة في أنطاكية بأنهم أضل من فرعون واشد كفراً من بختنصر . ولما أعيد احتلال ملطية أخذ بطريرك اليعاقبة وسبعة من كبار أساقفتهم الى القسطنطينية وسجنوا هناك ، ووضع الملكانيون أيديهم على الكنيسة الكبرى في ملطية ، فأما البطريرك فانه مات منفياً على حدود بلغاريا ، وكذلك مات أحد أصحابه في السجن ، ورجم الثالث أمام قصر الامبراطور ، ورجع ثلاثة منهم عن

---

(٧٦) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٢) ـ نقلا عن كتاب : الخراج ـ قدامة بن جعفر ـ ليدن ـ ١٨٨٩ م .

(٧٧) الحضارة اسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٣) .

(٧٨) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٤) .

المذهب اليعقوبي وأعيد تعميدهم ، ولكنهم لم يجدوا السكينة التي يرجونها ، وصاروا موضع السخرية كأنهم شياطين • وأخيرا لم يستطع رهبان الكنيسة السريانية أن يقيموا في مقر بطريقهم بعد دخول المذهب الملكانى ـ وبعد أن أعيدت أنطاكية الى المسيحية كمـا يقول الملكانيون ـ فاضطروا الى الانتقال الى آمد طلبا لتسامح أكثر في بلاد المسلمين • ولقد منعت الكنيسة الرسمية نصارى ارمينية من استعمال النواقيس[٧٩] ، وكثيرا ما كان رجال السلطة المسلمون يتدخلون بين الفرق النصرانية لمنعهم من المشاجرات ، حتى عين حاكم أنطاكية في القرن الثالث الهجرى رجلا يتقاضى ثلاثين ديناراً من النصارى في الشهر ، وكان مقره قرب المذبح ، وعمله أن يمنع المتخاصمين من قتل بعضهم بعضا »[٨٠] • « وكان أهل الذمة يعاملون في مستشفيات بغداد معاملة المسلمين » • « ولما كان الشرع الاسلامى خاصا بالمسلمين ، فقد خلت الدولة الاسلامية بين الملل الاخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم ، والذى نعلمه من أمر هذه المحاكم ، أنها كانت محاكم كنسية ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون ،يقومون مقام كبار القضاة أيضا ، وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون • ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج ، بل كانت تشمل الى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم ممـا لا شأن للدولة به »[٨٢] •

ولكثرة اسناد الوظائف العامة الى الذميين في الدولـة الاسلامية ، وشيوع هذا الامر ، قال آدم متز أحد مؤرخى الغرب : « من الامور التى

(٧٩) وهكذا فعلت الكنيسة الانكليزية مع الكاثوليك حتى القرن التاسع عشر الميلادي ، ولاتزال أسبانيا وصقلية تفعـلان ذلـك حتى اليـوم مـع البرتستانت .

(٨٠) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٥) .

(٨١) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٧) .

(٨٢) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٨) ، وهذه نماذج ممـا جاء في هذا الكتاب ، فمن اراد التفاصيل فلينظر (٤٤ ـ ٧٦) .

نعجب بها من كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الاسلامية»[٨٣]

والدولة العثمانية ، وهي الدولة الاسلامية المتأخرة ، جرت على ماجرت عليه الدول الاسلامية الاخرى ، وزادت عليه ، فكانت تسند الوظائف المختلفة الى رعاياها من غير المسلمين ، وجعلت أكثر سفرائها ووكلائها في بلاد الاجانب من النصارى[٨٤] .

ان الذميين عوملوا من المسلمين معاملة لانظير لها ، والادعاء بخلافه لأساس له من الصحة . والواقع وشهادة المنصفين من الاجانب خير دليل .

وقد نص القرآن الكريم بوضوح ، على طريقة معاملة المسلمين لغير المسلمين : (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)[٨٥] .

واقرأ الآية الكريمة ، وهي من أواخر آيات القرآن الكريم نزولا ، فهي تحدد أيضا علاقة المسلمين بغيرهم : (اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ، ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)[٨٦] .

من ذلك يفهم ، أن علاقة المسلمين بغير المسلمين : بر ، وقسط ، وتعاون ،

---

(٨٣) كتاب الاسلام انطلاق لا جمود ـ د. مصطفى الرافعي ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ص (١٦) . وانظر الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ـ (٦٧/١) ـ آدم متز ـ ترجمة محمد عبدالهادي أبي ريدة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٦٦ هـ .

(٨٤) تفسير المنار (٨٤/٤) .

(٨٥) الآيتان الكريمتان من سورة الممتحنة (٦٠ : ٨ ـ ٩) .

(٨٦) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٥) .

ومصاهرة ، ولايمكن أن تكون العلاقة بين أصحـاب عقيدة بغيرهم الذين على غير عقيدتهم بمثل هذه القوة والرسوخ •

أما عن الجزية ، فمن يقرأ بتدبر وامعان كل ماكتبه ابن القيم الجوزية (٦٩١هـ ــ ٧٥١هـ) في كتابه : أحكام أهل الذمة[٨٧] ، عن الجزية يكبر سماحة الاسلام في معاملة الذميين • فحين يعرض للاية الكريمة : (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[٨٨] ، يأبى تفسير هذا الصغار بالامتهان والاذلال ، ويصرح بأن هذا كله لا دليل عليه ، ولا هو مقتضى الاية ، ولا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة[٨٩] ، ثم يؤثـر تفسير الصغار بالتزام الذميين جريان أحكام الملة عليهم واعطاء الجزية[٩٠] •

وينتقل من هذا الى تحريم تكليف الذميين ما لا يقدرون عليه أو تعذيبهم على أداء الجزية أو حبسهم أو ضربهم[٩١] ، ويصور وجهة النظر الاسلامية أدق التصوير حين يرى أن : « قواعد الشريعة كلها تقتضى ألا تجب الجزية على عاجز لقوله تعالى : (لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها)[٩٢] ، ولا واجب مع عجز ولا حرام مع ضرورة »[٩٣] ، فيصرح بأنه لا جزية على شيخ فـان ولا زمن ولا أعمى ولا مريض لايرجى برؤه وان كانوا موسرين[٩٤] ، وأن الرهبان في الصوامع والديارات ليسوا من أهل القتال ، فـلا تجب عليهم

---

(٨٧) احكام أهل الذمة ــ ابن القيم الجوزية ــ تحقيق وتعليق د. صبـحي الصالح ــ ط ١ ــ دمشق ــ ١٣٨١ هـ .
(٨٨) الآية الكريمة من سورة التوبـة (٩ : ٢٩) .
(٨٩) انظر مقدمة التحقيق ــ د. صبحي الصالح ــ (٧ ــ ٨) ــ احكام أهـل الذمة لابن القيم الجوزية ــ (٢٣) .
(٩٠) احكام أهل الذمة (٢٤) .
(٩١) احكام أهل الذمة (٣٤) .
(٩٢) احكام اهل الذمة (٤٨) ، والآية الكريمة من سورة الطلاق (٦٥ : ٧) .
(٩٣) احكام اهل الذمة (٤٨) .
(٩٤) احكام اهل الذمة (٤٩) .

الجزية[٩٥] ، وأن الفلاحين الذين لايقاتلون والحرائين لاجزية عليهم ، لانهم يشبهون الشيوخ والرهبان[٩٦] ، وأن العبد ليس عليه جزية لمسلم كان أو لذمي[٩٧] ، وأن المسلمين لو حاصروا حصنا فيه نساء ، فبذلن الجزية لتعقدلهن الذمة ، عقدت لهن بغير شيء وحرم استرقاقهن[٩٨] ، ويستشهد بقصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال : « ما أنصفناك ! أن كنا أخذنا الجزية منك في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك ! » ، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه[٩٩] .

تلك لمحات مما ذكره ابن القيم الجوزية في كتابه القيم ، وهي تخالف اتهامات أعداء الاسلام ، فالجزية ليست عرضا ماليا عن دم أو عقيدة ، انما هي لحماية المغلوبين في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم ، وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعاية مع المسلمين سواء بسواء .... يدل على ذلك أن جميع المعاهدات التى تمت بين المسلمين وبين المغلوبين من سكان البلاد المفتوحة ، كانت تنص على هذه الحماية في العقائد والاموال ، وقد جاء في عهد خالد بن الوليد لاهل الحيرة : « .... وعلى المنعة ، فان لم يمنعهم ، فلا شيء عليهم حتى يمنعهم »[١٠٠] .

وليس ذلك حسب ، بل أعفى الاسلام دافع الجزية من الخدمة العسكرية في الجيش ، والذمي الذى يقبل التطوع في الجيش الاسلامي تسقط عنه الجزية ، وهذا معناه أن الجزية تشابه البدل النقدى للخدمة العسكرية في عصرنا الحاضر : « فلا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب »[١٠١] ، فقبل

---

(٩٥) احكام اهل الذمة (٥٠) .
(٩٦) احكام اهل الذمة (٥١) .
(٩٧) احكام اهل الذمة (٥٥) .
(٩٨) احكام اهل الذمة (٤٥) .
(٩٩) احكام اهل الذمة (٣٨) .
(١٠٠) الطبري (٣٦٤/٣) .
(١٠١) الطبري (١٥٦/٤) وانظر ابن الأثير (٢٨/٣) ، وانظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٥٢٥ ـ ٥٣٢) .

ذلك ، وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين ، وفيمن لم يكن عنده الجزاء ، الا أن يستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة(١٠٢) .

لقد جاء الاسلام داعيا الى السلام ، وان كان أشد ما يبغضه الاستسلام فسلام الاسلام سلام الاقوياء لاسلام الضعفاء . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن على المسلمين واجب الاخذ بالسلم وهم أقوياء ، اذا مال العدو للسلم ، فقال تعالى : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين)(١٠٣) .

والسبيل لاستقرار السلام ، هو معاهدات الامان ، وعدم الاعتداء .

ولكن المعاهدات لاتستمد قوتها من نصوصها ، بل من عزيمة عاقديها على الوفاء ، ولذلك حث القرآن الكريم على الوفاء ، واعتبر الوفاء بالعهد والميثاق قوة ، والنكث فيه أخذا في أسباب الضعف ، وأن من يوثق عهده بيمين الله ، فقد اتخذ الله كفيلا بوفائه ، فاذا غدر بعهده فقد اتخذ عهد الله للغش وزيف القول . وأشار سبحانه وتعالى في بعض نصوص القرآن الكريم الى أن الوفاء بالعهود هو المقصد الاسمى الذى يتجه اليه المؤمن الحق . وقد ورد هذا النص الجامع في قوله تعالى : (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون . ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون . ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم . ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا

---

(١٠٢) الآيتان الكريمتان من سورة الأنفال (٨ : ٦١ - ٦٢) .

انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون)[١٠٣] .

ومعنى قوله تعالى : (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) ، أن من ينقض عهده يكون كتلك الحمقاء التي تغزل غزلها وتقويه ، ثم تنقضه ، وفي هذا اشارة الى أن العهد قوة ، ونكثه ازالة لهذه القوة . ومعنى قوله تعالى : (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) ، أن تتخذ العهود للغش والخديعة ، وهذا ما ليس يرضاه الله . ومعنى قوله : (أن تكون أمة هى أربى من أمة) ، أن تكون أمة أكثر عددا ونماء وسعة في الارض من أمة أخرى ، فان القوة التي تكون من نقض العهود مآلها الزوال . ومعنى قوله تعالى : (فتزل قدم بعد ثبوتها) ، أن نقض العهود يؤدى الى ضعف القوة ، والنقض في ذاته زلل للامم .

واذا كان القرآن الكريم يدعو الى تقوية العهود وتنفيذها ، والقاء الأمن بين الناس بها ، فان النبي صلى الله عليه وسلم ، قد حث في طائفة كثيرة من الأحاديث المروية عنه على الوفاء بالعهود عامة ، وعلى الوفاء بالعهود التي يعقدها رؤساء الدول في تنظيم العلاقات الدولية خاصة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «ألا أخبركم بخياركم ؟ خياركم الموفون بعهودهم» ، ويقول : «أنا أحق من وفى بعهده» .

وكان ينهى عن الغدر بمقدار حثه على الوفاء ، وكان يعد أعظم الغدر غدر الحكام ، فهو يقول : «لاغادر أعظم غدرا من أمير عامة» ، ويقول عليه الصلاة والسلام : «ولكل غادر لواء يوم القيامة ، وأكبر لواء أمير عامة» ، ولا يقتصر الوفاء في الاسلام على الأقوياء ، بل يشمل الضعفاء والأقوياء على السواء [١٠٤] .

---

(١٠٣) الآيات الكريمة من سورة النحل (١٦ : ٩١ ــ ٩٥) .
(١٠٤) العلاقات الدولية في الاسلام ــ الشيخ ابو زهرة ــ (٤٠ ــ ٤١) ــ القاهرة ــ ١٣٨٤ هـ .

ان المعاهدات النبوية ترتكز على ثلاثة مبادىء : الشورى والسلام ، والوفاء ، ومبدأ الشورى ضمن لها العدل المطلق بين المسلمين والطرف الثاني، وضمن لها السداد والتوفيق • والسلام العادل والوفاء المطلق ، ضمن لها أن يؤثر الطرف الثاني المسلمين على الروم وحلفائهم والفرس وحلفائهم ،ومهد الطريق للمسلمين للفتح الاسلامي ، لأن أصحاب البلاد المفتوحة كانوا مع المسلمين على الروم والفرس : مع العدل على الظلم ، ومع السلام على الحرب، ومع الوفاء على الغدر •

والله أسأل أن يفيد بهذا البحث ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم •

والحمد لله كثيراً ، وصلى الله على رسول الله وسلم ، وعلى آله وأصحابه أجمعين •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

* * *

اهم
المصـــادر والمراجع

ابن الأثير (عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير الجزري) :

١ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة ــ طهران ــ ١٣٧٧ .

٢ ــ تجريد أسماء الصحابة ــ حيدر آباد الدكن (الهند) ــ ١٣١٥هـ .

٣ ــ الكامل في التاريخ ــ بيروت ــ ١٣٨٥ هـ .

ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن أبى الكرم محمد بن محمد بن الأثير الجزري) :

٤ ــ النهاية في غريب الحديث والأثر ــ القاهرة ــ بلا تاريخ .

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي):

٥ ــ النجوم الزاهرة ــ القاهرة ــ ١٣٤٨ هـ .

ابن تيمية (تقيالدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله الحراني الدمشقي الحنبلي :

٦ ــ السياسة الشرعية ــ طبعة مكتبة المثنى ــ بغداد ــ بلا تاريخ.

ابن الجوزي (جمالالدين أبو الفرج بن الجوزي) :

٧ ــ تاريخ عمر بن الخطاب ــ القاهرة ــ بلا تاريخ .

٨ ــ صفة الصفوة ــ ط١ ــ حيدر آباد الدكن (الهند) ــ ١٣٥٥ هـ .

ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي):

٩ ــ المحبر ــ تحقيق ايلزه ليختن شتيتر ــ بيروت ــ ١٣٦١ هـ .

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني) :

١٠ــ الاصابة في تمييز الصحابة ــ القاهرة ــ ١٣٢٥ هـ .

١١ــ تهذيب التهذيب ــ حيدرآباد الدكن (الهند) ــ ١٣٢٧ هـ .

١٢ـ فتح الباري بشرح البخاري ـ بولاق القاهرة ـ ١٣٠١ هـ ٠
ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي) :
١٣ـ أسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة ـ القاهرة ـ بلا تاريخ ٠
١٤ـ أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم ـ ملحق بجوامع السيرة ـ القاهرة ـ بلا تاريخ ٠
١٥ـ جمهرة أنساب العرب ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ القاهرة ـ ١٣٨٢ هـ ٠
١٦ـ جوامع السيرة ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصرالدين الأسد ـ مراجعة الشيخ أحمد محمد شاكر ـ القاهرة ـ بلا تاريخ ٠
ابن حنبل (أحمد بن محمد بن حنبل) :
١٧ـ المسند ـ ط ١ ـ بولاق القاهرة ـ ١٣١٣ هـ ٠
ابن خلدون (عبدالرحمن بن خلدون المغربي) :
١٨ـ تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ـ بيروت ـ ١٩٦٦ م ٠
ابن سعد (أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري) :
١٩ـ الطبقات الكبرى ـ بيروت ـ ١٣٧٦ هـ ٠
ابن عبدالبر (أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر) :
٢٠ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ القاهرة ـ بلا تاريخ ٠
ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبدالله بن أحمد المعروف بابن العربي) :
٢١ـ أحكام القرآن ـ ط ١ ـ القاهرة ـ ١٣٣١ هـ ٠
ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبةالله بن عبدالله بن الحسين بن عساكر) :

٢٢_ تهذيب ابن عساكر _ دمشق _ ١٣٢٩ هـ .
ابن العماد (أبو الفلاح عبدالحي بن عماد الحنبلي) :
٢٣_ شذرات الذهب _ القاهرة _ ١٣٨٧ هـ .
ابن القيم الجوزية (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية) :
٢٤_ اعلام الموقعين عن رب العالمين _ القاهرة _ ١٩٥٥ م .
٢٥_ زاد المعاد في هدى خير العباد _ القاهرة _ ١٣٣٩ هـ .
ابن كثير (عمادالدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) :
٢٦_ البداية والنهاية _ بيروت _ ١٩٦٦ م .
٢٧_ تفسير ابن كثير _ القاهرة _ ١٣٤٧ هـ .
ابن ماجة (الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني) :
٢٨_ سنن ابن ماجة _ القاهرة _ ١٣١٣ هـ .
ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري) :
٢٩_ لسان العرب _ طبعة بولاق القاهرة _ بلا تاريخ .
ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري) :
٣٠_ السيرة النبوية _ تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد_ القاهرة _ ١٣٥٦ هـ .
أبو الفدا (عمادالدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفدا) :
٣١_ المختصر في أخبار البشر _ القاهرة _ بلا تاريخ .
أبو الفرج الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسن الأصبهاني) :
٣٣_ حلية الأولياء وطبقات الاصفياء _ القاهرة _ ١٣٥١ هـ .
أبو نعيم (أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني) :
٣٣_ حيلة الأولياء وطبقات الاصفياء _ القاهرة _ ١٣٥١ هـ .
أبو يوسف (القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبي حنيفة) :

٣٤ـ الخراج ـ القاهرة ـ ١٣٤٦ هـ
أحمد رضا :
٣٥ـ معجم متن اللغة ـ بيروت ـ ١٣٧٨ هـ .
الآلوسي (أبو الثناء شهاب الدين الآلوسي) :
٣٦ـ روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ـ القاهرة ـ ١٣٤٥ هـ .
البخاري (الامام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي):
٣٧ـ صحيح البخاري ـ القاهرة ـ ١٣٧٦ هـ .
البغوي (الامام البغوي المفسر) :
٣٨ـ تفسير البغوي ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ .
البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري) :
٣٩ـ أنساب الأشراف ـ الجزء الأول ـ تحقيق الدكتور محمد حميد الله ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ م .
٤٠ـ فتوح البدان ـ تحقيق عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ـ بيروت ـ ١٣٧٧ هـ .
بينز (نورمان بينز) :
٤١ـ الامبراطورية البيزنطية ـ تعريب الدكتور حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .
البيضاوي (القاضي أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي)
٤٢ـ تفسير البيضاوي ـ القاهرة ـ ١٣٥٥ هـ ، وحاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، وحاشية زاده على تفسير البيضاوي ـ طبعة دار الطباعة الباهرة ـ ١٣٦٣ هـ .
البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي) :
٤٣ـ السنن الكبرى ـ حيدر آباد الدكن (الهند) ـ ١٣٤٤ هـ
الترمذي (أبو عبدالله محمد بن عيسى بن سورة الترمذي) :

٤٤ـ صحيح الترمذي ـ القاهرة ـ ١٢٩٢ هـ .
الجصاص (أبو بكر أحمد بن على الرازى الجصاص) :
٤٥ـ أحكام القرآن ـ القاهرة ـ ١٣٤٧هـ .
الحكيم (سعيد عبد المنعم الحكيم المحامى) :
٤٦ـ الرقابة علـى أعمال الادارة في الشريعة الاسلامية ـ والنظم المعاصرة ـ القاهرة ـ ١٩٧٦م .
الخضرى (محمد الخضرى) :
٤٧ـ تاريخ الامم الاسلامية ـ القاهرة ـ ١٩٦٩م .
٤٨ـ تاريخ التشريع الاسـلامي ـ ط ٦ ـ القـاهرة ـ بلا تاريخ .
خطاب (محمود شيت خطاب) :
٤٩ـ الرسول القائد ـ ط٥ ـ بيروت ـ ١٣٩٤هـ .
٥٠ـ سفراء النبي صلى الله عليه وسلم ـ مخطوط .
٥١ـ قادة النبي صلى الله عليه وسلم ـ مخطوط .
الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى الخطيب البغدادى) :
٥٢ـ تاريخ بغداد ـ القاهرة ـ ١٣٤٩هـ .
الخطيب (محمد بن أحمد الشربينى الخطيب) .
٥٣ـ مغنى المحتاج شرح المنهاج ـ القاهرة ـ ١٣٥٢هـ .
خليفة بن خياط :
٥٤ـ تاريخ خليفة بن خياط ـ تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمرى ـ النجف ـ ١٣٨٦هـ .
الدورى (قحطان عبد الرحمن الدورى) :
٥٥ـ الشورى بين النظرية والتطبيق ـ بغداد ـ ١٩٧٤م .
الذهبى (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بـن قايماز التركمانى الذهبى) :

٥٦ــ تاريخ الاسلام ــ القاهرة ــ ١٣٦٧هـ .

٥٧ــ تلخيص المستدرك ــ الرياض ــ مطبوع مع كتاب المستدرك للزيلعي ــ بلا تاريخ .

٥٨ــ دول الاسلام ــ حيدر آباد الدكن (الهند) ــ ١٣٦٤هـ .

٥٩ــ العبر في خبر من غبر ــ الكويت ــ ١٩٦٠م .

الرازي (محمد بن ضياء الدين عمر الرازي) :

٦٠ــ مفاتح الغيب المشهور بالتفسير الكبير ــ ط١ ــ القاهرة ــ ١٣٠٨هـ .

الزاوي (طاهر أحمد الزاوي) :

٦١ــ ترتيب القاموس المحيط ــ القاهرة ــ ١٩٥٩م .

الزبيدي (محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي) :

٦٢ــ تاج العروس في جواهر القاموس ــ القاهرة ــ ١٣٠٦هـ ــ ١٣٠٧هـ .

الزبيري (أبو عبدالله مصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري) :

٦٣ــ نسب قريش ــ تعليق ا. ليفي بروفنسال ــ القاهرة ــ ١٩٥١م ــ ١٩٥٣م .

الزمخشري (أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري) :

٦٤ــ الكشاف في حقائق التنزيل ــ ط٢ ــ القاهرة ــ مطبعة بولاق ــ ١٣١٨هـ .

٦٥ــ أساس البلاغة ــ القاهرة ــ ١٩٦٠م .

السرخسي (شمس الدين أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي) :

٦٦ــ شرح السير الكبير ــ حيدر آباد الدكن ــ ١٣٣٥هـ .

٦٧ــ المبسوط ــ القاهرة ــ بلا تاريخ .

السيوطي (جلال الدين السيوطي) :

٦٨ـ الجامع الصغير من حديث البشير النذير ـ ط١ ـ القاهرة ـ ١٣٥٣هـ .
٦٩ـ تاريخ الخلفاء ـ ط٤ ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .
الطبرسى (السعيد أبو الفضل بن الحسن الطبرسى) :
٧٠ـ مجمع البيان لعلوم القرآن ـ القاهرة ـ ١٩٥٨م .
الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى) :
٧١ـ تاريخ الرسل والملوك ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ ١٩٦٤م .
٧٢ـ تفسير الطبرى (جامع البيان في تفسير القرآن) ـ ط٢ ـ القاهرة ـ ١٩٥٤م .
العجلونى (اسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى) :
٧٣ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس ـ القاهرة ـ ١٣٥١هـ .
العجيلى (سليمان عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل) :
٧٤ـ الفتوحات الالهية لتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .
الغزالى (أبو حامد محمد الغزالى) :
٧٥ـ المستصفى من علم الاصول ـ تحقيق بدوى طبانة ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ م .
٧٦ـ احياء علوم الدين ـ بولاق القاهرة ـ ١٢٨٩هـ .
الفيروز آبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى) :
٧٧ـ القاموس المحيط ـ بولاق القاهرة ـ ١٣٠٦هـ .
القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي) :
٧٨ـ الجامع لاحكام القرآن ـ القاهرة ـ ١٩٣٦م .
القزوينى (زكرياء بن محمد بن محمود القزوينى) :
٧٩ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ بيروت ـ ١٣٨٠هـ .

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على القلقشندى) :
٨٠ـ مآثر الانافة في معالم الخلافة ـ الكويت ـ ١٩٦٤م .
٨١ـ نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ـ تحقيق ابراهيم الابيارى ـ القاهرة ـ ١٩٥٩م .
الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى) :
٨٢ الاحكام السلطانية ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ م .
٨٣ـ أدب الدنيا والدين ـ القاهرة ـ ١٩٤٠م .
مجمع اللغة العربية بالقاهرة :
٨٤ـ المعجم الوسيط ـ ط٢ ـ القاهرة ـ ١٣٩٢هـ .
المحب الطبرى (محب الدين أبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبى بكر بن ابراهيم الطبرى الشهير بالمحب الطبرى) :
٨٥ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ـ ط٢ ـ القاهرة ـ ١٩٥٣م .
محمد بن الحسن الشيبانى :
٨٦ـ السير الكبير ـ حيدر آباد الدكن (الهند) ـ ١٣٣٥هـ .
محمد رشيد رضا :
٨٧ـ تفسير المنار ـ القاهرة ـ ١٣٢٥هـ .
محمد ضياء الدين الريس :
٨٨ـ النظريات السياسية الاسلامية ـ ط١ ـ القاهرة ـ ١٩٥٢م .
محمد يوسف موسى :
٨٩ـ نظام الحكم في الاسلام ـ القاهرة ـ ١٩٦٢م .
مسلم (الامام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى) :
٩٠ـ الجامع الصحيح ـ بولاق القاهرة ـ بلا تاريخ .
النسائى (الامام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائى) :

٩١ـ سنن النسائي ـ القاهرة ـ ١٣١٢هـ ٠
النووى (أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووى) :
٩٢ـ تهذيب الاسماء واللغات ـ القاهرة ـ بلا تاريخ ٠
ونسنك (أ ٠ ى ٠ ونسنك) :
٩٣ـ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى ـ بالمشاركة ـ ليدن ـ ١٩٥٥م ٠
ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموى) :
٩٤ـ معجم البلدان ـ القاهرة ـ ١٣٢٣هـ ٠

* * *

الاعــلام

القبائل والملل والنحل

الامــاكن

ملاحظة : لايضم الفهرس ماورد في الهوامش من اعلام وقبائل واماكن ، ولايضم الفهرس تفاصيل الاسم (الكنية وسلسلة النسب) لورودها في موضعها واسقطنا في الترتيب الالف واللام ، واسقطنا في القبائل كلمة (بنى) ...

فهرس الخرائط والمصورات

فهرس تفصيلي للمحتويات

* * *

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغـداد ١٨٦٨ لسنة ١٩٩٠

ثمن النسخة ثلاثة دنـــانير